ملفن برجس

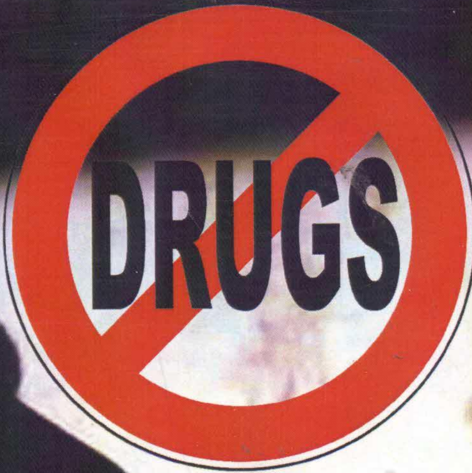


المركز القومي للترجمة

مخدرات

ترجمة: سميرة أبو الحسن

2179





قد تبدو هذه القصة وكأنها جرس إنذار للفتية والمراهقين، تدق ناقوس الخطر محذرة من التمرد اللا واعى والجموح المجنون، لكننى أرى أنها دعوة حية موجهة إلى كل الآباء والأمهات "افهموا أبناءكم وصادقوهم قبل أن تحاسبوهم أو تعاقبوهم"، تعلموا أن تكونوا آباءً وأمهات جيدين، يتقنون مهارات الوالدية وتربية الأبناء، فالوالدية الحقة ليستً مجرد طبيعة فطرية بحتة، ولا غريزة متأصلة فينا، إنها قبل ذلك إحساس، ووعى، ومعرفة بحاجات كل مرحلة عمرية فى حياة أبنائنا ومتطلباتها وخصائصها، وإذا نجحنا فى التعرف عليها وإشباعها وفتح قنوات قوية واعية للتواصل معهم، سرنا بهم إلى بر الأمان، أما إذا أخفقنا فى ذلك، فسوف يدفع أبناؤنا ثمناً باهظاً لذلك الإخفاق.

تصميم الغلاف: نرڤانا

مخدرات

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنـور مغيـث

- العدد: 2179
- مخدرات
- ملفن برجس
- سميرة أبو الحسن
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:
JUNK
By: Melvin Burgess

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مخدرات

تأليف: ملفن برجس

ترجمة: سميرة أبو الحسن



2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

برحس، ملفن.
المخدرات / تأليـف: ملفن برجس، ترجمة: سميرة أبو الحسن
ط ١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
٤٠٨ ص، ٢٤ سم
١ - المخدرات
(أ) أبو الحسن، سميرة (مترجمة)
(ب) العنوان ٦١٣,٨٣

رقم الإيداع: ٨٩٦٧ /٢٠١٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 216 - 088 - 4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

كلمة المؤلف

لقد بدأت أحداث هذه القصة فى أوائل الثمانينيات ومنتصفها تقريبًا، عندما كنت أعيش فى بريستول، وقد حدثت معظم الأحداث الرئيسية فى هذا الكتاب بالفعل، ولا تزال تحدث حتى الآن، وسوف تستمر فى الحدوث بلا شك، لقد رأيت وعايشت معظم هذه الأحداث بنفسي، وسمعت عن الكثير منها، أما بالنسبة لأشخاص هذه القصة فقد اخترعت بعضهم من محض خيالى وبعضهم يبدو حقيقيًا، أما البعض الآخر فهو من خيالى، مع إضفاء بعض شزرات من الحقيقة والقليل من الواقع عليهم، أما الشخص الوحيد الحقيقي هنا، فهو ريتشارد الذى يعد واحدًا من أفضل الشخصيات التى قابلتها فى حياتى وأظرفها وأغربها، والذى أقدم له اليوم الشكر والثناء، وأطلب له الرحمة والمغفرة؛ لأنه توفى فى طريق الأوتوستراد منذ عدة سنوات مضت.

هذه القصة ليست حقيقة خالصة ولا خيالاً محضًا، ولكنها كلها حقيقية وكل كلمة كتبت فيها تعتبر صادقة.

ملفن برجس

(١)

كان فتى وفتاة يقضيان الليل معًا فى المقعد الخلفى لسيارة فولفو كبيرة، السيارة كانت داخل جراج، وكان المكان مظلمًا تمامًا.

راحت الفتاة تشكو: "إنى جائعة".

أضاء الفتى مصباحًا يدويًا، وأطل داخل حقيبة ظهر رمادية مصنوعة من قماش سميك كانت خلفه قائلاً: "توجد تفاحة".

- "هل بقيت أية شرائح بطاطس مقلية؟"

- "لا، لم يبق شىء".

تنهدت جيما وتمددت داخل السيارة، ثم غطت نفسها ببطانية وهى تقول: "الجو بارد".

فقال تار: سيأتى بارى إلى هنا حالاً، ثم أخذ فى مراقبتها عن قرب فى ضوء المصباح اليدوى وقال متسائلاً فى تجهم وقلق: "هل أنت آسفة على مجيئك؟".

نظرت جيما إلى أعلى وابتسمت قائلة: "لا".

مال تار نحوها محاولاً عناقها. ربتت جيما على رأسه، وقالت بعد لحظة: "من الأفضل توفير حجارة البطارية".

أطفأ تار المصباح، أظلم المكان فى الحال حتى إن المرء لم يكـن يـستطيع رؤية يديه واستمرا فى حديثهما متعانقين فى الظلام ومحاطين برائحـة الخرسـانة الرطبة والزيت والبنزين.

قال تار: "تعالى معى".

اندهشت الفتاة وقالت متعجبة: "ماذا؟"، فهذه الفكرة لم تخطر على بالها مـن قبل... واستطاع تار أن يشعر بحملقتها فيه على الرغم من ذلـك الظـلام الحالـك المحيط بهما، والذى لا يمكن رؤية أى شيء فيه، واحمر وجه تار فى الظلام بشدة.

قالت جيما: "لا بد .. إنك مجنون"

- "لماذا؟".

- "ما الذى أواجهه لكى أهرب منه؟".

- "انتظرى حتى تعودى إلى البيت..." وأخذ الاثنان فى الضحك.

كانت جيما، منذ أسبوع قد مُنعت من رؤية تار، ولم يكن لدى والـديها أيـة فكرة عن مكان وجودها فى تلك الليلة، لكن كانت لديهما فكرة جيدة عن الـشخص الذى كانت موجودة معه.

قال تار بعد لحظات: "هذا يدفعك إلى القيام بشيء... أنت دائمة الشكوى من شدة الملل الذى تشعرين به".

- "هذا صحيح"، كانت جيما أكثر الأشخاص تبرمًا وملًا علـى الإطـلاق، أحيانًا أثناء جلوسها داخل الفصل فى المدرسة كانت تشعر بالدوار من شدة الملـل، وأنها توشك على الإغماء أو الانفجار إذا لم يتوقف هذا الشعور، كانت تشعر أنهـا مستعدة لفعل أى شيء فى سبيل أن تكون لها حياتها الخاصة، ولا تزال لديها تلك المشاعر حتى الآن...

- "وماذا عن المدرسة ومثل هذه الأمور؟".

- "تستطيعين العودة إلى المدرسة وفى أى وقت".

- "بل أستطيع الهروب فى أى وقت فى حياتي".

لعل جيما أحبت أن تهرب. كانت تريد الهرب لكن... لماذا تفعل ذلك؟.

إنها لم تكن تحب تار، لكنها كانت معجبة به فقط، كان والداها، ووالدها على وجه خاص رهيبًا جدا لكنه لم يضربها، لم يفعل ذلك حتى الآن.

- "هل الشعور بالملل سببٌ كافٍ لدفع الإنسان للهروب إلى المدينة فى الرابعة عشرة من العمر؟".

قالت جيما: "لا أعتقد ذلك يا تار".

استلقى تار بغير حركة على حجرها، وكانت تعرف ما يشعر به؛ لأنها رأته فى وجهه عدة مرات، فقد كان قلب تار مرسومًا على وجهه بوضوح.

انثنت جيما مقتربة منه وهمست: "أنا آسفة".

كان لدى تار سبب، بل العديد من الأسباب... وكان السبب الأخير مرسومًا أيضًا على وجهه، كانت شفته العليا متورمة فوق أسنانه كالبرقوقة الكبيرة، وحول عينه اليسرى كانت توجد هالات سوداء وزرقاء وصفراء وحمراء، كان ينبغى على جيما ألا تمس جروحه عندما ربتت على وجهه.

وسمعا بعض الضوضاء عند باب صغير خلفهما، فانضغط تار وجيما، واختفيا خلف المقاعد بعيدًا عن الأنظار.

- "إنه أنا"...

قالت جيما وهى تجز على أسنانها: "اللعنة! لقد كدت تقتلنى رعبًا."

– "أنا آسف، أشعل هذا المصباح هنا؛ لكى أستطيع أن أرى إلى أين أذهب...".

وجّه تار شعلة المصباح نحو فتى أشقر سمين يحمل كيسا من البلاستيك، فابتسم الفتى ابتسامة عريضة وتقدم للأمام.

قال الفتى: "أقترح أن يكون لدينا دقة سرية أو شيء من هذا القبيل، هكذا..." وقام بالدق على الحقيبة بطريقة معينة.

نظرت جيما داخل الكيس، وقال بارى معتذرًا: "إنها مجرد لفافات وجبن فقط"، لقد نسوا أن يضعوا أشياءً أخرى".

قالت جيما فى عتاب: "ألم تحضر بعض الزبد معك؟".

– "لا، ولكنى أحضرت بعض المخللات..." قال بارى ذلك وهو يتناول إناءً من جيب معطفه.

وبدأت جيما فى تمزيق اللفافات وأوراق قطع الجبن وهى تقول: "ياله من جبن رائع"، لكن بارى نسى إحضار سكين، لذا توجب عليها أن توزع المخلل بأصابعها.

وراح بارى يراقب وجه تار على ضوء المصباح اليدوى قائلاً: "يا للمسيح... لقد ضربك ونال منك كثيرًا هذه المرة، أليس كذلك؟".

قالت جيما: "إنه يبدو مثل سلطانية من الفواكه المتعفنة، أليس كذلك؟"

لم يكن الطعام مثل ذلك الذى تريد أكله... وضحكوا جميعًا.

وقال بارى متعجبًا: "بالمناسبة إنك لم تقم بإشعال المصباح اليدوى، أليس كذلك؟ لأنهم قد يرون الضوء من خلال الشقوق الموجودة فى باب الجراج؟".

- "قلت لك إننى لم أفعل".

- "حسنًا".

وبدأت جيما فى حشو فمها بقطع المخلل، وسألت تـــار بلزاجـــة: "ألا تريـــد الفوز ببعض الطعام؟"... فابتسم بارى قائلاً: "نعم من فضلك".

ساد الصمت أثناء تناول جيما للفافة أخرى مقسومة إلى نصفين.

وتساءل بارى وهو يريد أن يعرف: "متى ستذهبان؟".

قال تار: "غدًا".

-: "هل جهزتما كل شيء؟".

فانحنى تار على المقعد الأمامى، وربت على حقيبة الظهر الخاصة به التى لم تكن مملوءة تمامًا، فأومأ بارى برأسه، وراح يراقب تار وهو يأكل لبرهة، ثم قال وهو شارد الذهن: "ولكن ماذا عن والدتك؟".

بدا تار مصدومًا من شدة المفاجأة.

قالت جيما محملقة: "أمّه ستكون على ما يرام وربما تشعر بالراحة والتخفف من الحمل بمجرد ذهاب تار، وعلى أية حال فقد ظلت باقية مع والده من أجله هـــو فقط، ويمكنها أن تترك والده وتذهب الآن، لقد قالت ذلـــك آلاف المـــرات، ألـــيس كذلك؟".

أومأ تار برأسه ببطء مثل سلحفاة معذبة، فحملقت جيما فى باري، وقالـــت: "أغلق فمك".

فأومأ بارى قائلاً بكل قوته: "حسنًا. إن أفضل شيء يمكن أن تفعله من أجلها هو أن تجعلها تتخفف من عبئك، ولن يوجد بعد ذلك أى شيء يمكن أن يربطها بذلك العجوز الحقير عندئذ".

فقال تار: "هذا ما آمله".

أصبح الجو باردًا جدًا فى الجراج، فاقترب تار وجيما برأسيهما معًا ولفا البطانية حولهما وغابا معًا فى قبلة طويلة، ولم توقفه جيما عندما انزلقت يده تحت بلوزتها، لكن عندما شعرت بيده تنزلق لأسفل لتصل إلى بطنها، ربتت على أصابعه بخفة وقالت له: "أيها الشقى".

فقال تار فى دهشة: "لماذا لا؟".

- "ليس هنا".

لم يكن يهمها أن يلمس تار هذه المنطقة، لكنها خشيت من قضاء هذه الليلة معه.

- "أنا لا أريد أن تذهب أبعد من ذلك".

فقال تار بمكر: "قد لا ترينى أبدًا مرة أخرى بعد هذه الليلة".

هزت جيما رأسها قائلة: "لن تذهب أبعد من ذلك".

- "حسنًا".

(٢)

حديث جيما

والداى غير أكفاء وليس لديهما أية قدرة على فهم المؤشرات والدلائل، وهما يعتقدان أنهما لمجرد كونهما والدى فهما مثل المهندسين الذين يخططون لى حيـــاتى بأكملها أو شىء من هذا القبيل، ويظلان يقولان افعلى هذا- افعلى ذاك، وكانت هذه هى النتيجة، لقد وصلت إلى الطرف الآخر لنصبح على طرفى نقيض تمامًا، لابــد من وجود شخص ما يعطى الوالدين دروسًا فى مهارات الوالدية قبل أن يُسمح لهما بإنجاب الأطفال.

لم نقم بفعل أى شىء فى تلك الليلة فى الجراج، أقــصد أننـــى أردت النـــوم بجواره فقط، فقد كانت تلك طريقة لطيفة لوداعه، لكن تار المـــسكين لــم يـــستطع أن يقول وداعًا بطريقة لطيفة فعلاً، لو كنت قد فعلت ذلك مـــن قبـــل لكانـــت قـــد أصبحت طريقة لطيفة للوداع، ولكنى لا أدرى ما إذا كان اللقاء الأول هو الطريقـــة المناسبة للوداع.

أنا لم أفعلها بالنسبة لوالدىَّ ولم أقل لهما وداعًا عندما تركت المنـــزل، لقـــد أردت أن أصبح قادرة على أن أقول لهما، انظرا... هذا الفتى كان صـــديقى، لقـــد كان حقًا يعانى من مشكلات صعبة، وكان مضطربًا حقًا وغير متـــوازن، وكـــان مجروحًا وحزينًا، لقد صدمه والده فى بداية حياته، وكان هاربًا بعيدًا عنهما، وقـــد

قضيت هذه الليلة معه لأنه كان محتاجًا إلى الصحبة، وأعتقد أنه كان واقعًا في غرامي، لكن لم تكن هناك أية علاقة جنسية بيننا، إننا لم نفعل ذلك أبدًا، لقد كان مجرد... أن نكون قريبين من بعضنا.

هل كان هذا مجرد إحساس إنسانى أم ماذا؟.

وكان الشيء الوحيد الذى ندمت عليه هو أننى فضلت والدىَّ على تار.

إننى لن أقترف هذا الخطأ مرتين، لأننى عندما عدت إلى المنزل فى اليوم التالى انفتحت علىَّ أبواب الجحيم كلها.

كان أبى يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا قائلاً: "لا بد من وجود حدود... يجب أن تكون هناك قواعد!!".

وكانت أمى جالسة على حافة المقعد بدون أن تتفوه بأى كلمة أو تفتح شفتيها، كانت تحاول ألا تصرخ.

– "يجب علينا جميعًا اتباع القواعد يا جيما، وعندما أحرم عليك فعل أى شيء فأنا أتوقع منك أن تطيعينى...".

حاولت أن أبتسم لأمى، ولكنها نظرت فى الاتجاه الآخر، ثم أطل علىَّ أبى بطلعته البهية قائلاً:

"إن سمعة الفتاة هى أعظم ممتلكاتها...".

تفكير العصر الحجرى!

فقلت له: "وماذا عن شهادتها؟ وماذا عن قدرتها على أن تضع أحمر شفاه على شفتيها بطريقة جيدة وجذابة".

حاولت أمى أن توجه المناقشة إلى عالم الواقع فبدأت قائلة: "أنت لا تـزالين صغيرة جدًا يا عزيزتى".

لا يزال يجب عليها أن تتعلم.

– "ماذا سنفعل يا جيما، إن والدك على حق، يجب أن تكون هناك قواعـد، يمكنك إدراك ذلك بالتأكيد؟".

قال والدى: "أين دافيد؟".

إنه يعنى تار، لقد أطلق والدى اسم تار (أى قطران) على دافيد، وهو الاسـم الذى سيناديه به معظم أصدقائنا فيما بعد، واستمر أبى قائلاً: "لقد عمدته باسم تـار؛ لأنه يطلب منى دائمًا أن أقلع عن التدخين، وكان يقول لى باستمرار: إن القطـران سوف يدخل إلى رئتيك".

قلت لوالدى: "اتصل بمنزله واكتشف الأمر بنفسك".

– "لقد فعلت وقال لى والده إنه لم يذهب للمنزل، ولكنه وعدنى بأن يعطيـه ما يستحق عندما يصل للمنزل".

وكدت لأقول له إنه سوف ينتظر كثيرًا ولكنى أمسكت لسانى وقلت له: "لقـد فعل ذلك بالفعل وقد ضربه والده مرة أخرى أول أمس".

قال أبى مخرجًا صوت شخير من أنفه: "هل تقصدين أنه اشتبك معـه فـى معركة أخرى".

إن والد تار يعمل معلمًا فى إحدى المدارس العليا المحلية، ويمكننا أن نـرى الطريقة التى يعمل بها عقل والدى: معلم= شخص جيد، وعلاقة سيئة مـع تـار= خطأ تار نفسه وليس خطأ والده.

أخبرت والدى أن والده يحطم زجاجات الخمر بعد شربها، وقلت له: "اذهب وانظر إليه فى المرة القادمة، سوف تشم رائحة الخمر تفوح من فمه، إن هـذا هـو التأثير الذى ننظر إليه نحن الشباب".

- "لا تحاولى أن تكونى ماهرة معى".

- "انظر... لقد كان تار مضطربًا وغير مستقر، وكان فى حاجة فقط إلـى شخص يمكث معه، ولكن لم يكن هناك علاقة جنسية بيننا، لقد كان كل شىء علـى ما يرام".

سادت لحظة صمت، كان والدى ينظر خلالها إلى ويمكنك أن ترى كم كـان والدى غاضبًا، كما لو أننى كنت مسئولة بطريقة ما عن تهديد سلطته.

ثم قال: "كاذبة".

أصبحت الغرفة كلها باردة، كانت أمى غاضبة، وكنت أنا أفكر فى الأمور، وكانت أمى تحملق فى والدى، أقصد أننى لم أكن أعرف ما إذا كانت تـصدقنى أم لا؟، لكنها كانت ترغب فى تصديقى، لا أعلم ما الذى كان يعتقده والدى لكنه كـان يريد فقط أن يجرحنى.

لقد جرحنى بالفعل، لكنى لم أجعله يرى ذلك، وقلت فقط: "أنا أصدق كـل كلمة وكل شىء تقوله أيضًا".

اتجهت إلى الباب، ولم يكن ذلك كافيًا بالطبع بالنسبة له، فجذبنى إليه وبـدأ فى لومى مرة أخرى، ولكنى كنت قد نلت ما يكفى وفقدت السيطرة علـى نفـسى، وجريت خارجة من الغرفة وأنا أصرخ: "سوف أسقط ميتة".

أغلقت على نفسى غرفتى بالمفتاح وحاولت الانشغال بالموسيقى، ورحت أسمع أغنية تقول:

عندما يراكِ فى ضوء الصباح البارد.

يقول ما الذى تفعلينه يا ابنتى فى حياتك؟

آه يا أبى العزيز، إنك تعرف أنك ما زلت الشخص رقم واحد فى حياتى.

لكن الفتيات لا يردن إلا المتعة والترفيه.

آه.. إن الفتيات لا يردن إلا المتعة والترفيه.

ذلك هو كل ما يردنه فعلاً.

عزفت تلك المقطوعة مرارًا وتكرارًا من قبل، لكن أتوقع أنها لم تؤثر فى والدى، إنه لم ينصت إلى تلك الأغنيات أبدًا، إن الفارق بين والد تار ووالدى هو أن والد تار شخص منطقى أساسًا، لكنه لا يسعى لأن يكون منطقيًا بصورة واضحة وصريحة، أما والدى فهو كتلة من اللامنطقية، ولكنه لا يتهاون أبدًا فى الحرص على أن يجعلك تقتنع تمامًا بأنه منطقى إلى حد بعيد.

لقد أتى والدى بعد ذلك واعتذر لى، واعتقدت لوهلة قصيرة أن كل شىء سيصبح على ما يرام وبطريقة ودية، ولكنى خمنت ما الذى سيحدث فيما بعد عندما بدأ فى الإشارة إلى أنه كم يبدو الإنسان كبيرًا عندما يعترف بخطئه، ولقد أتى دورى الآن للاعتراف بخطئى.

حسنًا، إننى لم أكن مخطئة، لقد كنت مجرد عاهرة باردة حقًا، ليس لمصاحبتى لتار فى ليلته الأخيرة فى مينلى، وقد بدأت فى التفكير فى أن الخطأ

الوحيد الذى اقترفته هو رفضى للنوم معه، ولكنى أعرف متى أفتح فمــى، ومتــى أحتفظ به مغلقًا. لقد كان من السهل علىَّ التعامل مع أبى، لكن المشكلة هــى أنـــه كان كثيرًا ما يغضبنى إلى درجة تجعلنى أنسى ذلك فى بعض الأحيان.

لقد قررت أنه حان الوقت للتهدئة وجعل الأمور ذات مذاق حلو مثل الــسكر بينى وبين أبى، فقمت بالاعتذار وقفزت لأحيطه بذراعى وأحتضنه وأقبله.

وقلت له: "إنك ما زلت الشخص رقم واحد فى حياتى يا أبى"، فأصبح لونـــهورديًا مثل الكريز، لقد سيطرت عليه ووضعته فى راحة يدى، وكان ذلــك عنــدما اندفعت أمى نحو الباب مثل ممثلة فى مسرحية "بانتومايم".

تساءلت أمى كما لو كانت لا تعلم: "هل أصبحتما أصدقاء الآن؟".

لابد أنها كانت مختبئة خلف الباب طوال الوقت لكى تمثل هذا الــدور، لقــد كرهت أن تتلاعب بى أمى وتعاملنى بهذا الشكل.

قال والدى: "آه، نعم، إمم... إنه مجرد نقاش حول ما سوف نفعله فيما بعد، أليس كذلك يا جيما؟".

أخذ والدى الآن يميل إلى إنهاء أمر هذه اللفتة الوالدية، كما لو كانت والدتى قد لفتت نظره إلى ما أفعله عندما طلبت منى أن أتخطى أمر التعامل معه بالطريقة السابقة، لقد كان من اليسير علىَّ تجريد هذا الرجل العجوز مــن أســلحته وجعلــه يستسلم أمامى من تلقاء نفسه لو كان قد ظل بمفرده معى، لكن كــل ذلــك انتهــى بمجرد قدوم أمى من ركن المنزل... فقد حدثت كل هذه الأمور مع قدومها.

لا خروج من المنزل طوال الأسبوع، عمل الواجب كل ليلة، وسحب كل الصلاحيات (أى صلاحيات؟ التنفس؟ استخدام الحمام؟) وتار ممنوع منعًا باتًا، وكذلك أصدقاء تار.

كانت هذه التعليمات مثل تلك التى تُكتب على اللافتات على الشواطئ لكى تحذرهم من المحظورات... ولا يمكن الخروج سوى فى ليالى الخميس والجمعة، وتكون العودة إلى المنزل فى الساعة التاسعة مساءً.

- "أه، ألا نستطيع أن نجعلها حتى التاسعة والنصف لو سمحتم؟".

ردت أمى: "حسنًا، لو وعدتنى أن تكون العودة فى الساعة التاسعة والنصف تمامًا".

كنت أحاول أن آخذ الأمور مأخذ السخرية، فقد تم حزم الأمور كلها تمامًا.

كنت أنتظر هذا الأمر، وكان من المفترض أن يكون ذلك سببًا لانهيارى.

كنت أحاول أن أكون باردة، كنت أقطر سخرية، ولم أكن أنوى حتى أن أزعج نفسى بالمجادلة أو مناقشة الأمور، ولكنى كنت أعيش، وكذلك كانت أمى تعيش هى أيضًا، واستطعت ملاحظة أن أبى كان يبدو مجروحًا قليلاً كما لو أن الأمور قد ذهبت لمدى بعيد، لكن أمى كانت قد أخذت قرارها وصممت عليه.

فتحت فمى لأقول شيئًا ما يحسن الأمور، ولكنى لم أستطع التفوه بأى شىء، كان ذلك مجرد نوع من الحماقة.

قالت والدتى وهى تهم بتعديل جونلتها برفق: "سوف يستمر ذلك فقط إلى أن تعودى للنظام القويم."

"أنت تعتقدين أننى لا أستطيع أن أكون أهلاً للثقة، ولكنى فعلت كل ما بوسعى لكى أجعل الأمر يمر بسلام... بوه... بوه... بوه".

كان يجب علىَّ أن أغلق فمى، لن أصل أبدًا إلى نهاية الجملة، أخذت أصيح صيحة طويلة بصوت عال، واندفعت خارج الغرفة، ولكن لم يكن لدى أى مكان لكى أذهب إليه لأنهما كانا جالسين فى فراشى، ونادى علىَّ أبى...: "جيما"، فقالت له أمى... :"اتركها".

اندفعت نازلة السلالم كالإسفنجة المبللة بالماء بسرعة مائة ميل فى الساعة، واختبأت فى المطبخ محاولة أن ألتقط أنفاسى، بعدها نزل أبى وأمى السلالم مرة أخرى، فاندفعت عائدة إلى غرفتى وأغلقتها علىّ.

صرخت قائلة: "**أوغاد، أوغاد، أوغاد**".

وساد نوع من الصمت المفعم بالتفهم.

أخذت الأمور فى الهدوء بعد برهة، وقررت أن ألاعبهما ببرود على أمل أن ينتهى الأمر كله بصورة نهائية، لم أخرج أبدًا فى ذلك الأسبوع... حسنًا... لم يكن هناك تار، أليس كذلك؟، أما باقى الشلة فلا يزالون على الشاطئ أمام البحر، واستطعت أن أتماسك لعدة أيام قلائل، ولكنى بدأت العمل فى نهاية الأسبوع، لن أفتقد تلك المتع أبدًا.

حصلت على وظيفة صغيرة لطيفة، وهى تقديم الشاى للسياح، ولكنى عندما كنت أنظر ورائى وأعيد التفكير فى الأمر، فإن ذلك العمل لم يكن عملاً صغيرًا ولا لطيفًا على الإطلاق، بل إننى كنت أعمل مثل العبيد، ولكن فى مكان بعيد صغير ومطل على البحر مثل مينلى هل يمكن أن يكون تقديم الشاى للسياح شيئًا مثيرًا؟ لكنه كان يدر على دخلاً ونقودًا تدخل جيبى على أية حال.

لم يقل لى أحد أى شىء، وتركانى أفر خارج البيت ولم يسألانى أبدًا إلى أين أنا ذاهبة.

وعندما ذهبت أخيرًا إلى غرفة الشاى الخاصة بعمتى جوان، كانت هناك فتاة أخرى تجهز الأماكن الخارجية بجوار الشباك، ثم أتت عمتى جوان تمشى بشموخ و... أوه... إنها جيما... يا لها من مفاجأة.

فذكرتها قائلة: "إننى أعمل هنا".

حملقت عمتى جوان فى وهى تفكر... إنها لم تكن عمتى بالطبع... ولم تكن- على حد علمى- عمة أى أحد على الإطلاق، لقد أطلقت هذا الاسم على نفسها بعد أن امتلكت غرفة تقديم الشاى هذه.

قالت العمة بلطف: "لقد سمعت أنك شقية قليلاً يا جيما".

فقلت: "آه... حسنًا"، ما الذى يجب عمله معها؟ لقد مضى وقت طويل لم ألصق لسانى فى زور أى أحد ولم أقبل أى صديق منذ فترة طويلة، بينما كان الزبائن هنا يلتهمون الكعك بشراهة.

تمتمت العمة قائلة وهى تنظر إلىّ: "لقد اتصل أبوك" لم أتفوه بأى كلمة، ولكنى انتظرت فقط.

- "يؤسفنى أن أخبرك أنه لم يعد لك عمل هنا بعد الآن". قالت ذلك بجفاء ولم يكن لديها أى كياسة أو لباقة لكى يبدو عليها أى مظهر من مظاهر الارتباك أو الإحراج.

هل أنا فى حاجة؟ هل أنا فى حاجة لكى أقول كيف كنت أعيش هنا، وبرغم ذلك لقد اتصل بها ذلك العجوز اللعين أبى وأنهى عملى عندها.

لم يكن له شأن بذلك.

لم يكن من حقه ذلك.

أما بالنسبة ليا- هذه الخفاشة العجوز-، فمن تظن نفسها؟.

وسألتها: "منذ متى أصبحت مفتشًا فى شرطة الأخلاق؟".

انطلقت قائلة بقلة حياء: "لا داعى لذلك، أنا آسفة، ولكننى لا أستطيع تحمل مسئولية توظيف بنت قاصر بالمخالفة لرغبة والديها" وأدارت ظهرها وخرجت.

استدرت وحملقت فى الفتاة الأخرى التى احمرت خجلاً وحاولت الاختباء خلف أطباق الفناجين، وتوقعت أنها ظنت أنها ستجدنى أعربد فى المطبخ تاركة غلاية الشاى تفور.

لقد وصل بى الذل والهوان والتحقير إلى درجة لا يصدقها عقل.

صرخت فيها من أعماق صدرى صائحة بأعلى صوتى: "انظرى! إننى لو أردت العمل فى مؤسسة حيث يكون لطعم مربى الفراولة مذاق السمك!".

واندفعت خارجة كالعاصفة، لقد أفزعها تصرفى هذا، فقد اعترفت لى فى لحظة مودة أنها تصنع المربى فى منزلها فى نفس الإناء الذى اعتادت أن تغلى فيه فضلات السمك لقطتها، إن مدينة مينلى كلها ستعرف هذا قبل أن ينتهى النهار.

سرت نحو البحر وأنا أنتحب وأنتحب، أبكى بحرقة وأتمزق، لقد كانت حياتى على حالتها هذه مهددة وضائعة، أما بالنسبة لهذه العجوز العمة جوان، فقد أحبت كل دقيقة من حياتها، وتوجد أسطورة بين التجار المحليين تدعى أن كل المشكلة فى مدينة مينلى سببها أطفال المنطقة المحليون، وإذا قام شخص ما يثنى

إيريال سيارة أو قلب صندوق قمامة على الشاطئ: فإنهم سوف يتجمعون جميعًا معًا مثل طيور النورس ويتحدثون ويدمدمون بتذمر بحديث جاد وغير ودى عن الشباب وعدم النظام وكيف أن الشباب الصغار كانوا يفسدون المدينة، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يرحبون بكل سعادة بأى عدد من اللصوص من خارج البلدة، فهؤلاء الأغراب يمكنهم أن يدوروا حول المدينة وهم يتقيئون ويصرخون ويركلون صناديق القمامة ويقلبونها طالما راق لهم ذلك، ولم يكن ذلك سوى تعبير عن الروح الشبابية العالية ومعنوياتهم المرتفعة التى ترحب بأى سائح لديه نقود، وبصورة أساسية فإن أى شخص لديه، ولو ورقة مالية بخمسة دولارات فى جيبه، كان يعتبر مقدسًا مثل الأم تريزا فى كلكتا، وذلك على حد قول التجار المحليين.

إن مينلى كلها كانت مهيأة لاستقبال السياح، ولو لم يكن للتجار المحليين طريقتهم الخاصة فى جذب السياح لأصبح المكان مغلقًا تمامًا فى الشتاء، وكان سيتم إرسال السكان المحليين إلى منطقة سكاربورج فى سيبيريا أو إلى مكان آخر مشابه، ولكن تلك قصة أخرى.

إن غضبى عندما كنت أعمل لدى السيدة العمة جوان كان بمثابة يوم رائع فى منتصف الربيع بالمقارنة بالاحتراق والغضب العميق الذى كان يشعر به والداى الحبيبان.

لم أعد إلى المنزل فى ذلك اليوم، وقد مكثت فى الواقع بعيدة طوال عطلة الأسبوع تعبيرًا عن غضبى واعتراضى على منعى من الخروج من المنزل فى عطلات آخر الأسبوع.

وكانت مؤامرتى التالية هى أن أظل خارج المنزل حتى الساعة العاشرة فى كل ليلة من ليالى نهاية الأسبوع، إنهما لن يستطيعا بالتأكيد إبعادى عن المدرسة

بحجة الحفاظ على النظام، لقد نظما الأمر بأن يستلمنى أبى كل يوم من المدرسة بنفسه فلا أستطيع الهرب أو التزويغ، يا إلهي! إن الجميع أصبحوا يعرفون ما الذى كان يحدث، لقد أتى أبى بالفعل ليأخذنى من الفصل، مما جعلنى أشعر بأننى سوف أموت من الشعور بالذل والهوان.

لقد كانت الأمور تخرج حقًا من إطار سيطرتى، ورأيت أن أمى كان لديها أفكار أخرى، ولكن فى ذلك الوقت كان أبى هو الذى يشعل كل الحرائق، لقد سمعتهما يتجادلان فى إحدى الليالى، وقد سرنى أن أظن أنها كانت تحاول أن تقنعه بأن يهدأ، ولكنه فى تلك المرة كان يشعر بأن سلطته الوالدية فى خطر وكأنها موضوعة على المحك، كما لو كنت تحاول إيقاف مباركة "البابا" للأطفال، ولم تكن أقدام أمى ثابتة لكى تقف بقوة أمامه لذا تركت له كل شيء له.

إن أمى هى فيلسوفة الأسرة.

قالت وهى تشرح لى: "إن الحب موجود يا جيما، والكرم موجود والتسامح وكذلك التسوية والحلول الوسطى، أنا لا أحب أن أعاملك كطفلة، إن كل ما يجب عليك فعله هو أن تُظهرى لنا أنه يمكنك الالتزام ببعض القواعد البسيطة، وأنه يمكننا أن نستأنف حياتنا الأسرية بصورة عادية، يمكنك الحصول على عمل جديد وأن تقضى عطلات نهاية الأسبوع خارج المنزل مرة أخرى، إننا لا نحتاج إلا لرؤية بعض الشيء من تحمل المسئولية من جانبك فقط، إن ذلك هو كل ما نطلبه منك".

كان والداى يحتاجان إلى أن يتلقيا درسًا.

لا تقل لى إنك قد أجريت هذه المجادلة الرهيبـــة مـــع والـــديك، إن الحيـــاة بغيضة، لماذا يجب عليك أن تصبر وتتحمل كل ذلك؟ ماذا تعتقد؟ لماذا حقًا؟ لمـــاذا لا نترك البيت بدلاً من ذلك؟ إنه أمر سهل، وهو أمر هين أيضًا، وهو يجعل موقفك ووجهة نظـــرك تمر بطريقة جميلة.

"إنه فقط ليس سهلاً، أليس كذلك؟ بمعنى أنه قد يكون سهلاً وقد يكون صعبًا، ولكن كيف لك أن تعرف؟ إنك مجرد طفل يافع ولا تزال لديك أشياء كثيرة ينبغـــى أن تتعلمها، إنها ليست أمرًا يسيرًا مثل الذهاب لمتجر وطلب دليـــل للهـــرب مـــن البيت.

"حسنًا، ها هى- ماذا كنت تنتظرين؟:

الدليل العملى

لجيما بروجاس

للهرب من المنزل

دليل الخطوات العملية التفصيلية خطوة خطوة

١- ستحتاجين: ملابس- جاكت صوف- ملابس داخلية- الكثير من الملابس الثقيلة- الكثير من الملابس الداخلية- المتعلقات الشخصية- بالطو واقيًا من المطر- حقيبة نوم- قلما رصاصيًا- ورقًا- نقودًا- كارت البنك الخاص بوالدك ورقمه السرى.

٢- نوتة صغيرة: سوف تحتاج إليها.

٣- فكرى فيما يلى: ماذا سيفعل أبوك وأمك؟ سيحاولان بالطبع أن يجعلاك تعودين، سوف يكون هناك شرطة، آه يا إلهى، ابنتى الصغيرة تركت المنزل وقد تكون معرضة للكثير من الإساءة البدنية أو الجنسية الآن، وقد تكون مقتولة وملقاة فى أحد صناديق القمامة معلقًا عليها بطاقة صغيرة مكتوبًا عليها "هذا درجة ثانية، وليس لها أى قيمة تذكر"، ولم يحدث أبدًا لهما أن تلك الصغيرة لويزا قد زهقت أو ملت من تعامل أبيها أو أمها معها لدرجة أنها تركت مكانها الذى تشعر فيه بالانسجام والألفة، وهكذا...

٤- وإذا أردت ألا يتتبع جميع رجال الشرطة فى البلد أثرك أو أن تُزين صورك كل الصحف القومية أخبرى أبويك بما تنوين فعله (قد تريدين بالطبع أن تظهر صورك فى الصحف المحلية، ولكن ليس عند فرارك من المنزل).

٥- هنا يأتى دور القلم والورقة، اكتبى لهما ملحوظة شارحة أنك سوف تهربين، لذا فإنه يجب عليهما أن يتوقعا ألا يرياك إلا نادرًا فى المستقبل القريب، تمنى لهما حظًا سعيدًا، وأخبريهما أنه لا داعى للاستسلام للمشاعر الصعبة، وأنك تأملين أن يتفهما ذلك، ويمكن أن تسأليهما كيف سيتحملان الحياة معًا بدونك بعد أن جعلا حياتك البسيطة غير محتملة إلى درجة أنك اضطررت للهرب إلى العالم الصعب إلخ... إلخ، ولكن احذرى لأن ذلك سوف يضعف من مصداقيتك.

٦- احجزى تذكرة الأتوبيس باستخدام كارت الفيزا الخاص بوالدك.

٧- خذى النقود واجرى.

وإذا أردت أن تتأكدى من ذلك اكتبى لهما، أو اتصلى هاتفيًا وأخبريهما أنــك تتغذين جيدًا وترتدين الكثير من الملابس الصوفية، وبهذه الطريقة فــإن البــوليس

سوف يقول لهما عندما يطلبان منه أن يساعدهما لكى يحصلا على ممتلكاتهما التى سلبتها "إنها ترتدى جاكتين صوفيين أليس كذلك؟ وأخذت حقيبة نوم... آه؟ همهم؟".

وهكذا كما ترين فإنهما أثناء كل ذلك الاهتمام الكبير بك فإنك قد تكونين ميتة.

وفى الحقيقة (وهذا سر لن أبوح به) أنا سوف أهرب من البيت لمدة قصيرة، فقط وسأعرف عندما أصل إلى المكان الذى أقصده المدة التى سأتغيب فيها عن المنزل بالضبط، ربما أسبوعين... ربما شهرًا.

ولكن أبى وأمى لا يعرفان ذلك بالطبع.

اتصل بى تار يوم الثلاثاء، وكان والداى قد ذهبا للعب الإسكواش، وكنت بدأت فى إخبار تار عن ذلك، وفجأة ابتسمت ابتسامة عريضة غطت وجهى كله، وذلك عندما أدركت أننى كنت سأفعل ذلك حقًا، قبل... أنت تعرف، لقد كنت أقصد ذلك، ولكن كانت هناك تلك الأفكار التى تراودنى بأننى كنت أخدع نفسى، ولكن عندما بدأت الابتسام عرفت ذلك وكان هو أيضًا يبتسم، واستطعت أن أستمع إلى صوت عضلات وجهه وهى تتمدد عبر الهاتف.

شعرت بالذنب قليلاً... لأنه كان يرغب فى بشدة و... وكان الناس دائمو الحديث عن الحب كأنه شىء يحدث كل يوم، ويقول الناس إنهم يحبون والديهم ولكن ماذا يعنى ذلك؟.

إنهما ليسا مؤذيين لنا بدرجة كبيرة، أليس كذلك؛ أنا أكرههما أحيانًا ولكنى لا أعتقد أن مشاعرى تجاههما أقل من مشاعر أى إنسان آخر، كل ما أعرفه هو هذا؛ إذا كان هناك شىء مثل ذلك الذى نطلق عليه حالة حب أعتقد أننى لم أصل لهذه

الحالة بعد، ولكننى عندما أفعل وأشعر بحالة الحب فإننى سوف أصبح عندئذ **مفتونة ومتيمة بالحب**، وفى جميع الأحيان، وفى كل مكان سوف أفعل أى شىء لأحققه، وأطلق على هذه الحالة أى اسم تشاء مهما كان هذا الاسم.

ولكنى أنوى فى نفس الوقت أن أحصل على حريتى كاملة.

إن تار حبوب جدًا، إنه من ذلك النوع من الأشخاص الذى يجعلك تريد الاقتراب منه، وقد مر بأوقات عصيبة، ولا يوجد أحد يمكن أن يكون قد مر بأوقات عصيبة مثله، إنه من ذلك النوع الذى تجد نفسك تختاره وتنتقيه لكى تقع فى حبه، وأنت تعرفنى وتعرف أننى أقع فى الحب عندما يستثيرنى الصوت العالى أو منظر غريب لشخص يرتدى حلقًا فى أذنه، هذا هو حظى.

وهكذا كان الأمر... ربما كان ذلك ظالمًا قليلاً بالنسبة له، ولكننى من ناحية أخرى أعجبت به أكثر من أى شخص آخر، وتخيلت أن ذلك الإعجاب شىء سىء، وقد بدأت بعد المكالمة التليفونية فى التفكير فى قضاء بضعة أيام معه بدون وجود أى أحد يأمرنى بأن أفعل هذا أو أفعل ذاك... وقد شعرت فقط بأننى فى حالة جيدة جدًا بسبب ذلك، كنت أمسك يده فى الظلام، وأنام معه، وأتحدث إليه عندما نكون بمفردنا، وكنت أعتنى به لأنه مسكين، كان تار يحتاج لوجود شخص ما معه، كان يريد شخصًا ما، كان يريدنى أنا.

وعندما كنا مختبئين خلف الصخور مع ذلك الحشد من الناس كان يحضننى أحيانًا بشدة، وأنا أعتقد أنه لم يكن يحضننى فقط وإنما كان يتمسك بى لكى أحميه من السقوط، وكنت أراه ينظر إلىَّ وعيناه مليئة ب... كان وكأنه على وشك البكاء،

أنا أعرف أن هذا غباء لكنى أعتقد أنه ربما كان يتألم لأنه يحبنى وأنـا لا أحبـه، وكان هذا الفتى الضخم يمسك برقبتى وكنت أحضنه بشدة محاولة أن أعصره بـين ضلوعى بكل قوتى لكى أشعره به بحبى بالقدر الذى يحبنى به، لكنى كنـت أظـن فى أوقات أخرى أن ملامح وجهه هى التى تجعلنى أعتقد أنه كان يحبنـى بمثـل هذه القوة.

(٣)

تـــــار

أنا وجيما... إنك لن تصدق ذلك أبدًا، ولا ينبغي أن أنطلـق فـي الحـديث، عندما التفتت إليَّ ورأيتها لأول مرة على الشاطئ اعتقدت عندئذ أنني لـن أعجـب بها، كان ذلك في ليلة السبت، وكنا قد أشعلنا نيرانًا كبيرة أمام أسقف المصنع على بعد حوالي نصف ميل خارج المدينة، كانت نيرانًا كبيرة وجيدة، فقد وجـدنا كتلـة ضخمة من الخشب، كانت جزءًا من قارب قديم، فسحبناها أنا وكيني إلى الشاطئ، وكانت ملطخة بالقار وبها مسامير نحاسية، وتحول النحاس إلى نيـران خـضراء، كان ذلك منظرًا ساحرًا خلابًا.

كانت جيما منبهرة بهذا المنظر، فمثل هذه الأشياء تثير انبهارها ودهـشتها، وهذه إحدى الأشياء التي تعجبني فيها، لقد استثارتها النيران كما اسـتثارها أيـضًا لقاؤنا الأول، وكذلك صوت البحر في الظلام، والليل...

كانت مدينة مينلي غارقة في صمت كئيب، وليس لدى أحـد أي وقـت لأي شيء خاص بأهل المدينة المحليين، وكان من يتجول في المدينة من أهاليها يـشعر كأنه غريب غير منتمي، ثم... تجد هذه المجموعة من الأشخاص الذين في نفـس سنك جالسين على بعد نصف ميل خارج المدينة أمام هذه النيران الساحرة يشربون

ويدخنون ويفعلون كل ما يحلو لهم وما يرغبون فيه، أنا أتذكر جيدًا عندما اكتشفت حياة الشاطئ لأول مرة، لقد كانت رائعة فعلاً.

كانت جيما جميلة حقًا ولكنها كانت تتحرك باستمرار، لا تهدأ وتهتز طربًا ونشوة من روعة ما كانت تراه وتسمعه، لقد ثملت وانتشت، وأخذت أفكر وأتساءل: "ألم تتعب أبدًا من صوتها؟"، ولكنى بقيت وبقيت هى إلى نهاية السهرة حتى لم يتبق سوى خمسة أو ستة من أفراد الشلة فقط.

وحان الوقت الذى كنت أعود فيه عادة إلى المنزل، وعندما تأخرت فى العودة كان الآخرون يغادرون المكان اثنين اثنين، ومن يظل جالسًا هناك فسوف يبقى وحيدًا مثل النبات البرى، كنت أحاول عادة أن أترك المكان قبل أن يصبح خاليًا، ولكن فى تلك الليلة ظللت موجودًا هناك كما ظلت جيما موجودة أيضًا، بينما غادرالآخرون المكان اثنين اثنين وفكرت فى... أوه، لا...

فى مثل هذه المواقف فإننى أشعر دائمًا بأنه ينبغى علىَّ التحرك وفعل أى شيء، ولكنى لم أجرؤ على ذلك، ولم أرغب فى الذهاب أو مغادرة المكان، لأن الجميع كانوا سيعرفون أننى لم أجرؤ على الحديث إليها، وينبغى أن تكون أكثر ثقة بنفسك منى لكى تستطيع أن تجذب فتاة مثلها إليك.

جاءت جيما وجلست إلى جوارى وبدأت الحديث...

سادت لحظات صمت، وكنت قلقًا من أن تكون قد ملت أو شعرت بالضجر، ولكنها لم تكن مهتمة، ثم بدأت تسألنى عن نفسى... وأخبرتها عن بيتى وأمى وأبى، وشعرت بأننى مثل... شخص غبى، أنت تعرف طبعًا! لأن كل شخص قد أصبح يعرف مشكلاتى، وها أنا أتحدث عن تلك المشكلات مع هذه الفتاة الجميلة،

كنت قد ظننت أنها قد سئمت مللاً من حديثى، ولكنها ظلت تسألنى عن أشياء أخرى خاصة بى بصوت هادئ مختلف تمامًا عن صوتها الذى كانت تصيح وتصرخ به من قبل، فأخبرتها بكل شيء، كل شيء بطريقة أكثر من اللازم، وظللت أنظر إليها مفكرًا لماذا تسألينني كل هذه الأسئلة، ماذا ستفعلين معى؟.

ثم بدأت بعد ذلك فى الحديث مع شخص آخر وظننت... أوه، حسنًا... وكان الشيء التالى لذلك هو شعورى بأصابعها تداعب يدى، لم أستطع أن أصدق ذلك، وظننت أن هناك خطأ ما قد حدث، تعانقت أيدينا ثم استجمعت كل شجاعتى ولففت ذراعى حول خصرها ومالت علىّ، وابتسمت فقط، فشعرت بسعادة غامرة، ولكنى لم أستطع تقبيلها، وكنت أبتسم طوال الوقت.

تنهدت جيما: "أووه" عندما ضغطت على شفتى بأسنانى وأخبرتها أننى سعيد جدًا.

فقالت: "حسنًا... حسنًا".

عندما اتصلت بها بالتليفون فى ذلك الثلاثاء بعد مغادرتى للمنزل وطلبت منها أن تأتى لرؤيتى، احمر وجهى مثلما حدث عندما رأيتها فى تلك الليلة للمرة الأولى، كنت أبتسم مثل الأبله، وكان الناس يبتسمون لى وأنا أسير مبتعدًا عن كابينة التليفون، لقد كان ذلك عظيمًا ورائعًا حقًا.

كنت أشعر شعورًا رائعًا لكونى بعيدًا عن المنزل ومع نفسى، لقد شعرت الآن بالعظمة، وأردت أن أجعل هذه اللحظة تطول وتمتد على قدر الإمكان، كما يحدث فى الأفلام وكيف تمتد المشاعر الخاصة عند سماع أغنية أو مقطوعة موسيقية فتتمنى لو أنها تستمر ولا تنتهى أبدًا، أو مثلما أكون فى قارب يطفو على

صفحة النهر أو أطير في منضاد مع شخص يعزف على جيتار، لكنني ها هنا في وسط هذا الشارع القذر القديم بمدينة بريستول وأصبحت أعرف تمامًا أنه من الممكن حدوث أى شيء في أى لحظة وأنني سوف أشعر بذلك الشعور البغيض مرة أخرى، كان ينبغى علىَّ أن أفعل شيئًا ما، ثم فكرت بعد ذلك في القيام بنزهة في الحديقة... ياه.

سوف يكون هناك أطفال صغار يمشون في الطرقات، وأناس يفسحون كلابهم، لقد كان ذلك في أواخر الربيع وكانت أزهار النرجس لا تزال مزدهرة، والزهور متفتحة على الأشجار، وكان الناس يطعمون البط والحمام، فتناولت أيس كريم مثلجًا، وكان معى جهاز "الوكمان" فكنت أستمع إلى الموسيقى كلما أردت.

أحسست في هذه اللحظة بأنني أرتفع إلى أعلى وأنني مستعد لأن أقفز في الهواء... ووضعت يدى في جيبى، بدون أن أعرف لماذا؟ كان معى جنيه، وفكرت لقد رجعت متأخرًا جدًا، وبدأت أحس بأن تلك المشاعر الجيدة قد أخذت في التلاشى بالفعل، وأخذت أفكر في أنني إذا كنت قد أنفقت نقودى على الآيس كريم فيجب علىَّ الذهاب إلى المدينة وتسول بعض النقود من المارة ولكى أستطيع الحصول على شيء آكله في تلك الليلة.

كان التسول شيئًا مقيتًا جدًا، ولا توجد أى طريقة لطيفة للتسول، وكل ما ينبغى عليك عمله هو أن تضع رأسك بين ركبتيك وأنت مطرق وتمد يدك محاولاً التظاهر بأنك لا تتسول.

إنه شيء غبى جدًا، كان يوجب علىَّ الحصول على بعض المال لكى أستطيع الإحساس بالسعادة لقدوم جيما لرؤيتى، وكنت أعرف أن ذلك سيحدث بالفعل، وأن هناك أسبابًا متعددة يمكن أن تجعلنى أشعر بعدم السعادة وتجعل

سعادتى لا تدوم لأكثر من ثانية، وشعرت وكأن اللحظات تتجمع من حولى وتقفــز بى إلى الهواء... ثم تلقى بى على الأرض وأنا أشــاهد اللحظــات وهــى تهــرب وتتركنى وحيدًا...، ثم لاحظت نباتات الهندباء، كان هذا النبات يتخلــل الحــشائش الموجودة على جانبى الطريق، كان كتلة متداخلة من الأصــفر والأصــفر الفــاقع والأصفر الذهبى، وكنت واقفًا هناك أفكر فى هذه النرجسات البرية وأين يمكــن أن توجد فى أماكن أخرى، لقد كانت هذه النباتات موجودة هنا طــوال هــذا الوقــت، هذه الهندباء البرية لم تكن من أجلى ولا لكى أنظر إليها، ولكن لأن هــذه النباتــات أرادت ذلك، وأرادت أن تكون هناك على طوال هذا الشارع القذر، هــذه الزهــور البرية التى تتوهج اشتعالاً أصفر وذهبيًــا، وكانــت النــاس تــذهب وتغــدو دون أن يلاحظها أحد.

لا بد أننى قد مررت بها عدة مرات من قبل دون أن ألاحظ وجودها أبدًا.

أعرف أن هذا قد يبدو نوعًا من الغباء، لكنه بدا لى كأن هذه الزهــور قــد انبعثت من جيما، وكأنى رأيتها وأحسست بوجودها لأول مرة عندما عرفت جيما.

وقفت هناك لبرهة وكأننى أمتص ذلك اللون، كنت أعشق اللون الأصفر، إنه لون ضوء الشمس، وعندما ينتهى كل هذا وأتأهب للدخول للجامعة، كنــت أريــد أن ألتحق بكلية الفنون، أريد أن أصبح رسامًا أو مصممًا، وأنا أعتقد أننــى صــالح لذلك تمامًا.

وقفت هكذا أحملق فى ذلك المنظر فواتتنى فكرة لرسم لوحة، لوحة لــسنبلة نرجس برى، سنبلة واحدة فقط ضخمة وبراقة، ذات خلفية ســوداء، أمــا الــسنبلة فستكون وحدها من اللون الأصفر الفاقع والبرتقالي، وكل ورقة فيها عبــارة عــن

مثلث أصفر طويل، لابد أنها ستكون لوحة كبيرة، ولا بد أنى سأرسمها يومًا ما، وسأعلقها على الحائط، ذلك كله من أجل جيما عندما تأتى إلىّ.

وانقضت هذه اللحظة السعيدة جدًا، ثم التقطت حزمة كبيرة من الهندباء وانطلقت عائدًا إلى الحجرة التى كنت أعيش فيها، وأحسست بالعظمة مرة أخرى، وأخذت أحاول تنظيفها وتلميعها لكى تنقضى الأيام سريعًا إلى أن تأتى جيما.

وفى أول ليلتين قضيتهما فى الطرقات كنت أحاول جاهدًا أن أنام داخل حقيبة نومى فى الطريق، أو فى ممر موجود أمام سوبر ماركت صغير، لكن تلك الليلة كانت باردة جدًا، وكنت أحاول أن أنهيها بالتجول هائمًا على وجهى بدون هدى، وعندما أطل الصباح الباكر رأيت الناس تتزاحم فى مترو الأنفاق، وهم ملتفون فى صناديق من الكارتون لكى يحتموا بها من شدة البرد، ظللت واقفًا حتى وجدت علبة كرتون موجودة فى القمامة خارج أحد المحلات، فلففت نفسى بها، وشعرت بأننى أصبحت أفضل، لكننى ظللت سائرًا فى الشارع طوال تلك الليلة.

نمت على هذا المنوال لمدة ليلتين، ولكنى لم أحب النوم فى الشارع، ذلك لأنك تكون موجودًا فى مكان ما على مرأى من جميع الناس، حتى وأنت نائم، وقد تستيقظ فى الليل أحيانًا لتجد رجال الشرطة أمامك يوجهون ضوء كشافاتهم القوية نحو وجهك، وأنا أكره أن يتفحصنى الناس وأنا نائم، كما أكره رؤية كل هؤلاء الأغراب وهم يوجهون نظراتهم إلىّ، وقد بدأت أشعر وكأننى شىء ما معروض فى حديقة الحيوان، لذلك عندما وجدت ذلك الصف من المنازل القذرة فكرت فى أنه من الأفضل أن أسكن فى واحد منها، وأن يكون ذلك هو بيتى. ووجدت غرفة صغيرة لا يزال بابها موجودًا، فدخلتها، لكننى ظللت مستيقظًا فى أول ليلة؛ لأن الناس كانوا يطرقون علىّ الباب باستمرار، وكانت الغرفة مظلمة تمامًا، ولم يكن

ممكنًا لأحد أن يرانى إلا عندما أجيب الطارق على الباب، وقد تكرر حدوث ذلــك حوالى خمس مرات فى تلك الليلة، وشعرت بالخوف الشديد فى أول الأمر، لكننـــى أدركت بعد قليل أنهم مجرد أناس يبحثون عن مكان ليناموا فيه، فصرخت فيهم "لقد أخذت هذه الغرفة"، فكانوا يتركوننى ويمضون لحال سبيلهم، وفى اليــوم التـــالى علقت لافتة صغيرة مكتوبًا عليها "ممنوع الإزعاج"، وكتبت تحتها بحروف صغيرة "مملوكة لفندق إرليكت".

كان الجميع يمسكون بكشافات أو أعواد ثقاب لكى يستطيعوا رؤية الطريق، لذا فقد استطاعوا جميعًا رؤية اللافتة ولم يزعجونى بعد ذلك أبــدًا، إلا أن بعــض السكارى الذين لم يروا اللافتة كانوا يزعجوننى من حين لآخر، وكـــانوا يـــشعرون أحيانًا أنه من الظريف أن يوقظونى، وقد حدث ذلك مرتين، وقد صاح أحدهم قائلاً: "هل تتكرم بترك حذائك بالخارج لتنظيفه؟"، كما صاح شخص آخر "هل يريد سيدى أن يتناول إفطاره فى السرير"، وما إلى ذلك من التعليقات الطريفة، ولكن كل شىء كان يسير على ما يرام.

وكان بعض الناس يقومون بإلقاء القمامة وأكياس مليئة بالقاذورات والأوراق القديمة والملابس المهترئة، وقد نمت فوق هذه الأكياس لعدة ليال مما جعلنى أشعر بالإحباط، وكنت أتذكر أمي وأفكر فيها كثيرًا، ثم أعود لأفكر فى الاســتمرار فـــى هذه الحياة التى أعيشها، وكان أول شىء قمت بفعله هو وضع كل هذه القمامة فـــى أكياس وحملها للخارج ووضعها فى صندوق القمامة، ووجدت مكنسة قديمة قمـــت بإصلاحها وتنظيفها وأصبحت صالحة للاستخدام وأداء مهمتها بشكل ما.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أجمع الأشياء الملقاة والصناديق الخـــشبية وقطـــع السجاد التى يلقيها الآخرون، ولكننى لم أستطع أن أجعل ذلك المكان يبدو لطيفًا لأن

بعض الناس كانوا يلقون بالفضلات أو يحطمون ما أصلحه من أشياء، ولكنى كنت أحاول جاهدًا أن أجعل ذلك المكان ملكًا لى، ولهذا السبب أصبحت سعيدًا جدًا عندما راودتنى فكرة عمل لوحة فنية، لقد أردت أن أرسم لوحة فعلاً، لذا أحضرت أقلام الرصاص لكى أستخدمها فى الرسم، والآن تولدت فى ذهنى فكرة عظيمة من أجل جيما.

كانت الساحة التى يعيش فيها أصدقائى تبعد عن مكان غرفتى حوالى ميلين، وكان يتحتم علىَّ المرور على محل سجائر جو سكولى، وفكرت فى أن أدخل وأشترى قطعة شوكولاته، أن أشترى حقًا، فقد كنت قد نسيت تمامًا التسول واستجداء الأشياء، أنت تدخل وتشترى قطعة شوكولاته وعندها تعتقد... أوه... لا...

إن جو سكولى رجل لطيف، لقد أعطانى بعض النقود مرتين من قبل فى الأيام القليلة الماضية، وأعتقد أنه يعطى بعض المال للمحتاجين السائرين فى الشارع.

قال لى: "إنك تبدو مفعمًا بالسعادة اليوم يا دافيد" قال ذلك وهو ينظر إلى نبات الهندباء الذى وضعته فوق الطاولة الخشبية فى محله، أخبرته قائلاً: "إن فتاتى قادمة لتعيش معى"، وأعتقد أننى لم أدخل لمحله إلا لكى أخبره بذلك، فقد كنت أشعر بأننى محتاج لأن أقول هذه الأخبار لأى شخص.

قال وهو يشير إلى باقة الهندباء: "لهذا فإنك تحمل هذه الباقة من النرجس؟".

فقلت ضاحكًا: "نعم"، وأخذت قطعة الشكولاته، ووضعت يدى فى جيبى لكى أخرج النقود، لم يضحك ولم يضحك بعد ذلك أبدًا، وهو يميل دائمًا لأن يجعل

ملامح وجهه تبدو صارمة ما عدا حاجبيه، فقد كان يرفعهما فى الهواء إلى أعلى دائمًا، وكان من الصعب أن ترى وجهه يتحرك حتى وهو يمزقك بمزاحه، إنه شخص ذو وجه جامد خال من التعبير.

لم يأخذ منى النقود وقال: "هذه أنباء طيبة"، نظر إلىّ فقط وقال "لقد تركت أهلها مثلما فعلت أنت... أليس كذلك؟" لقد أراد أن يعرف حقيقة الأمر.

نظرت إليه وقلت: "آه... آه".

"كم يبلغ عمرها إذن يا دافيد؟".

لم أجرؤ على أن أذكر له عمرها الحقيقى فقلت له: "ستة عشر عامًا"، ذلك هو العمر الذى ذكرته له، وثم أخذت فى تناول قطعة الشكولاته لكى أخفى ارتباكى.

فرد قائلاً: "لطيف" هو ينظر إلىَّ واضعًا ذراعيه على جانبيه، ثم تساءل قائلاً: "أين ستضعها إذن؟".

لقد بدأت فى الشعور بالبؤس والإحباط مرة أخرى "جناح شهر العسل فى فندق ديرى؟".

قلت وأنا أعيد النقود إلى جيبى؟ "آه... شكرًا يا سكولى على قطعة الشكولاته المجانية".

وأضفت قائلاً: "آه... نعم... أنا آسف حقًا... لقد كنت أفكر فى...".

- "لا داعى للأسف، إنه ليس مكانًا لائقًا بسيدة صغيرة، أليس كذلك يا دافيد؟".

لم أفكر فى ذلك أبدًا، وقد بدا سكولى على حق فعلاً، لأن النوم فى الـشارع ممكن أن يكون مناسبًا لى، ولكنه ليس مناسبًا لجيما طبعًا، ففى الشارع يوجد جميع أنواع البشر: المتسولون ومدمنو الخمور والمخدرات، وقد يكـون بعـض النـاس الموجودين بالشارع جيدين ولا بأس بهم، لكننى رأيت بعـض النـساء الـساقطات وسيئات السمعة يرافقن الرجال، وقد حدث ذلك مرة أو مرتين لكنك لا ترى هنـاك أى فتيات صغيرات، فالفتيات الصغيرات ينمن فى الأماكن العامة داخل الممـرات أو فى مداخل المحلات، لم أفكر أبدًا لماذا كن يفعلن ذلك.

أمسكت بالنقود ووضعتها أمامه مرة أخرى قائلاً: "ها هـى النقـود ولكنـه أزاحها بعيدًا".

- "لا تكن سخيفًا".

كنت على وشك أن أعيد النقود إلى جيبى، ولكنى غيرت رأيى وقلت: "لا... خذ النقود وإلا فلن أستطيع الحضور إلى هنا مرة أخرى".

- "آه".

- "سوف تظن أننى متسول".

فرد قائلاً: "يوجد وقت ومكان لكل شىء... آه يا دافيد، لقد فهمـت وجهـة نظرك" ثم انحنى وأخذ النقود قائلاً: "سوف أعيدها إليك فيما بعد، اتفقنا؟".

ضحكت، فقد بدا ظريفًا جدًا معى، وكان وجهه غريبًا، وكان سمينًا بعـض الشىء وشاحبًا، وكان يبدو دائمًا كأنه قد تلقى مفاجأة غير سارة، مثل أن تقول لـه إن ثمن الشوكولاته قد ارتفع كثيرًا أو مثل ذلك من الأخبار غير السارة.

ثم قال لى: "إن الحياة عملية معقدة".

ثم دخل زبون آخر إلى المحل، فالتفت سكولى إليه، فأومأت إليـــه محييًـــا، وتوجهت إلى الباب لكى أنصرف ولكنه نادانى: "قف دقيقة...".

ووقفت منتظرًا إلى أن ينتهى من بيع جريدة، وشعرت بالإثارة مرة أخـــرى، إننى لم أفكر فى الأمر جيدًا، لقد كنت أنانيًا، إننى لا أستطيع أن أطلب من جيما أن تأتى وتعيش معى مثل هذه الحياة!.

وعدت إلى الحديث عندما ذهب الزبون وقلت موضحًا: "إنها لن تمكث معى، لكنها قادمة لمجرد الزيارة فقط"، وسأل سكولى: "ما الذى ستفعله هذه الليلة؟".

– "حسنًا... لا شىء..."

– "تعال إلى هنا فى السادسة تمامًا، يوجد شخص ما أريدك أن تراه... وقـــد نتمكن من إعداد مكان لائق لك".

– "حقًا".

– "ينبغى عليك أن ترى ذلك الشخص... حسنًا... يجب أن تكون هنـــا فـــى السادسة، وقد أطلب منك تنظيف البيت فقط".

"شكرًا يا سيد سكولى".

قال وهو يدير عينيه ببطء:... "السيد سكولى... سكولى فقط".

– شكرًا سكولى.

– "اذهب وتبول".

قفزت إلى الطريق، وكان كل شيء على ما يـرام، سـوف تـأتي جيمـا، وسكولى سوف يساعدنى، حسنًا، إننى أقول إن كل شيء على ما يرام، ولكن كـل الأمور لا تسير دائمًا على ما يرام بالطبع، كان هناك شيء واحد فقط لا يسير على ما ينبغى، وهو شيء كبير ومهم حقًا...إنه أمى.

لقد قطعت على نفسى ذلك العهد بألا أتصل بها لمدة شـهر كامـل، ولكـن المشكلة هى شعورى بأننى سوف أصبح أفضل لو اتصلت بها، برغم أننـى كنـت أعرف تمامًا أن ذلك ليس حقيقيًا، لقد تركت لها رسالة عندما غادرت المنزل، لكن ذلك كان منذ فترة طويلة مضت، وكانت هذه فكرة جيما ألا أتـصل بهـا لـبعض الوقت، وقالت إن أمى كانت تجعلنى أشعر بأننى سيء فعلاً، وقد تطلب منى العودة إلى المنزل، ولكن أمورى سارت الآن على ما يرام لدرجة أننى اعتقدت أنه يمكننى التعود على ذلك والتكيف مع هذه الحياة والتعامل معها بنجاح.

أنا أعرف أنه يجب على ألا أتصل بها، وأعرف أن جيما علـى صـواب، فأنت لا تعرف أمى، فهى يمكنها أن تجعلك تفعل أى شيء من أجلها، وأنا أخـاف منها أكثر من أبى.

وفى النهاية فكرت فى أنه ينبغى علىّ الانتظار لأرى ماذا سيحدث الليلة مع السيد سكولى، أقصد أنه لو استطاع أن يدبر لى مكانًا لأعيش فيه فإن كـل شـيء سوف يصبح على ما يرام، ووقتها يمكن التفكير فى الاتصال بأمى، ولكـن إذا لـم يحدث ذلك فإن الأمور سوف تصبح مختلفة وسيكون ذلك كارثة، كان ينبغى علـىّ

أن أتصل بجيما وأخبرها بألا تأتى لأن سكولى كان على حق، لا يمكننى أن أطلب من جيما أن تأتى وتحيا فى مكان مثل طريق ألبانى الذى أعيش فيه.

لم تكن رسمة الهندباء كما أردت، كانت الألوان شاحبة وباهتــة، لقــد أردت رسم ذلك اللون الأصفر الزاهى والأسود كخلفية للوحة، لا يمكنك تنفيذ مثــل هــذه النوعية من الرسوم بالأقلام الرصاص، إن تنفيذها بألوان الباستيل سيكون أفــضل بكثير، وكان لدىّ مجموعة من هذه الألوان فى المنزل ولا بد أننى كنــت مجنونـًــا فعلاً لأننى لم أحضرها. ولكنها كانت مدهشة لدرجة أننى خشيت أن تــتحطم لــو أحضرتها معى.

(٤)

سكولى

كان موجودًا هناك. حسنًا إنه سيكون موجودًا، أليس كذلك؟.

- "مساء الخير يا دافيد"

- "مرحبًا يا سيد سكولى".

قلت: "سكولى فقط" ثم توجهت سائرًا فى الطريق وهو سائر خلفى، كان طويل القامة، أطول منى بحوالى ست بوصات.

وقال لي: "لطيف منك أن تساعدني".

قلت: "إننى لم أفعل أى شيء بعد".

كان مؤدبًا جدًا، وهذا هو ما كان يشدنى إليه ويجعلنى أحب التعامل معه، كان يسير بجانبى بهمة، ويبدو جادًا، وهو يرتدى جاكته الجلد ويضع حقيبته على ظهره، ويبدو أنه لم يكن ينزل إلى الشارع كثيرًا لأن حقيبته كانت نظيفة جدًا، وبدا مظهره كالعادة بالبنطلون الجينز وحذائه البوت وشعره الطويل، وبدا على عادته كما كان يبدو دائمًا، إنهم جميعًا يبدون كعادتهم دائمًا بدون أى تغيير، ويميلون إلى ارتداء القليل من الملابس الرخيصة.

إنه أول شخص أحس أنه يحب مساعدة الآخرين فعلاً أكثر من مجرد إنفاق بعض المال أو الطعام أو الشوكولاته، وغالبية هؤلاء الآخرين الذين كان يساعدهم كانوا إما محبطين أو أغبياء، وكان ينبغي عليهم العودة إلى منازلهم والعيش مع أمهاتهم وآبائهم.

في أول مرة رأيته فيها أعطيته جنيهين، وسألته بدهشة إذا كان يدرك حقًا ما هو فاعل.

فألقى عليّ نظرة ولمس جانبي وجهه، ولم ألاحظ تلك البثور والحبيبات الموجودة على وجهه، ولم يستطع أن يقول أي شيء أو أن يذكر المزيد، فقد كان يبدو عليه البؤس، فأومأت برأسي وقدمت له قطعتين من الشوكولاته فوق النقود، فتغير وجهه. وقد فاجأني ذلك فقد تغيرت ملامح وجهه كلها ونظر إليّ... وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، لقد جعلته يحس فعلاً بالسعادة لدقيقة أو دقيقتين، وقد جعلني هذا أشعر بالارتياح، وأنا أحب هذا الشعور.

لم يكن يبدو أن لديه أي شيء أو أي جبهة قوية لكي يحتمي بها، وأنت تحتاج إلى كل الجبهات التي يمكن الحصول عليها في هذا العالم القديم، انظر إليّ، إنني كُلي جبهة دفاع عريضة تقريبًا، إن الذي تراه وتدركه هو الذي تحصل عليه، ولكن هذا الفتى... ليس عليك إلا النظر إليه لكي تدرك أنه سوف يصدق كل ما تريد أن يصدقه، ويجعلك تشعر بأنك إذا لم تمسك بيديه فإنه سوف يفر مذعورًا.

قدمت له علبة سجائر ماركة بنسون وسألته: "هل تدخن؟".

أجاب: "شكرًا لك، إنني لا أدخن".

قلت له: "سوف تدخن، فى الواقع فإن أى شخص يعيش فى ظروف صعبة يدخن".

قال: "إنك تملأ وقت فراغك مع القطران ودخان السجائر"، ثم وقف أمامى وحملق فى وجهى، وقال لى: "انظر... التدخين غير لون جلدك إلى اللون الرمادى".

توقفت فى منتصف الرصيف لبرهة قصيرة، فدفعتنى سيدة عجوز من الخلف قائلة: "قف على جانب".

لقد حضرت إلى هنا لكى أساعده، لكنه يقول لى إن لون جلدى تحول إلى اللون الرمادى، ابتسم فقط، وفكرت:... أيها المتسول... إنه يقصد إغاظتى... وقد ضايقنى هذا أيضًا.

واستمررنا فى السير إلى شارع "بيكشن"، كنت أفكر أنه كان على حق مع ذلك، فوالدى العجوز يدخن مثل المدخنة على الرغم من أنه قد بلغ الثانية والثمانين من عمره، وقد أصبح لون جلده مثل لون رماد السجائر.

كنت أنا نفسى أدخن السجائر، وعندما كنت أصغر سنًا كنت أحاول دائمًا أن يكون لدىّ سيجارة مشتعلة أضعها فى ركن فمى مثل صور الإعلانات، وإذا كنت أنا بائع السجائر لا أدخن، فمن الذى سيدخن إذن؟ وقد أصبح بائعو السجائر منتشرين هذه الأيام، خاصة الأسيويين، هل يوجد أى شخص لم يدخن أى شىء على الإطلاق، هذا ليس صحيحًا بالطبع، كيف يمكنك احترام عملائك المدخنين إذا كنت تعتقد أنه من الغباء أن تدخن؟ وكيف يمكنك أن تعرف ما الذى تبيعه لهم؟.

أعتقد أنه يمكننى التفرقة بين السجائر ماركة بنسون وماركة ريجال من رائحتها فقط، آه، على أية حال فقد تركت تدخين السجائر، لأننى كنت أدخن أكثر من اللازم، إن أنسب شىء لبائع السجائر هو تدخين السيجار؛ لأنه لا يمكن أن يدخل السيجار فى فمك بأكمله وسوف يظل جزء منه خارجًا من فمك ظاهرًا للجميع، وبهذه الطريقة سوف تظل تدخن دائمًا، حتى حينما يكون سيجارك منطفئًا فسيظل دائمًا ظاهرًا فى فمك، هل تفهم ما أقصده؟.

- "ما رأيك فى قطعة شوكولاته مارس إذن؟".

أخذ قطعة من الشوكولاته، أنا أحرص دائمًا على ملء جيوبى بقطع الشوكولاته مرة بعد أخرى نظرًا لكونى بائعًا، وأنا ألتهم هذه الشوكولاته أيضًا، لذا أصبحت بدينًا وقصير النفس دائمًا، ولكننى على الأقل لست منافقًا، كما أننى مثقف أيضًا، فأنا أقرأ الصحف دائمًا.

وكان ريتشارد ينتظرنا فى محل الأدوات الكهربائية الذى يملكه العجوز جورج دول، الذى قام بوضع يده عليه منذ عدة أسابيع قليلة مضت.

ابتسم لى العجوز جورج وقال: "مرحبًا يا سكولى".

ويبدو أنه كان يبتسم منذ أن كنا خلف الباب، كان شخصًا مرحًا، يبدو أليفًا جدًا، يبتسم دائمًا، لكنه لا يمكن أن ينظر إليك بطريقة مباشرة لسبب ما، إنه مثلى، لكن ريتشارد كان محبًا للعمل ويبدو كأنه قطعة صغيرة من العمل الدائم، قلت: "ها هو الفتى الذى كنت أكلمك عنه"، ولكزت دافيد لكزة خفيفة من الخلف، وجعلته يتدحرج نحو الباب، ومد ريتشارد يديه إلى الأمام وقال: "يسرنى دائمًا مقابلة أى شخص جديد يمكن أن ينضم لجماعتنا".

أجاب دافيد: "شكرًا... شكرًا".

وتظاهرت بأننى سوف أمضى وأغادر المكان، فشعر ريتشارد بالإحباط، وسأل "ألن تلتحق بنا يا سكولى".

- "شكرًا... إن لدىَّ بيتى الخاص".

- "ليس للعيش معنا، ولكن لتناول الشاى، وسوف أقوم بإعداد برجر اللحم من أجلك".

- لا "برجر؟".

وكان فى كل مرة يرانى فيها يدعونى لتناول بعض الطعام، بعض الفاصوليا أو البقول أو الزبادى.

رد ريتشارد مبتسمًا وهو يعبر إلى الجهة المقابلة من الشارع: "سوف أعد الطعام من أجلك".

توقفت، كنت أخطط للذهاب إلى الحانة، التى تظل مفتوحة طوال الليل، وكان ريتشارد يريد دائمًا أن يهدينى ويحاول أن يغيرنى، أدركت ذلك ويمكننى أن أذكره للجميع، وكنت لا أزال لم أفقد حب الاستطلاع بعد، كنت أدعه يحاول أن يغيرنى، وكان ذلك يسلينى حقًا.

دفعت دافيد للسير أمامى واتبعتهم صاعدًا إلى الشقة الموجودة فوق المحل.

عندما عرفت لأول مرة أن محل جورج دول العجوز لبيع الأدوات الكهربائية هو محل قد تم اغتصابه والاستيلاء عليه عن طريق وضع اليد، شعرت بقدر كبير من الحسرة والألم لذلك، فقد كان جورج صديقًا لى إلى أن عرفت أنه

يغتصب الممتلكات العامة ويستولى عليها عن طريق وضع اليد، وقد حدث ذلك من حوالى ثمانية عشر شهرًا مضت، فأنا لا أحب المغتصبين، ولا أحب الاستيلاء على المحلات عن طريق وضع اليد، فما الذى يمنعك من العمل ودفع الإيجار، إنهم مجموعة من الأوغاد الذين يحبون أن يعتقدوا أنهم ينتمون إلى الطبقة الدنيا من المجتمع، لكن أغلبهم من النصابين، أما أغلب الأشخاص الذين أعرفهم فهم يعملون لكى يستطيعوا أن يعيشوا.

وكان لدى فى البداية بعض الشكوك حول هذا المحل وأنه مختلف تمامًا عن الأنماط المعتادة من وضع اليد، وذلك بسبب تلك اللافتة الصغيرة الموضوعة على البوابة الأمامية للمحل التى تعلن أن المحل قد تم الاستيلاء عليه بوضع اليد وأنه قد تم إخطار الشرطة بذلك، لكى يحموا أنفسهم إذا ما قام أى شخص من الحثالة بإبلاغ الشرطة بما يفعلونه، لذا كان يمكنهم الاستمرار فى العمل حتى لو وشى بهم أى شخص وأبلغ عنهم الشرطة، أنا أقصد هل يمكنك تصور ذلك وتصنيفه مع أى نوع آخر من أنواع الجرائم؟ مجرد لافتة صغيرة مكتوب عليها: هذا البنك سوف تتم سرقته غدًا فى الساعة الحادية عشرة صباحًا، وسوف يضع رجال الشرطة أياديهم على خوذاتهم قائلين كله تمام يا أفندم، ولا توجد أى مشاكل لمجرد أنك قد وضعت لافتة صغيرة تعلن فيها عما تنوى فعله.

وبعد عدة أيام قلائل ظهر بشكله المعتاد وحذائه الكبير ذى الرقبة الكبيرة، الأكبر من مقاس قدمه بحوالى درجتين، وقصة شعره الموهيكان (قصة شعر الهنود الحمر ذات الخصلة الممتدة على طول الرأس وحلق باقى الشعر تمامًا)، وأخذ ذلك الشخص يدخل ويخرج فى حركة مستمرة مثل الفأر، وقد اعتقدت فى داخل نفسى أنه يوجد لديه أكثر مما يبدو عليه، ولكن عندما رأيته يخرج، أدركت فى الحال أن

ذلك الشخص الذى رأيته كان ريتشارد، فقد كان يرتدى حلقًا فى أذنه يظهر واضحًا من خلال شعره المحلوق على الجانبين مثل الموهيكان، كما أن شعر رأسه كان طويلاً فى المنتصف ومحلوقًا على الجانبين، ولكنه كان أكبر فى السن كثيرًا من الآخرين، ربما كان فى أواسط العشرينيات بينما كان الآخرون فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وكنت واقفًا عند عتبة دكانى أراقب الشارع عندما ظهر مبتسمًا لنفسه، أغلق الباب خلفه وانصرف، وهو لا يزال مبتسمًا نصف ابتسامة للرياح والمبانى، لقد كان هذا هو ريتشارد كما أتوقع.

تركت إدارة المحل لزوجتى وتبعته، وكنت مهتمًا للأمر؛ لأن محل جورج دول كان ممتلئًا بالبضاعة ولم يكن لجورج دول أى أقارب على حد علمى، ولكن لا بد أن يكون لهذا المحل صاحب ومالك معروف.

وكنت مهيأً للغضب ومستعدًا له، ولكزته على معدته، وقلت له: "أنا لا أعرف لماذا أزعجت نفسك بترك المنزل"، ولكنه لم يفعل أى شىء سوى أنه فتح فمه لتزداد ابتسامته اتساعًا، ثم قال لى: "يسرنى دائمًا وجود علاقات طيبة بينى وبين جيرانى"، وأضاف: "هل يمكننى مساعدتك أو عمل أى شىء من أجلك؟".

قلت: "ربما"، ثم أخبرته عن البضائع والأدوات الكهربائية، فدعانى إلى تناول فنجان شاى معه، ودفعنى إلى الداخل، وكنت أفكر فى أن أولئك الأوغاد الذين كانوا يقومون بالاستيلاء على المحلات لم يكن لديهم أى شىء ليفعلوه سوى التدخين ومراقبة القاذورات وهى تتكاثر على سطح الثلاجة، ولم يكن لديهم أى شىء آخر مطلقًا لكى يفعلوه من أجل أى شخص.

وقلت له عندما كان يفتح الباب: "إنك تفهم سبب انزعاجى بالطبع".

فرد قائلاً مفتخرًا بنفسه: "طبعًا، فأنا لا أحترم القيام بالسرقة"، وقد جعلني ذلك أحتاط قليلاً، فقد قمت ببعض السرقات فى حياتى، ولكنى لم أخبره بذلك أبدًا بالطبع.

كنت أعانى من ضغوط كثيرة، فقد تم تغليف كل الأدوات الكهربائية ووضعها فى صناديق وكتابة الماركات والأسماء عليها بكل أناقة، ثم تم رصها وتخزينها فى غرفة صغيرة خلف المحل.

قال لى: "يجب أن أعترف أننى كنت أقوم بسرقة التيار الكهربائى عندما أضيء الكهرباء، ولكننى غيرت كل ذلك الآن"، ثم نظر إلى الباب وابتسم فى سعادة.

قلت له: "لكنك بالرغم من ذلك لم تقم بالسطو على منزل أى شخص"، فرد قائلاً: "ليس عندما يكون المكان خاليًا والناس نائمين فى الشوارع، إن الملكية الخاصة تعتبر مفهومًا غريبًا بالنسبة لى نوعًا ما".

وظننت أنه سوف يلقى علىّ محاضرة طويلة، لكنه أغلق فمه وأشعل غلاية الشاى، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد بعت كل هذه الأدوات الكهربائية بمنتهى السرعة قبل أن نتمكن من عد واحد اثنين ثلاثة، ولكن رينشارد كان أمينًا وعلى خلق، وكان يعتقد أن الاستيلاء على المحلات بوضع اليد، وليس سرقة البضاعة، هو الذى سيغير المجتمع، وهذا الأمر هو الذى جعله يبدو سعيدًا وأنا أقبل دعوته لتناول الشاى، كان يعتقد أنه لو كان لديه عدد كاف من الناس مثلى يساندونه ويقفون بجانبه لاستطاع أن يُسقط البرلمان غدًا.

كان ريتشارد يعمل فى محل دراجات فى طريق أشلى، ولكنه كان يعمل فى وقت الفراغ فقط؛ لأنه كرس معظم وقته لفتح الساحات لإيواء الشباب المشردين فى الميادين، وكان يقوم بالكثير من الأعمال، اقتحام الساحات وإعداد التوصيلات الكهربائية وتجهيزها أو كتابة اللافتات الصغيرة أو إبلاغ الشرطة، ويظل مقيمًا مع الشباب فى الساحة لعدة ليال حتى يطمئن إلى عدم وجود أى مشكلات، ثم يذهب إلى بيته لعدة ليال حتى تأتى المهمة التالية فيقوم بافتتاح ساحة أخرى للشباب.

وغالبًا ما كان يساورنى شك كبير بالنسبة لأكل أى شىء من أى ساحة من تلك الساحات، وهذه الساحة الأخيرة بالذات كانت مثيرة للاشمئزاز، ولكنها أصبحت متميزةً جدًا ومألوفة بالنسبة لى منذ أن قام ريتشارد بإعداد الشاى لنا فيها.

قلت له: "إنك لا تتوقع أن أتناول أى شىء هنا، أليس كذلك؟".

ودعكت أصبع قدمى بقطعة من الفحم الموجود على الأرض، وقلت "إننى لن أفتح حتى قالب شوكولاته هنا".

وكان ريتشارد يرتدى رداءً أبيض فضفاضًا، وكان الرداء نظيفًا جدًا بقدر قذارة المكان.

وقال ريتشارد: "لا تقلق يا سكولى، لقد أحضرت كل شىء حتى قدور الطهو، لن أطعمك لحم خنافس".

سألته: "هل يعيشون جميعًا بمثل هذه الطريقة؟".

فأجاب بارتباك "إن هذا الأمر بالذات يعد شيئًا سيئًا"، وبدا تعيسًا وغير سعيد بذلك، استطعت أن أرى واحدًا أو اثنين من أهل المنطقة يحملقون فينا ويتبادلون

نظرات غير مريحة، فقال ريتشارد بصوت مرتفع: "إن ذلك يـضفى علـى تلـك الأماكن التى يتم الاستيلاء عليها سمعة سيئة".

وقطّب الأشخاص الموجودون وجوههم، وظهرت عليهم علامات الـتجهم، وغادروا فرادى المكان.

جلست على مقعد ذى ذراعين على جانب طاولة المطبخ وأخذت أنتظر، كان دافيد واقفًا فى أحد الأركان، وعيناه تكادان تقفزان من رأسه وهو يحاول أن يحـيط علمًا بكل ما يحدث وبكل شيء فى لحظة واحدة، ولم يستطع أن يبعد عينيـه عـن ريتشارد، وكنت قد أخبرته فى الطريق عن هوية ريتشارد، وكان مقتنعًا تمامًا بـأن ريتشارد ينبغى أن يصبح الرئيس التالى للوزارة، وقال باندفاع: "أعتقد أن ما تفعله شيء خيالى، وأدعو لك بالخير والبركة".

أجاب ريتشارد وهو ينحنى على النافذة: "شكرًا لك يا دافيد، ستكون سـعيدًا عندما تسمع أننا سنقوم بافتتاح ساحة جديدة هذه الليلة فى منطقة فيرجين".

بدا الفتى المسكين خائفًا لبرهة حتى ظننت أنه سيغمى عليه وينهار تمامًـا، ولكنه بدأ بعد ذلك فى الارتعاش والإشارة إلينا بصورة متعمدة، اعتقـدت... اااه ه ه...، جميل، لأن نصف الفتيان الذين يقومون بالاستيلاء علـى الممتلكـات كـانوا عبارة عن نموذج كبير للتخريب، ولكن المسكين دافيد العجوز لم يخـالف القـانون أبدًا فى حياته، ويمكنك أن تدرك ذلك بمجرد النظر إليه.

رأيت اثنين من أهالى المنطقة، وكانا يبدوان أكبر قليلاً من الفئـران، وقـد رأيتهما يدخلان ويخرجان من المحل، وقام ريتشارد بتقديمهما إلى دافيد باعتبارهما من جيرانه الجدد قائلاً: "هذه فونى وهذا جيرى، إنهما فوضويان".

قال ذلك وهو يعبث بمفتاح نور المطبخ، وابتسم ابتسامة عريضة، لدرجة أننى اعتقدت أن أسنانه ستقع خارجة من فمه، رأيته وهو يراقبنى من طرف عينه لكى أرى رد فعله، وقد بدا الفتى محرجًا، وأومأت فونى برأسها وصافحتنى بأدب ودعتنى لتناول المشروب معهما، فقبلت أن أشرب معهما علبة بيرة.

ذهب دافيد لمساعدة ريتشارد فى تجهيز البرجر، وبعدها دخلا فى مناقشة عميقة حول الساحة والفوضوية وحرية الفرد فى أن يخترق القانون والكثير من مثل هذه الموضوعات.

كان البرجر ظريفًا حقًا، وقد اعتنى ريتشارد بتجهيزه جيدًا لدرجة أن قطع البرجر استوت ونضجت بدون أن تحترق حوافها، وأخذت قطعتين من البرجر، وشكرته على ذلك.

وأخبرته: "إنها ليست سيئة باعتبارها صناعة منزلية".

فقال وقد أراد أن يعرف: "هل هى فى مثل جودة ماكدونالدز".

أجبته: "ليست سيئة المذاق ولكن قطع اللحم تتفكك إلى قطع صغيرة مما يجعلها أقل جودة من ماكدونالدز".

فعلق قائلاً: "أعتقد أن ماكدونالدز يستخدم اللحم فى إعداد البرجر"، قال ذلك وهو ينظر إلى السقف".

سألته قائلاً: "وأنت ما الذى استخدمته أنت فى عمل البرجر يا ريتشارد؟".

أجاب: "آه، بروتين الصويا، فأنا نباتى، ألا تعرف ذلك؟"، لقد كان واثقًا من نفسه إلى درجة التكبر والتفاخر، لذا أكلت هذا الشىء الذى أعده، كان فخورًا بنفسه فعلاً، وقد أصبحت أعتقد أننى فى طريقى لأن أصبح فوضويًا، لقد أكلت برجر

الصويا الآن ولم أهتم، ولكن شكلى لن يبدو جيدًا لو وضعت هذا الحلق في أذني وحلقت شعرى على طريقة قصة الموهيكان الممنوعة.

لم أستطع أن أخبره أن زوجتى تستخدم الصويا بانتظام، ولم أعرف كيف نجحت فى تدبير مسألة إنهاء مصاحبتى له فى تلك الليلة، فقد كان ريتشارد مسرورًا جدًا، وادعى أن سبب سروره هو أنه نجح فى تهيئة كل الظروف المناسبة لسكان الساحة الجديدة، ولكن سبب سروره الحقيقى أنه كان يعتقد أننى فى طريقى لأن أتحول إلى واحد منهم.

ولعلك تتساءل، لسبب ما، ما الذى يمكن أن يقدمه رجل مثلى ينتمى لحزب المحافظين من مساعدة لمن يقومون بالاستيلاء على ممتلكات الآخرين، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد أعدت جميع هؤلاء الزنوج إلى أوطانهم الأصلية، لمَ لا؟ إن لديهم ثقافتهم الخاصة ونحن أيضًا لدينا ثقافتنا، آه لو عرفت عدد الأشخاص الذين نزحوا إلى هذه المدينة، مدينة بريستول منذ عشرين عامًا مضت، إننى أعرف هذا الرقم وأعرف عددهم، لقد نزحوا إلى هذه المدينة وعملوا بها فى ظل نظام الضمان الاجتماعى، وباستثناء رجال السياسة، فنحن جميعًا نخترق القانون بطريقة أو بأخرى، فرجال الشرطة يخترقون القانون ورجال القضاء يخترقونه، ورجال الأعمال يخترقونه، حتى أنت تخترق القانون، وكذلك أنا، فكونى وطنيًا لا يعنى أننى شخص مثالى، لقد سمعتك تتساءل: "كيف أخالف القانون؟"، من الحكمة ألا تعرف أكثر من اللازم يا صديقى، إن الحكمة هى أن تعرف بقدر استطاعتك فقط، والأمر الأكثر حكمة هو أن تجعل أى فرد آخر غيرك جاهلاً جهلاً تامًا، وكان الشىء الوحيد الذى آخذه على الحركة العمالية هو أنها حركة قانونية، أقصد أنه من العدل أن يكون هناك قانون ضدها، فهناك قانون ضد كل شىء آخر، وإذا أردت

مخالفة القانون فما عليك إلا أن تعمل بطريقة عادلة، وسوف يتيح هذا الفرصة أمامهم للقبض عليك.

كانت الساحة الجديدة عبارة عن منزل كبير ذى تراس جميل يطل على موقع جذاب على بعد شارعين فقط من مونتيلير فى نهاية سان بول، له حديقة كبيرة جميلة، وغرف كبيرة واسعة، كان أكبر من المنزل الذى نقيم فيه وكان يمكنك رؤية الفتيان من أهل المنطقة وهم يحطمون بعض النوافذ ويدخلون إلى المنزل.

كنت أحس بأننى مثل رجل عجوز، وكان الفتيان يذهبون هنا وهناك ويقفزون على الحوائط والأسوار، ويضعون الناضورجية للمراقبة على طول الطريق، بينما كان ريتشارد يحاول تلمس طريقة للدخول، وكنت أتلفت حولى ويداى فى جيوبى، وقد جعلنى دافيد أضحك عندما كان يحاول الاختباء خلف صندوق القمامة.

أقصد ما الذى تفعله إذا رأيت شخصًا ما يختبئ خلف صندوق قمامة فى الساعة التاسعة ليلاً؟، وقفت إلى جواره وسألته: "ما الذى تفعله هنا بالضبط؟"، فهمس ريتشارد قائلاً وهو يشعر بالفرح: "أعتقد أن من الأفضل أن تخفض رأسك قليلاً يا سكولى".

فقلت له: "إذا لم أستطع شق طريقى إلى الخارج فمن الأفضل أن أموت".

أخذ يفكر فيما أقوله، وما توصلت إليه فى تلك الليلة من استنتاجات عميقة، ولكنها لم تكن استنتاجات دقيقة تمامًا، وقد أصبحت الآن عندما أقوم بأى عمل يبدو كأنه فى مكانه الصحيح، ولكن كل الفوضويين كانوا يلبسون ملابس مهلهلة مثل

ملابس العمال، وكنت أبدو في ملابسي هذه مثل بائع التبغ، كما كنت أبدو عصبيًا أيضًا لأنني لم أقم بعمل أي شيء مثل هذا منذ سنوات، ويعلم المسيح ما الذي ستقوله زوجتي إذا تم القبض عليَّ في هذه الليلة.

استغرق ريتشارد وقتًا طويلاً لفتح النافذة مما جعلني أتحرك لكي أساعده، ولكن ظهرت عليه بعض علامات الانزعاج وقال لي: "ستجعلهم يقبضون علينا يا سكولي"، ثم همس في صوت هائج: "اخفض رأسك"، قال: "لقد أتيت لأقول بعض النصائح فقط..." ولكنه لم يكن لديه أي شيء ليقوله، ونادى على الفتاة فوني لتأتي وتعتني بي، وقد حاولت أن تجعلني أنحني، ولكني لم أفعل ذلك لأي شخص من قبل، لم يحدث أبدًا أن قام أي شخص بإجباري على فتح النوافذ واقتحام المنازل من قبل.

وأخيرًا نجح ريتشارد في فتح النافذة، وكنا نشعر ببعض القلق عند مرور أي شخص في الشارع، لدرجة أنه كان يجب عليَّ أن أختبئ خلف كابينة التليفون الموجودة في الشارع، وكان أي شخص يسير في الشارع ينظر إلى النافذة المفتوحة، ولكن بعض الناس لم يهتموا لما كنا نفعله، ثم تسلقنا جميعًا النافذة إلى الداخل، واحدًا بعد الآخر، وكانت أنفاسي متقطعة إلى حد ما وأنا واقف خلف ريتشارد الذي جذبني إلى أعلى لكي أستطيع المرور عبر إطار النافذة، ثم قمت بإصلاح إطار النوافذ وجعلتها متشابكة معًا بعد أن أصبحنا جميعًا في الداخل.

كان المنزل بالداخل مظلمًا تمامًا، وكان الجميع يتحدثون في همس، وأخذ ريتشارد في البحث عن كشافات النور، وهمس قائلاً: "لا تجعل المارة في الشارع يرون أي ضوء في المنزل"، ثم بدأ في توزيع المهام على ضوء الكشافات بعد أن تأكد أن جميع النوافذ كانت مغلقة، وأخذ يتفحص الغاز ويحاول التأكد من أنه يمكننا

فتح الباب الخلفى، وقمت بإشعال سيجارة، وأخذت أتطلع إلى الشارع من خلف إطار النافذة، نهرنى ريتشارد قائلاً: "هل يمكنك عدم التدخين أمام النافذة" فأجبته: "ماذا هناك، نحن بالداخل، أليس كذلك؟".

رد قائلاً: "من الأفضل لنا أن نظل مختبئين هنا لعدة أيام حتى نستكمل إعداد المكان وتهيئته، وكلما طالت مدة بقائنا هنا قبل أن يعثروا علينا كلما زادت فرصتنا فى الاستيلاء على المكان"، ثم تركنى وذهب، فصعدت السلم لكى أستكمل تدخين سيجارتي.

من كان يظن أننى سوف أقتحم بيتًا لا يوجد به أى شىء يمكن سرقته، وقمت بالتجول داخل المنزل قليلاً، ولكن فى حقيقة الأمر لم يكن يوجد به أى شيء، وذلك يظهر الوجوه المتعددة والمتغيرة للجريمة، فقد كان الناس فيما مضى لا يفكرون أبدًا فى سرقة منزل خال من أى منقولات وقد أصبحوا اليوم يسرقون المنزل نفسه، وذلك بدون أن يقوموا حتى بتحريكه من مكانه.

وكان جيرى يضع الشموع فى الزجاجات ويرصها على درجات السلالم، وفى جميع الحجرات، وقام ريتشارد فى الحال بإحضار بعض الأباجورات، ولكن لم يكن مسموحًا لنا إشعال الأضواء لكى لا يرانا أحد، وقد بدأ ريتشارد مع جيرى فى الإسراع بالدخول والخروج من الباب الخلفى حاملين العديد من الصناديق والحقائب والأكياس حتى امتلأ بها المكان، وكان هدفنا من ذلك هو الإسراع بتهيئة المكان وتأسيسه بقدر الإمكان، لأنه سيكون من الصعب عليهم أن يخرجونا من المنزل وهو مملوء بأغراضنا الخاصة، وذهبت لكى أرى كيف تسير الأمور مع دافيد، ولكى أودعهم قبل أن أغادر المكان، وكان دافيد فى المطبخ مع فونى فى

الطابق الأسفل، وقد قام أحدهم بإحضار صندوق من ورق الكرتون مملوء بمعدات الطهى والأوانى والأطباق وغلاية الشاى وبعض الدقيق وبعض الزيت وغيرها من المواد الغذائية، وقام جيرى بإشعال موقد الطهو وإعداد فنجان من الشاى.

كان المكان كله يبدو ظريفًا على ضوء الشموع، وكنت أعتقد أنهم قد جاءوا إلى هنا منذ نصف ساعة فقط لكى ينظفوا المنزل، وكان يوجد مقعد قديم بجانب الحائط فجلست عليه قائلاً: "حسنًا يا دافيد"، رد دافيد: "هذا خيالى يا سيد سكولى".

- "سكولى".

- "أنا لم أجد فى حياتى أى مكان مثل هذا المكان، كما أن الناس...".

أعتقد أنه قد شعر بالخجل قليلاً عندما صححت له قوله قائلاً: إنهم ليسوا أناسًا بل إنهم فوضويون، إنهم جميعًا مسلون".

سألتْ فونى: "هل ترغب فى فنجان من الشاى يا سكولى؟".

أجبتها: "شكرًا".

قال ريتشارد: "ما رأيك فى هذا؟"، قال ذلك وهو يعرض علىَّ بعض المخدرات، فنظرت إليه من طرف عينى، وشعرت أننى كنت منجذبًا لذلك، وقلت له: "إننى لم أفعل ذلك منذ عشرين سنة".

فرد ريتشارد قائلاً: "استرجع شبابك المفقود إذن"، فقبلت عرضه وأخذت جرعة وشعرت بأن ذلك كان لطيفًا وأخبرته قائلاً: "لقد كنت معتادًا على تعاطى الكثير من هذه الأشياء أثناء خدمتى فى الأسطول البحرى، فقد التحقت بالأسطول التجارى لمدة خمسة أعوام عندما كنت شابًا".

فقال ريتشارد وهو ينحنى احترامًا: "إن ذلك جزء من تقاليـدنا البريطانيـة العظمى لتناول المخدرات".

أخذت عدة أنفاس من الهواء النقى قبل أن أستنشق ذلك الشيء الذى قدمه لى ريتشارد فى داخلى، ونادرًا ما كنت أشعر بالندم على أى شيء فعلته فى حيـاتى، وقد اعتدت أن أحب هذه الأشياء فعلاً فى شبابى، ولا أدرى مـا إذا كانـت هـذه المخدرات التى أتناولها أقوى مما كنت أتناوله من قبل، أم أننى أنا الذى أصـبحت أضعف الآن، وتناولت قطعة حلوى لكى أغير طعم المخدرات فى فمى، وبدأت فى سماع الناس وهم يهبطون السلالم، وكنت أشعر بأن زوجتى ستأتى وتقبض علـىَّ وأنا جالس فى هذه الغرزة أدخن الحشيش مع هؤلاء الشباب الصغار، وكنت أعتقد أنها ستجن إذا علمت بذلك برغم أننى أعرف أنها كانت على بعد عدة أميـال فـى زيارة إلى "دورمين".

وأخذت أتساءل لبرهة قصيرة ما الذى كان يحدث من حولى حتى أدركت أن ذلك الشعور كان بسبب تأثير تلك السيجارة المحشوة بالمخـدرات التـى تناولتهـا، وشعرت بأن قلبى وقتها كان ثقيلاً كما لو أن عشرة أطنان من الفحم قـد سـقطت علىَّ من فوق ظهر لورى، فأغلقت عينى وسمعت ريتشارد يسألنى عما إذا كنـت على ما يرام، ولكننى تظاهرت بالنوم لأننى لم أعرف ماذا أقول له، كنت اعتقـدت أنه كان يمزح، وشعرت بالتحسن مع مرور الوقت، واستطعت فتح عينى والنظـر حولى، كان جيرى وفونى ودافيد يجلسون جميعًا على الأرض ويدخنون المزيد من المخدرات لكن ريتشارد كان قد اختفى، وشعرت بالرعب وكأن الغرفة كلها كانـت مليئة بالديدان، وكان الشباب جميعًا يتناولون الشاى، ورأيت فنجان الشاى الخـاص بى موضوعًا بجوارى وهو نصف بارد، ورأيت الفتاة شبه العارية جيـرى تنظـر

إلىّ، وهم جميعًا يضحكون، قلت: "ها... اللعنة... ها"، كنت منزعجًا إلى حد ما، فإننى لم آت إلى هنا لكى تسخر منى هذه الحثالة من الفوضويين، وعلى أية حال فإننى لم أقصد أى شىء غير أن أطلق عليهم اسم "الفوضويين".

ظللت فترة أراقبهم، وشعرت أنهم كانوا جميعًا بخير، على ما يرام أفضل من المجموعة الموجودة فى محل جورج دولى، وخمنت من الطريقة التى كان يعامل بها ريتشارد هذين الشابين أنهما كانا من أصدقائه المقربين، وكانا يعاملان دافيد بمنتهى الرقة ويستمعان له عندما يتحدث، ويتحدثان معه بجدية، ولا بد أنهما كانا فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر، ولا يمكن أن يكون عمرهما أكثر من ذلك... أنا لا أعرف بالضبط ربما كان أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا.

استيقظت وقمت بتنظيف بنطلونى، وسألت دافيد: "ماذا تعتقد بشأن هذا المكان"، فقفز واقفًا على قدميه باحترام كما لو أننى كنت الملكة الأم، وقال: "شكرًا يا سكولى، إن ذلك عظيم جدًا..."، ثم التفت إلى الشباب الجالس على الأرض وابتسم بخجل، ثم قلت: "خذ"... وقذفته بعلبة سجائر، وقلت يمكنك استخدام هذه السجائر لإعداد لفافات تدخنها مع أصدقائك الجدد، ولاحظت أنه كان يدخن إحدى اللفافات، وقد بدا عليه أنه كان مستمتعًا بها.

أخذ دافيد السجائر ونظر إليها فى شك كأنه يتساءل عما يمكن أن يقوم بعمله، وفى هذا الوقت ظهر ريتشارد، فقلت لريتشارد: "ابحث لك عن زبون آخر"، فأخذ ريتشارد فى الضحك، ولكن لم يكن يبدو عليه أنه كان سعيدًا، ولم يكن ريتشارد يهتم كثيرًا لمسألة فقدانهم لوعيهم من هذه المخدرات، ولكنه كان معترضًا على كثرة الكميات التى كانوا يدخنونها.

قمت بمحاولة أخرى لمغادرة المكان وصاحبنى ريتشارد إلى السلم وقال لى: "ستكون أول شخص يغادر هذا المكان الجديد من الباب الأمامى"، ثم فتح الباب لى وكنت لا أزال فى حالة دوار، وعندما قفزت خارج المنزل كانت رائحة الهواء النقى منعشة، وعندما وقفت فى الممر رأيت سيدة تمر هناك، كنت أعرفها، أنها السيدة "مارى وولدى"، فابتسمت لها وحييتها قائلاً: "مساء الخير يا مارى"، ولكنها نظرت لى ولريتشارد ثم أكملت سيرها، وهى تحجل وكأنها أبو جلمبو يسير على ساقين، وقال لى ريتشارد: "إذا رأيت المزيد من هؤلاء الشباب الذين يحتاجون إلى مأوى فأرجو أن تخبرنى"، فرددت عليه: "أنا لم أر أى حالات تستحق ذلك"، فرد ريتشارد فى أسى: "إنهم يملأون الشوارع"، وكان ريتشارد مهتمًا لأن يحصل كل فرد على حقه، وإذا حصل عليه فإنه لا يكون قد اغتصبه من أحد.

وقلت له وأنا أعانى من الألم: "هذه اللفافة اللعينة قد قتلتنى تقريبًا".

فرد وهو يشعر بالأسى من أجلى: "أوه، إننى لم أكن أقصد ذلك".

قلت له: "كنت أشعر بأن زوجتى ستخرج من تحت الأرض وتصعد نحوى، لقد كان ذلك كابوسًا".

ضحك ريتشارد قائلاً: "إنها امرأة قوية".

أدركت ذلك هذه الليلة فقط، ثم انتفض كالملدوغ حين تذكر أننى قد مررت بأوقات صعبة وقال: "أنا آسف لذلك".

- "لا عليك فإن كل شىء على ما يرام، لقد تعلمت الدرس تمامًا"، قلت ذلك له لكى يعرف أنه يحاول دفعى لكى أصبح فوضويًا، وقد بدا بائسًا؛ لأنه شعر بأنها خطوة أخرى للخلف بعيدًا عن تحقيق النظام العالمى الجديد، فأعطيته قطعة

شوكولاته وودعته، فقال لى: "أوه، لا... أنا لا أستطيع تناولها لأنــه يوجــد فيهــا شحوم حيوانية وأنا نباتى".

فقلت له: "جرب أن تدخنها، فهى ستقضى عليك"، فانفجر ضاحكًا، وكاد يقتل نفسه من كثرة الضحك على هذه النكتة.

لم أر دافيد كثيرًا بعد ذلك، اختفى من الشارع تمامًا، وكنت أعتقد أنهم كانوا يعتنون به، فقد كان دافيد من ذلك النوع القادر والمتمكن من الفتيان برغم مظهــره الهادئ، وأنت تشعر أنه كان يستطيع دائمًا أن يجد شخصًا من يقوم برعايته ويكون لديه الوقت الكافى للتفرغ له.

كنت أنوى أن أعود لإلقاء نظرة عليهم مرة أو مرتين بعــد ذلــك، لكننــى شعرت بفتور تجاه ريتشارد بعد ذلك بوقت قليل، وقد سمع بعض المعارف الــذين أدين لهم بالجميل عن البضاعة والأدوات الكهربائية الموجودة فى محــل العجــوز جورج دول، وقد كان يوجد به بعض البضائع الجيدة مثــل أجهــزة الهــاى فــاى وفيديوهات وتليفزيونات وبعض الأشياء الرخيصة الثمن التى ليس لها قيمة عاليــة، وقد ذكرت لهم هذا بالفعل، وأنا متأكد أن ريتشارد قد بذل قصارى جهده لكى يقنــع هؤلاء الفتيان الفظيعين ألا يلمسوا هذه البضاعة، ولكن فى الحقيقــة فإنــه، ينبغــى أن يكون لديك قوة ريتشارد لكى تستطيع ترك هذه الأشياء كلها بــدون أن تمــسها الأيدى بسوء.

وعلى أية حال فقد قرر أصدقائى هؤلاء أن يحرروا أنفسهم مما التزموا بــه قليلاً، وأتى أحد أولئك الفتيان وحاول سرقة بعض هذه الأجهزة لكنه تلقــى علقــة ساخنة وفقد اثنتين من أسنانه، وقد أغضب ذلك ريتشارد جدًا، وعندما قــابلنى فــى

الطريق أخبرنى بكل ما حدث، وكانت عيناه تدمعان تقريبًا، وكان نوعًا من الغباء منى أن ألمح إليه بأننى قد علمت بكل شىء عن ذلك.

حسنًا لقد حاول الفتى أن يغتصب ممتلكات شخص آخر، فما معنى التظاهر بالتقوى والورع أمام شخص يمكن أن يفعل ذلك؟، أنا لا يمكننى تحمل هذا النوع من النفاق، وأعرف الكثير من الناس الذين يتظاهرون بأنهم يتألمون ويتأوهون لسوء حال العمال طوال الليل، وهم فى الحقيقة أناس يتسمون بقدر كبير من الدناءة وسوء الخلق، وبقدر علمى فإن هذا الفتى قد تعلم درسًا مفيدًا، وكذلك هؤلاء الفتيان الذين يعيشون بلا مأوى.

كان اتصال دافيد الضعيف جدًا بالعالم الحقيقى سببًا قويًا لتزايد قوة الخير فى داخله، ولكن كما قلت من قبل فإن ريتشارد كان غاضبًا جدًا، ولم أكن أعرف ما الذى كان يريد منى ريتشارد أن أفعله، هل أطلب الشرطة، وأخبرهم بموعد قيام هؤلاء الفتيان بالسطو على المحل؟ ولكن هذا يمكن أن يكون صفعة قوية على وجه هؤلاء الفتيان، لا تقل لى إنهم يمكن أن يكونوا قد أخذوا البضاعة أو أن أبتعد عنهم، لأن كونك صديقًا لمثل هؤلاء الأشخاص ليس كافيًا لجعل الناس يحبونك، ويجب على المرء أن يكون دائمًا إلى جانب الشىء الصحيح...

(٥)

تـــــــار

كنت أعيش أفضل لحظات حياتى وأكثرها حظًا فى تلك الأيام.

ليس بالنسبة للمنزل الذى كنت أعيش فيه فقط ولكن بالنسبة للناس أيضًا، فقد كانوا رائعين جدًا منذ البداية، خاصة بالنسبة لريتشارد، وذلك منذ أن سألونى عن عمرى فقلت لهم بدون أدنى تفكير: "ستة عشر عامًا"، وكانوا جميعًا جالسين فى شبه دائرة يشربون البيرة ويدخنون، ولكننى شعرت بالضيق بعد ذلك لأنهم كانوا جميعًا ثلة واحدة ومتفاهمين بعضهم مع بعض... بينما كنت أنا أقول لهم هذه الأكاذيب الغبية، فاستجمعت شجاعتى وانطلقت أقول: "إننى فى الحقيقة لست فى السادسة عشرة، لكننى فى الرابعة عشرة من عمرى فقط"، فقال ريتشارد: "آه يا عزيزى"، وقد بدا شاحبًا تمامًا، وكنت متأكدًا من أنه سيأمرنى بمغادرة المكان فى الحال، لكن الأمور كلها انقلبت رأسًا على عقب عندما شعر بصدمة شديدة لأن والدى كان يضربنى ضربًا مبرحًا وأنا لم أكد أبلغ الرابعة عشرة بعد، وأشار جيرى قائلاً: "هذا يعنى أنه لا يمكنه التوقيع على عقد عمل".

فتوسلت إليهم قائلاً : "كنت أعيش على التسول والآن أنا أريد أن أجد عملاً".

ولكنكم لا يمكن أن تتخيلوا ما الذى قاله ريتشارد، فلقد قال: "سيتحتم عليك أن تعيش متطفلاً علينا لمدة عامين".

لا أعتقد أن جيرى قد أحب ذلك كثيرًا، ولكن فونى قالت بسرعة: "إن وجود طفيلى آخر لن يفرق معنا فى شىء".

هل تصدق هذا الأمر، لقد جعلونى أشعر بأننى أستطيع الوقوف على قدمى مرة أخرى وأنهم قد أحبونى فعلاً، لقد أرادوا أن يعولونى على الرغم من أنهم ليسوا أغنياء أو أى شىء من هذا القبيل، وكانوا جميعًا يغنون معًا ما عدا ريتشارد الذى عرض علىّ أن يقوم بإحضار بعض الأشياء التى يمكن أن أقوم بعملها لمحل الدراجات الذى يعمل فيه.

كنت سعيدًا جدًا، أقصد... أنهم لم يكونوا يعرفوننى من قبل، وكان يمكن أن أظل قابعًا فى مدينة بريستول مئات السنين دون أن أجد مثل هؤلاء الأصدقاء، وحتى جيرى جاء إليهم وكان مختلفًا قليلاً عن الآخرين، ولكنه ابتسم بعد ذلك قائلاً: "ربما استطعت تعليم تار بعض طرق سرقة المحلات"، ثم غمز لى.

قال ريتشارد: "آه، أعتقد أن ذلك لن يكون فكرة جيدة"، ثم أضاف وهو يميل على الثلاجة"، لو تم القبض عليه، فإنهم إما أن يعيدوه إلى منزله، أو أن يرسلوه إلى دور رعاية الأحداث، ونحن لا نريد له ذلك بالطبع، أليس كذلك؟"، وبدأ فى الحديث حول إمكانية كسب بعض النقود، وكيفية الحصول عليها، ولكننى أخذت أفكر فى جيما فجأة، فقد أدركت... أننى قد وجدت مكانًا لنا لنعيش فيه معًا! يمكنها أن تأتى إلى هنا وتقيم معنا، وسوف يساعدونها كما كانوا يساعدوننى، وسيكون لدينا هذه المجموعة المتميزة من الأصدقاء، إنهم حقًا أكثر من الأهل، وسيكون الجميع هنا فى انتظارها، وقمت بإخبارهم بكل شىء عنها وبمنتهى الصدق... حسنًا، لكن الأمر كان محبطًا قليلاً بالنسبة لى لأنهم لم يبدوا اهتمامًا شديدًا لذلك،

كان هذا بسبب خطئى أنا لأننى لم أكن متأكدًا تمامًا أستأتى لمجرد الزيارة أم أنها سوف تقيم معنا، وقد طلبت منهم أن يساعدونى فى إقناعها بالبقاء معنا، وأخبرتهم بكل المشكلات التى تعانى منها فى منزلها، ولكن...

قال جيرى: "إننا نقصد أنك تطلب منها الكثير يا تار؟ أليس كذلك؟، ففى حالة البقاء هنا فسوف ينبغى عليها أن تتوقف عن التعليم، وأن تبتعد عن والديها وعن كل شيء آخر من أجلك أنت...".

قلت: "إن الأمر ليس كذلك"، وأخذت أفكر هل كان الأمر كذلك فعلاً؟، وبدأت فى التحدث عن والديها مرة أخرى، ولكن فونى قالت: "أنا أيضًا لدى الكثير من الخلافات مع والدىّ، ولكن هذا لا يعنى أن أترك المنزل".

أحسست بالبؤس والقنوط إلى درجة كبيرة، فقد كنت أريد بشدة أن تأتى جيما وتعيش معى هنا، ولكنى لم أكن أنظر إلى الأمور بهذا الشكل من قبل، وبدأت أعتقد أننى إنسان أنانى جدًا.

تساءلت فونى: "هل تريد بشدة أن تأتى جيما إلى هنا".

فقلت وأنا على وشك البكاء: "أنا أحبها جدًا".

وسمعت جيرى يضحك فى استنكار، ولم أعرف لماذا لم يستطع أن يصدقنى، كما بدا الشك على وجه فونى أيضًا، لكنى أعتقد أن ريتشارد قد صدقنى.

قال يتشارد واعدًا: "سوف نلقى عليها نظرة فأنت الآن واحد منا"، ثم ابتسم لى.

قاطعته فونى قائلة: "إنه فى الرابعة عشرة فقط يا ريتشارد".

قال ريتشارد: "يمكنك الوقوع فى الحب فى أى وقت يا فونى، وأنا دائمًا أقع فى الحب فى سن الرابعة عشرة"، وضحك الجميع بعدها.

أخبرته فيما بعد أننى أريد الاتصال هاتفيًا بوالدتى، وأنت تعرف لماذا أخبرتهم، لأنه لم يكن لدى أى نقود، فشاركوا جميعًا فى ذلك، وجمعوا لى جنيهًا بأكمله لذا استطعت أن أحظى بمكالمة طويلة مع أمى.

أنا أعرف ما الذى تظنه فى وفى أمى، لقد كان الناس جميعًا يعتقدون أن أبى أسوأ من أمى لأنه كان يضربنى دائمًا، ولكن فى حقيقة الأمر كانت أمى أسوأ منه، لكننى كنت أكرهه لأنه كان يعقد الأمور ويجعل الأشياء دائمًا تتراكم فوق رأسى، ويلوم أى شخص يحاول مساعدتى، كما أننى كنت أكرهه أيضًا لأنه كان يعاملنى أنا وأمى بطريقة سيئة جدًا، وينظر إلينا وكأننا قاذورات، وأظن أننى أكره أمى أيضًا، وكانت المشكلة معها هى أننى أكرهها وأحبها أيضًا، وكان ذلك الحب والكره لها فى نفس الوقت يمزقنى، وقد اعتاد أبى أن يذهب إلى الحانة ويشرب كل ليلة، كانت أمى تشرب أيضًا كل يوم بدون أن يعرف أحد، حتى والدى لم يكن يعرف ذلك، لكنها كانت تشرب لكى تحتفظ بروحها المعنوية مرتفعة عندما تسوء حالتها، وكانت الأمور تسير على ما يرام، أقصد أن الأمور كانت سيئة ولكنها لم تكن فظيعة، وكانت أحوالها تبدو جيدة، ولكن سرعان ما ساءت حالتها بسبب الشرب المستمر، وكانت دائمًا فى حالة انهيار وبكاء وتأوه، ثم وقعت فريسة للمرض.

كان يجب على والدى أن يراعى أنها مريضة، وأنها لم تعد قادرة على مواجهة كل هذه الأمور، لكن ذلك كان يجعله غاضبًا طوال الوقت، وعند عودته إلى المنزل كانا يتشاجران وكانت أمى دائمًا تصب عليه اللعنات والتهديدات، وكانت تلك المشاجرات والصراعات المتبادلة بينهما تصل إلى حد رهيب، وكانا يستخدمان

أساليب فظيعة فى الشجار والصراخ، وقد وصل بهما الأمر إلى حد التهديد بالقتل وتحطيم الأثاث والأوانى بعنف فى النهاية، بعد أن كانا فى البداية يتشاجران فقط دون أن يلمس أحدهما الآخر سوى بالمصادفة.

كنت أحاول مساعدتها دائما عندما أعود من المدرسة، فأقوم بشراء لوازم المنزل وإعداد الشاى وتنظيف المنزل وإعادة ترتيب المكان على قدر الإمكان، وذلك لكى تبدو كأنها هى التى تقوم بهذه الأعمال، وإخفاء أنها كانت مستلقية فى السرير تشرب طوال الوقت كما كانت تفعل دائمًا.

كان أمر شربها سرًا بينى وبينها، وكان من النادر أن نرى والدى فى البيت، لأنه كان يخرج فى الصباح ثم يعود للخروج مرة أخرى فى المساء، ولم يكن يهتم لأى شىء طالما أنه كان يجد عشاءه جاهزًا، وكانت أمى تقول لى دائمًا ماذا كنت سأفعل بدونك، فقد كانت تعتمد علىّ فى كثير من الأمور، وقد أحببت ذلك الأمر كثيرًا، وكان يمكن للأمور أن تسير على ما يرام، لكن أمى كانت تحب دائمًا أن تلجأ إلى التحايل والأساليب الملتوية فى التعامل.

وبدأت فى عدم الاهتمام لأى شىء بعد ذلك، كنت أحاول أن أعاونها فى البداية، لكن... أخذت أمورها فى التدهور بشدة، فقد كنت أجدها عند عودتى من المدرسة ملقاة وهى شبه ميتة من كثرة الشرب، وبجانبها كومة كبيرة من الملابس القذرة، وتطلب منى غسلها وكيها، وتظل تتوسل لكى أقوم بذلك لأن أبى سوف يغضب جدًا إذا وجد ملابسه قذرة، ولم أكن أرفض القيام بذلك، لكننى كنت أعرف أنها سوف تتمادى فى استغلالى، وكان الشىء الذى يزعجنى هو أنها كانت تريد أن تخرج لتسكر خارج البيت ثم تجد كل شىء نظيفًا ومرتبًا، وجميع لوازم البيت جاهزة وعلى ما يرام عند عودتها، وأى شخص يأتى إلى البيت يجب أن يجده

نظيفًا ومرتبًا، أما فيما يتعلق بأى شيء يخصنى أو يخص والدى فإنها لا تفعل أى شيء ولا حتى ترفع إصبعًا.

بدأت هذه التصرفات السيئة من جانبها واعتمادها الكامل على فى كل شيء يسبب لى الكثير من المشكلات، ففى أحد الأيام كنت جالسًا فى الفصل فى حصة الرياضيات أحاول كتابة قائمة المشتريات المنزلية، وقد ضبطنى السيد/ وبستر (مدرس الرياضيات) متلبسًا بذلك العمل، وقال لى: "حسنًا... أرى أنه يمكنك إجراء عمليات الحساب والجمع بشكل صحيح"، وخمنت بأنه قد أصبح على علم بالمشكلات التى أواجهها فى المنزل لأنه ابتسم وأعادها لى، لكن لا بد أنه قام بإبلاغ ناظر المدرسة أو أى شخص آخر على علاقتى بأمى وأبى فى المنزل.

وعندما عدت إلى المنزل بعد هذه الواقعة بيومين كان الاثنان فى انتظارى، وهما شبه ميتين من السكر، وكانا غاضبين جدًا، وظل أبى يوبخنى لأننى كنت أعمل لصالحها وأجعلها تستغلنى مثل العبد، وأقوم بجميع الأعمال المنزلية، وأشجعها على التمادى فى الشرب بدلاً من قيامها بواجباتها المنزلية، وذلك على حساب دراستى وأداء واجباتى المدرسية وتعطيل تعليمى، وكانت أمى تصرخ فى أبى طوال الوقت لتدخُّله بينها وبين ابنها، وتظل تخبرنى بمدى اعتمادها علىّ وحاجتها الشديدة لى أثناء مرضها.

كانت أمى فى حالة سكر شديد، وأخذت فى التودد إلىّ واستمرت فى القيام بذلك، ولفت ذراعها حول جسمى، وبدأت فى التأوه والبكاء، وأخذت تخبرنى عن شدة حبها لى ومدى حاجتها إلىّ، وأنه يجب علىّ أن أساعدها وأعاونها للنهوض من كبوتها، وكان ذلك مريعًا حقًا، لأن أبى فقد أعصابه وأسرع قادمًا نحونا والشر يتطاير من عينيه، واعتقدت أنه سيقوم بقتلها وأسرعت هى بالاحتماء بى، فتلقيت

صفعته الشديدة على جانب وجهى، وكانت شديدة لدرجة أنها أوقعتني على الأرض، وحاولت القيام لأرى إذا ما كانت أمى بخير، لكنه رفسنى بحذائه ذى الرقبة الطويلة.

كان أبى يبدأ بالتشاجر مع أمى وضربها، ثم يأتى دورى بعد ذلك، وفى كل مرة لم يكن يمكننى تصديق ذلك أو فهمه، فقد كان يقوم برفسى وضربى بقدميه وسحبى على الأرض فى طول الحجرة وعرضها، وكانت أمى تظل جالسة بجانب الطاولة وهو مستمر فى ضربى ضربًا مبرحًا بيده وقدميه، ورأيتها وهى تتناول زجاجة كبيرة من الجعة المعتقة، وتأخذ منها كمية كبيرة، ثم نهضت وفرت ناجية بنفسها، وتركتنى وحيدًا فى مواجهته، فجرى خلفها مسرعًا إلى أعلى السلم، ثم سمعته يخرج من المنزل بعد ذلك ببرهة، وأدار محرك سيارته ومضى، وأخذت أمى تضع بعض المطهرات على جروحى، وقد تغيبت عن المدرسة لمدة أسبوع كامل بسبب هذا الضرب، وكنت لا أزال أعانى من آثاره عندما عدت إلى المدرسة فى يوم الاثنين التالى، ولم يعد أحد يشكونى لأبى أو أمى مرة أخرى بعد ذلك.

إن الشيء الذى لم أستطع فهمه أبدًا حتى الآن هو لماذا كان أبى يعاملنى هكذا؟، أقصد أنه لو كانت هذه المعاملة لى من جانب أمى لكان ذلك أمرًا عاديًا، أنا لا أقول أننى كنت أتمنى أن تكون أمى هى التى كانت تعاملنى بهذه الطريقة لكننى كنت سأستطيع أن أفهم السبب حينئذ، إلا أننى لم أستطع أبدًا فهم أسباب معاملة أبى لى بهذا الشكل، لماذا لم أستطع استيعاب هذا الأمر، وقد تحسنت العلاقة قليلاً بيننا فيما بعد، وعادت إلى سابق عهدها مرة أخرى من جديد، وكان أبى يكره قيامى بالأعمال المنزلية لسبب ما، لذا كنت أحاول دائمًا إنهاء هذه الأعمال قبل حضوره إلى المنزل لكى أجعله يعتقد أن أمى هى التى كانت تقوم بها، لذا كانت أمى تتمادى

فى استغلالى وتكليفى بالمزيد والمزيد من الأعمال المنزلية، كما تمادت فى شــرب الجعة لوقت أطول ومنذ وقت مبكر من النهار، كنت أحس بالذنب لأننى أنا الـذى كنت أتيح لها الفرصة للقيام بذلك، وكانت المشاحنات بينها وبين أبى تتزايـد يومـا بعد يوم وكان يقوم بضربى أكثر وأكثر أيضًا...، وكان ذلك هـو سـبب هروبـى ومغادرتى للمنزل، لكن المشكلة هى أن...، لقد كانت أمى تعتمد علىّ فـى القيـام بالكثير من الأعمال، وقد ظللت أفكر فى مقدار غضب أبى منها بـسبب إهمالهـا عدم قيامها بأعمال المنزل، وبأنه سيقول لها أنها هي التى دفعتنـى إلـى الابتعـاد عن المنزل...

عرضت علىّ فونى أن تصحبنى لإجراء المكالمة الهاتفية، لكننى كنت أشعر بأنه يجب أن أقوم بذلك من تلقاء نفسى، ولا أعرف لماذا شعرت أنه كـان يجـب علىّ التحدث إليها، لقد كانت هذه غلطة منى حقًا أن أكلمها، وكان يتوجب على أن أستمع إلى كلام جيما، لأنها تفهم الأشخاص أفضل منى بكثير.

وجدت كابينة تليفون على الطريق وقمت بطلب الرقم.

كان قلبى يخفق قلت "ألو" بصوت منخفض كى لا يصدمها كثيرًا و... وبـدا كأنها قد تلقت صدمة كبيرة من خلال الهاتف.

لقد قالت فقط: "دافيد" ثم انتظرتنى لكى أشرح لها موقفى.

بدأت فى الكلام، لكنى لم أستطع أن أتذكر ماذا قلت لها، لقد أخبرتهـا بكـل هذه الأشياء الطيبة التى حدثت لى منذ مغادرتى للمنزل، وعن عثورى على مكـان لأسكنه، وأن كل شىء على ما يرام، وعن أولئك الأصدقاء الطيبين الـذين أعـيش معهم، وكيف أننى آكل وأشرب بما فيه الكفاية، وأننى أعتنى بنفسى جيدًا.

وعندما انتهيت من حديثى، لم يكن لديها أى شىء لكى تقوله. وقد سمعتها وهى تدخن على الطرف الآخر من الخط، وكان هذا هو كل شىء، لأن أمى عادة تكاد تكون فاقدة الوعى معظم الوقت، تستند على الطاولة أو على الحائط أو أى شىء بالقرب منها، لكننى شعرت فى هذه المرة أنها كانت متيقظة إلى حد رهيب، مثل طائر أو سمكة لا تنام أبدا، وقد أخذت تستمع وتنصت إلى كل شىء أقوله وتنتظر.

وأخذت أقول...: "أنا آسف يا أمى، لقد ذهبت بعيدًا، إننى لم أقصد أن... أنا لم أرد أن... أنا أقصد،... هل أنت على ما يرام يا أمى...؟ قولى أى شىء يا أمى، فقالت فى صوت يكاد يكون عاديًا...: "لا أستطيع قول أى شىء يا تار، إن أباك فى الطابق الأسفل يسترق السمع إلى ما نقول"، ثم خفضت صوتها إلى درجة الهمس: "لقد أخذ فى ضربى"... ثم بدأت فى كشف مكنون أعماقها.

أنت تعرفين، إننى لم أكن أظن ذلك أبدًا، لم أظن أبدا أنه يمكن أن يفعل ذلك فى غيابى، ولكن الأمر كان واضحًا جدًا، فوجودى هناك هو وحده الذى كان يجعله يتوقف عن ضربها، لقد شعرت كما لو أننى قد رفعت العالم كله حوالى عشرة أقدام إلى أعلى ثم أسقطته على أرض صلبة، وكأن ذلك كله كان خطئى أنا وحدى.

ثم بدأت بعد ذلك فى التصرف معها بنفس أسلوبها المعتاد، وقد ظننت فى أول الأمر أنها كانت باردة مثل صخرة صماء، لكنها كانت فى حالة سكر تام كسابق عهدها وكحالها كل ليلة.

قالت: "لقد أصبحت مرعوبة من الخوف، فهو يأتى كل ليلة سكران، ولا أعرف أبدًا ما الذى سيفعله بعد ذلك، إننى أشعر بوحدة شديدة، ولا يوجد من يقوم بأداء الأعمال المنزلية يا عزيزى، أنا أحاول لكن... أنت تعرف حال أبيك، إنه

صعب الإرضاء وسريع الهياج ويغضب دائمًا عندما يشعر بأن الأمور ليست على ما يرام، إنه ليس خطأه، إنني زوجة سيئة وأم سيئة، لكن كان ينبغي عليك ألا تذهب وتتركني يا دافيد، أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟".

ثم سادت فترة من الصمت.

قلت: "نعم"، حسنًا فماذا كنت أستطيع أن أقول غير ذلك.

قالت أمي: "أنت تعرف يا دافيد مقدار اعتمادي عليك... وقد كنت أحاول جاهدة أن... آه يا عزيزي، كيف استطعت أن...؟".

واستطعت أن أشعر بها تنزلق ساقطة من على الكنبة إلى الأرض، وهي

تبتلع دموعها، وأحسست أن دموعها المتساقطة سوف تنساب من سماعة التليفون لتسقط في كفي.

قلت: "اسمعي يا أمي..."، واستطعت سماع صوت نحيبها.

فقلت لها: "من فضلك توقفي عن البكاء يا أمي، توقفي من فضلك، سوف نتحدث في كل هذه الأمور، هل الأمر سيء يا أمي، هل يضربك بشدة؟".

- "من فضلك ارجع إلى البيت يا عزيزي، من فضلك...، فهو يقول لي دائمًا إنني أنا التي تسببت في هروبك من المنزل".

وكانت تنتحب، وتنتحب، وتنتحب...

- "حسنًا يا أمي، توقفي من فضلك... انظري، سوف أعود إلى المنزل، سوف أعود إلى المنزل، إن هذا الأمر لن يدوم إلى الأبد، وسوف أعود إلى المنزل".

وكنت مستعدًا لأن أقول لها أى شيء فى ذلك الوقت، كان شيئًا فظيعًا منه أن يتهمها بأنها كانت السبب فى هروبى، لأن ذلك لم يكن صحيحًا مطلقًا، إنه هو الذى دفعنى للهروب بعيدًا، لكن... لقد كان ما ذكره حقيقيًا أيضًا...

- "سوف أعود إلى المنزل".

- "متى؟".

- "حالاً يا أمى، هناك- بعض الأشياء التى ينبغى علىّ عملها أولاً".

- "أنت تستطيع أن تفعل ذلك الآن، يمكنك أن تسير وتركب أتوبيس السفر...".

- "ليس لدىّ أى نقود".

استطعت أن أسمعها وهى تسحب نفسًا من سيجارة، وأخذت تفكر فى ذلك الأمر، ثم قالت لى: "سافر أتوستوب بدون دفع ثمن التذكرة".

- "سوف آتى إلى المنزل بمجرد أن أستطيع ذلك".

- "تقول إنه ليس لديك أى نقود، ولكن أعتقد أنك قلت أن أمورك تسير على ما يرام".

كانت قلقة بشأنى وغير واثقة فى قدرتى على رعاية شئونى الخاصة بنفسى، فقد كانت تهتم دائمًا أن تتأكد من أننى آكل وأشرب جيدًا، وأننى أرتدى ملابس أنيقة ومثل ذلك من الأمور، إنها أم جيدة حقًا أو يمكن القول بأنها سوف تكون كذلك إذا استطاعت الابتعاد عن الزجاجة والكأس.

ثم أخذت فى توجيه بعض الأسئلة إلىّ، وكنت خائفًا من أن أقول أكثر من اللازم... فقد كانت تسألنى عن الناس الذين كنت أعيش معهم، وعن مكانى وعنوانى، وعن أسمائهم، وقالت إنها كانت تريد أن تشكرهم بطريقة ما، ولكننى لم أستطع الوثوق بها، وغضبت كثيرًا لأننى لم أخبرها بكل المعلومات التى طلبتها.

ظلت تكرر: "ألا تثق بى يا دافيد"، وبالطبع أنا لم أكن أثق بها، ولكننى لم أستطع أن أقول لها ذلك، لذا وجب علىّ الاعتذار لها، واستمر الحال كذلك واستمر الخط مفتوحًا بيننا وكنت أضع النقود فى حصالة التليفون، وكلفتنى هذه المكالمة ثلاثة جنيهات، ولم أتوقف إلا عندما نفدت نقودى كلها، وتوقفت المكالمة فى نصف الجملة.

كنت أكره أمى أكثر من كرهى لأبى، لأن أبى كان يرعبنى أما أمى فكانت تجعلنى أشعر بأننى قذر وعديم الفائدة، وكانت تفسد كل ما كنت أحب أن أفعله، وتحطم كل ما أقوم بعمله، وشعرت بالقرف وأنا أغادر كابينة التليفون لأننى وعدتها بالعودة إلى المنزل، وأقسمت لها على ذلك، وأدركت أننى لم يكن ينبغى أن أتصل بها، فقد كانت تقوم دائمًا بذلك، وتستطيع دائمًا أن تجعلنى أفعل ما تريد، وأن أفعل أى شىء من أجلها، كانت تفعل ذلك من أجل متعتها الخاصة أحيانًا، أو من أجل أن تسلى نفسها، وقد فعلت ذلك أمام جيما عندما جاءت لزيارتى... فقد أخذت تتحدث وتتحدث وجعلتنى ألف وأدور حول المنزل، وأقوم بأداء أعمال غبية من أجلها حتى جعلتنى أصل إلى درجة عالية من القلق والارتباك لدرجة أن الأشياء أخذت تتساقط من يدى من شدة الارتباك لأننى قد أحسست بالحرج أمام جيما، ورأيت أمى وهى تختلس النظر لجيما، وكنت أعرف ما الذى سيحدث، وكانت جيما أيضًا تسترق النظر إليها، وكنت متأكدًا من ذلك برغم أنها لم تقل أى شىء، كانت أمى تتباهى وتتفاخر أمامها لتشعرها بأن مستواها أقل من مستوانا.

لكنى كنت قد وعدتها بالعودة إلى المنزل، ولا أستطيع ألا أفى بوعدى أو أن أخذلها... ليس مع أمى، ليس معها من بين كل الناس، والآن أصبح ينبغى علىَّ الاتصال بجيما، لأطلب منها ألا تأتى لأنه أصبح يتحتم على العودة إلى أمى مرة أخرى الآن، وإلى كل ذلك الضياع إلى الأبد.

ظللت أتجول على غير هدى لمدة طويلة، ثم رجعت إلى المنزل فى ساعة متأخرة، كان الوقت متأخرًا، وكنت آمل أن يكونوا قد ذهبوا جميعًا إلى مخادعهم، ولكن الأنوار كانت لا تزال مضاءة فى الدور الأرضى، وكانوا جميعًا يريدون جميعًا أن يعرفوا كيف سأدخل إلى المنزل.

ابتعدت عن البيت وظللت أتجول لفترة أخرى، ولكن الأنوار ظلت مضاءة فى المنزل، لذا فكرت، حسنًا، فى أن أدخل إلى المنزل ب...

عندما انتهيت لم يعلق أى شخص بأى كلمة، ولكن ريتشارد قام وعانقنى بشدة، ثم فونى.. حتى جيرى قام وعانقنى، وبدأ الأمر... يبدو أنهم لم يعرفونى جيدًا، أو أى شىء، وقد شعرت بأنهم قد فعلوا ذلك لأنهم كانوا يعرفون أننا لا نتعانق كثيرًا فى أسرتنا، وكأنهم يحاولون علاج آلامى وإعطائى دواء لها، لكننى حاولت نسيان الأمر كله، وأخذت فى معانقتهم محاولاً ألا أبكى، فقد كنت بائسًا جدًا.

قال ريتشارد "إنك لن تذهب، أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟".

لقد كنت غبيًا جدًا، حقيقة لم أتوقع منهم أن يقولوا ذلك.

قالت فونى: "لا... لقد كانت جيما على حق فى ذلك، إن تركك للمنزل كان أفضل شىء فعلته".

قلت: "لكنى وعدت"...

قال جيرى: "لقد جعلتك أمك تفعل هذا، إن هذا ليس وعدًا".

قال ريتشارد: "أنا لا أعتقد أن الإخلال بوعد تم تحت الضغط أمر يمكن أن يؤخذ عليك".

- " لكن أبى يضربها".

استمرت المناقشة بيننا لعدة ساعات، لكنى كنت أشعر أننى لا يمكن أن أتركها على هذه الحال، وقالوا كل ما يمكن أن يقال لكى يقنعونى بالبقاء وعدم العودة إلى المنزل.

قالت فونى إنها تظن أن أبى سيبدأ الآن فى ضرب أمى وتصفية حسابه معها، وأنه سوف يظل يفعل ذلك دائمًا، وهكذا فإننى لم ولن أستطيع إيقاف ذلك أبدًا بأية حال من الأحوال.

وأخذ ريتشارد يشرح لى كيف أننى كنت غير مسئول عن ذلك، وهو الأمر الذى كنت أعرفه جيدًا.

قال ريتشارد "إنها لا تستطيع رعايتك أو العناية بك، كما أنك لا تستطيع أيضًا رعايتها، أليس كذلك؟".

إن كل شىء قاله كان حقيقيًا، وكنت أفكر فى ذلك كثيرًا بينى وبين نفسى من قبل، لكن المشكلة كانت تتمثل فى أنه لم يعد هناك فارق، فما الذى يهم فى الأمر إذا كان قد بدأ فى ضربها منذ أن قررت الابتعاد وتركت البيت، ربما أستطيع إيقافه ومنعه عن ضربها إذا عدت للبيت مرة أخرى.

(٦)

جيما

أخبرته: "إنها تكذب".

قال تار: "إنها لم تكن لتفعل ذلك".

قلت: "ألم تفعل ذلك فعلاً " لكننى لم أكن فى حاجة لقول ذلك، لأن كلينا يعرف جيدًا أنها قد فعلت ذلك، إنها تعرف جيدًا أنه يصدقها دائمًا، ولو قالت له إنها قد نامت فى الفراش مع الأمير تشارلز فإنها كانت على يقين من أنه سوف يصدق ذلك، وكان سيصدقه بالفعل.

- "لقد طلبت منك ألا تتصل بها، وهى تقول لك ذلك لكى تجعلك تشعر بالذنب فقط، وهذا هو ما تعودت عليه دائمًا معك".

ثم سادت بيننا فترة طويلة من الصمت، وكدت أسمعه وهو يفكر عبر الهاتف، فكتمت أنفاسى، ثم قال: "ها أنا أفعل ذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟".

وكدت أن أصيح فزعًا لأننى كنت مرعوبة خوفًا من أن يرجع إليها مرة ثانية، فإلى أين كنت سأستطيع الفرار حينئذ؟.

قال تار: "أنا غبى جدًا".

فقلت له: "لا. إنك فقط لطيف وطيب أكثر من اللازم".

لقد قلت له ذلك وأنا أريد أن أغطى وجهه بالقبلات لو كنت أستطيع ذلك.

وللأمانة لم أكن مقتنعة بما قاله مثلما كنت مقتنعة باستنتاجاتى الخاصة.

لقد ركله أبوه وضربه بقسوة، وعندما تركهم تـار وذهـب اسـتدار علـى زوجته، وقد كان ذلك أمرًا منطقيًا تمامًا، فيما عدا أن الأمر الآخر المنطقى مثله تمامًا هو أنها كانت تكذب عليه لكى يعود إليها".

قال: "يبدو أن ما كان متوقعًا منه هو أن يبدأ بها..."

- هذا هو سبب ما تدعيه، وهذا هو ما تفعله أليس كذلك؟".

- "نعم... أنا أعرف هذا".

قمنا أنا وتار بإعداد الترتيبات اللازمة ليوم السبت، وأعتقد أنه يمكن أن أقول إنه أصبح فتى أكثر بهجة بكثير فى ذلك الوقت الذى أغلقت فيه سماعة التليفون.

اكتشفت بعد برهة صغيرة أن ذلك كان حقيقيًا فعلاً، فقد أخبرتنى جـوان رد برتس التى تسكن بجوار أمه وأبيه، أنها عرفت كل شىء عنهما من أمها وأبيهـا، وقد قالت جوان: فرار تار وتركه للمنزل كان أفضل شىء حدث فى شارعهم منـذ سنوات، وقد حكت جوان عن شفة أم تار كانت كبيرة ومتورمة، وكان هذا ظـاهرًا بالفعل عندما كانت الأم تتسوق معنا وهى تضع نظارة سوداء على وجهها، لكنها لم تستطع إخفاء شفتها، وهذا التورم فى شفتها كان يمكن أن يكون بسبب سقوطها من على السلم، أو اصطدامها بحائط صلب، فقد حدث هذا من قبل، لكن جوان تـراهن على أن السيد (عضلات) والد تار يبدو أنه لم يضيع الكثير من وقته، لقـد توجـه إليها مباشرة وأعطاها لكمة قوية بمجرد أن أظهرت له رسالة تار، وجرها مباشرة

على طوال الشارع إلى إحدى صديقاتها التى أخبرت والدة جوان بكل مـــا حـــدث، وكانت والدة تار نائمة على كنبة عند صديقتها، وقد قالت عاملة النظافة التى تعمل عند هذه الصديقة إن أم تار كانت تعانى من المرض فى ذلك الصباح، على الــرغم من ذلك فإننى لم أخبر تار بذلك كله، لم يحن الوقت بعد على أيـــة حــــال، فهـــو ســـوف يندفع عائدًا إلى المنزل على أهون سبب لكى يضـــرب ويهان من أجـــــل أمه العزيزة.

ذهبت إلى منزله ذات مرة، ووجدتها تحيط به من كل جانب طولاً وعرضًا، وقد اندهشت لأنها لم تضع لسانها فى أذنه وتحدثـــه همـــسًا، فقـــد كانـــت تعانقـــه وتحتضنه وترفعه إلى أعلى مثلما يعبر الأطفال الصغار عن حبهم، فيما عدا أنهـــا كانت فى حوالى الأربعين من عمرها، وكانت تهز رأسها فيتناثر شعرها متطـــايرًا فى كل مكان مثل "ساحرة مدينة منيلى"، وقد أبعدنى ذلك عن تار لفتـــرة طويلـــة، كنت أشم رائحتها تشع منه فى بعض الأحيان، وقد اعتـــادت أن تـــستخدم كميـــات كبيرة جدًا من البرفانات محاولة أن تزيل أو تخفف رائحـــة الخمـــر التـــى كانـــت تنبعث منها.

كان تار المسكين فى غاية الإحراج فعلاً، ولكن والده كان يعيش حياته بدون أن يبالى بأحد، وكان يتجول فى داخل المنزل وهو يصب الشراب له ولها، بـــدون أن ينسى بالطبع أن يرغمها على شربه رغمًا عنها، ولم أسمع فى حياتى مثل هـــذه الكلمات ولا تلك اللغة التى كانا يتحدثان بها، كان والده يعرف بالطبع أنهـــا كانـــت تخضع لأوامره لكى تنهى الأمور معه بسلام، ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفـــسه من الغضب، وذلك ليس بسبب أنه كان يريد أن يظل لسانها الرطب فى أذنـــه هـــو فقط...، لكن لأنه لم يكن يريدها أن تتظاهر بأنها تضعه فى أذن أى أحـــد آخـــر،

خاصة تار، ولهذا السبب بالذات كانت تفعل ذلك متعمدة، لقد كان ذلك نوعًا من الجنون حقًا، وكان تار ووالده يعرفان تمامًا ما الذى كانت ترمى إليه، ولكن يبدو أنهما لم يكونا قادرين على منع أنفسهما من فعل ذلك، فقد كان لديها الرجل العجوز الذى كان يعتدى على تار ويبعده عندما يرغب فى أن ينهال عليها بالضرب مرة واحدة، ويبدو أنه لم يضيع وقتًا طويلاً فى انتظار تحقيق أحلامه، وقد كانت هى بالطبع تريد أن يعود تار إلى المنزل لكى يلقى بوجهه بين قبضة أبيه المتوحشة وبين وجهها القبيح.

ليس لدىّ أية نية فى تركه يفعل ذلك بالطبع.

وقد حاولت أن أذهب إلى منزل تار لألقى نظرة على أمه بنفسى، وقد ظننت أنى سوف أذهب وأدق على الباب وأتظاهر بأن كل ذلك الأمر مجرد نوع من الحب والمودة، وهى فرصة كبيرة لى لكى أتعرف عليها، ولكن أبى وأمى كانا سيلقيان بى إلى أسماك القرش لتأكلنى قبل أن يسمحا لى بأن أقوم بذلك.

منذ هروب تار من منزله أخذ أبى فى التضييق علىّ والحد من حريتى أكثر من قبل، فلم يعد يصطحبنى إلى المدرسة فى الصباح فقط، بل أصبح يأخذنى منها ويصطحبنى إلى المنزل عند العودة أيضًا، لا بد أنه قد استقطع عدة ساعات من عمله من أجل فعل ذلك؛ لأننى لم أكن أنتهى من الاستعداد للذهاب إلى المدرسة قبل الساعة التاسعة أو العاشرة، وكانت هناك اجتماعات عالية المستوى بشأنى فى المدرسة، واعتدت أن ألمح نظرات المعلمين وهم يراقبوننى وأنا أسير فى الردهة وما إلى ذلك من الأمور، **كان ذلك كله من أجل مصلحتى** بالطبع، لقد أرادوا أن يكون لكل ثانية من حياتى نفع وفائدة، وأعتقد أنهم يظنون أنه لو أتيحت لى أى لحظة فراغ فسوف أخلع ملابسى وأندفع نحو دورة المياه الخاصة بالأولاد.

وقد حاولت أن أقول لهم إننى **"لا زلت عذراء"**، وقد صحت فيهم بالفعل قائلة ذلك من فوق السلالم فى أحد الأيام، ولكن لم تكن هناك أى استجابة لذلك.

عندما حضرت الشرطة لتسألنى عن تار، لم يحب أبى ذلك، وأعتقد أن أبى وأمى قد أصبحا يكرهانى لهذا السبب، لأننى قد أحضرت الشرطة إلى بيتهم وقامت بالتحقيق معهم، وكانا يغلقان الأبواب ليلاً بالأقفال لكى يمنعانى من التسلل خارج البيت.

إن الغباء يكمن هنا فى أنه عندما تفكر فى أن... أقصد أنه كان يمكننى الخروج من الشبابيك أو من أى مكان آخر، وبالطبع لم يتم إلغاء نزهاتى أو منعها فى نهاية الأسبوع، وفى العطلات والإجازات الرسمية أيضًا حتى الآن، على الرغم من أننى أعتقد أنها مجرد مسألة وقت فقط، دعنا نواجه هذا الأمر، فإننى لو قمت بالفرار والهروب من المنزل فلن يكون أمامهما الكثير لكى يفعلانه بالنسبة لهذا الأمر، اللهم إلا إذا قيدانى فى الحمام بمجرد اكتشافهما لذلك.

إنهما يعتقدان أننى واقعة تحت تأثير المخدرات، كما اتهمانى بالتدخين وبشم الكلة (الصمغيات)، أيضًا على الشاطئ مع تلك الجماهير المزدحمة.

وقال أبى مقترحًا: "أتوقع أن صديقك هذا ميت الآن من تناول تلك السميات"، وقد بدا صوته عاديًا، وكأنه لا يتحدث عن أى شىء سىء.

هل يشم تار الكلة؟... أنا أسألك، أما بالنسبة لى فإن بعض الفتيات يشمون الكلة حقًا، ولكن كل ما فعلته أنا هو تدخين قليل من الحشيش، إن أبى وأمى يعرفان كل ذلك بالطبع، أنا لا أعرف من الذى أخبرهما، ولكنهما حقًا لديهما علم تام بذلك.

ينتمي والداى إلى مدرسة السهل الممتنع فى التفكير، ولا يوجـد لـديهما أى شك على الإطلاق فى أنه إن لم يحولا حياتى إلى أقصى درجة ممكنة من التعاسة، فإننى سأصبح عاهرة مدمنة عند منتصف الليل.

لقد وضعت خططى وأخذت فى التنفيذ، وأنا جالسة أحل واجبـاتى وأراجـع دروسى كل ليلة أو منتظرة أبى على باب المدرسة كى يأخذنى للمنزل، لقد كففـت عن السخرية وتوقفت عن فعل كل ما يمكن أن يثير غضبهما.

قالت أمي: "آمل ألا يكون هناك أى شيء مختبئًا خلف هذا السلوك الحسن".

قالت هذا وهى تتحدث عن الثقة التى يجب أن تكون موجودة بيننا، فقلـت: "أعتقد أننى تجاوزت أساليب السخرية".

لكن السخرية كانت تسرى فى عروقى سريان الدم، وعلى الرغم من ذلـك كان ينبغى علىّ أن أظهر لهما على الصورة التى يريدان أن يريانى بها... ابنتهمـا العزيزة، برغم أننى لا يمكن أن أكون حسنة السير والسلوك دون أن أثير الشبهات.

لقد تظاهرت بأنى سوف أذهب مع إحدى صديقاتى فى عطلة نهاية الأسبوع، وغادرت المنزل فى مساء الجمعة ولكنهما لم يعلما بهروبى حتـى صـباح يـوم الاثنين، ولم يكن هناك أى شيء لأقوله لهما، وإذا كنت قد اضطررت إلى الابتعـاد عن المنزل فى عطلة نهاية الأسبوع: فإنهما كانا سيعرفان أننى كنت فى الخـارج أشارك فى حفلات ماجنة مع سيدات مسنات، لكنى كنت لا أزال أتصرف بطريقـة جيدة، وكانت الأمور تسير على ما يرام، وكان يوم السبت هو أفضل الأيام لتنفيـذ مخططاتى، لقد شعرا بالغضب فى وقت تناول الشاى، لأنه الوقت الذى كـان مـن المفترض أن أقدم لهما فيه واجبى المنزلى لكى يفحصاه، وقد انزعجا عندما لم أعد

إلى المنزل، لكن أمى عادت إلى فقد أعصابها والإصابة بحالة البارانويا، لقد ظننت أنهما سيعتقدان أننى كنت أقضى الليل مع فتى ما، لأننى كنت أتجاهلهما بالفعل، لكنهما شعرا بالانزعاج، وقاما بإبلاغ الشرطة ليلة الأحد، وفى صبيحة يوم الاثنين تسلما خطابًا لطيفًا عن طريق البريد من ابنتهما الحبيبة.

وكان هذا هو كل ما فعلته لكى أستطيع تنفيذ خطتى للهروب.

لقد أخفيت حقيبتى فى إحدى الحدائق على بعد عدة منازل فى مساء يوم الجمعة، لذلك لم يشاهدنى أحد وأنا أخرج بها فى الصباح التالي، وقمت فى الصباح بالطقوس المعتادة، الاغتسال، ثم الإفطار لكى لا أثير لديهما أى شك.

سألنى أبى: "أين ستذهبين فى عطلة نهاية الأسبوع؟".

قلت: "ربما إلى المدينة".

اعترض أبى وأتت والدتى وأمسكت بذراعى، وقالت لى وهى تستعطفنى: "ابتعدى عن المشكلات يا جيما"، ولكننى لم أهتم حتى بالنظر إليها، وتسللت خارجة فى حوالى الساعة العاشرة، كانت أمى بالطابق الأعلى، وكان أبى فى السوبر ماركت، فخرجت من المنزل ثم مشيت فى الطريق إلى محطة أتوبيسات السفر البرى.

آه... لقد كان هناك شيء صغير نسيت أن أخبرك به.

فى يوم الجمعة الماضى، استوليت على بطاقة الفيزا الخاصة بوالدي، وقمت بحجز تذكرتي، كما قمت– أيضا– بمساعدة نفسى ماديا بهذه البطاقة، لقد كان أبى دائمًا يجرى فى المنزل صارخًا أين بطاقاتى؟ أين بطاقاتى الائتمانية؟ إذا لم أجدها فسأقوم بالاتصال بالبنك طالبا إلغاءها...".

بالرغم من ذلك فقد ظل يبحث عنها فترة من الوقت خلال عطلة نهاية الأسبوع، وانتظر عدة أيام قبل أن يقوم بإخطار البنك بوقفها، وكان ذلك قبل أن يشك في الأمر، وقد علمت أنه لم يبلغ الإدارة الرئيسية لوقف الفيزا، وكان قد ترك رقمها السرى مكتوبًا على ظهر المرآة في غرفة النوم، فهو ضعيف في حفظ الأرقام، وفي الطريق إلى محطة الأتوبيسات توقفت عند البنك وأخذت من ماكينة الصرف مائة جنيه، لم يكن أمرًا ظريفًا، ولكنني فعلته، وأرسلت الخطاب إلى والدى من وسط المدينة، ثم قفزت إلى الأتوبيس، وسار في طريقه وكان ذلك أمرًا سهلاً.

لا تحاكموني، لا يتحتم عليّ أن أبرر أفعالي هذه لأى شخص، لم أشعر بالفخر أو الرضا بالنسبة لبعض الأمور التي كان يجب عليّ القيام بها، ولكن لم يكن أمامي أى اختيار آخر، السرقة من أهلي... حسنًا، لقد كان لا بد لي من الحصول على بعض النقود، إما منهما أو من أى شخص آخر، إن الطريقة التي نظرت بها إلى الأمر، إذا عرفا بذلك... أقصد إذا كانا قادرين على وضع أنفسهما في مكاني، وأنا أعرف أنهما لا يمكن أن يضعا نفسيهما مكاني، ولو كانا قد استطاعا فعل ذلك لقاما بإعطائي ذلك المبلغ، كنت أتوقع منهما ذلك.

أما ذاك الخطاب الذى أرسلته، فقد حاولت أن أجعله واقعيًا تمامًا، وقمت بكتابته ست مرات أو سبعًا قبل الاستقرار على صيغته النهائية التي سأرسلها لهما، ولم أدرك كم سيكون وقعه صعبًا عليهما حتى جلست وحاولت أن أقول "انظروا، أنا ذاهبة"، أقصد ما الذى يمكنك قوله؟.

لقد كان والداى يحبانني عندما كنت طفلة، ولكنهما لم يعرفا أى شيء عني بعد مرحلة الطفولة، ولم يكن هناك أية طريقة تمكنني من أن أقوم بإفهامهما ذلك

التقصير تجاهى، شكرًا من أجل كل شىء، الوداع... ذلك ما كان يـدور بـداخلى، وقد قلت لهما إننى أحبكما، نعم قلت ذلك، لكنى لا أعتقد أن ذلك القول كان حقيقيًا وقتها، ومع ذلك فقد جعلنى أبكى، وقد ظللت أكتب خطابات وأمزقها، أكتبها ثم أمزقها، كنت أفعل ذلك بأقصى ما أستطيع من الإتقان، ولكن دموعى كانت تتساقط عليها، وكان يتّحتم علىّ أن أبدأ فى الكتابة مرة أخرى، لن أرسل دموعى إليهما، لقد كنت... كنت ذاهبة بدون أن أهتم لعدد القلوب التى سأحطمها- قلبى- قلبيهما، أو قلب أى إنسان آخر، فقد كنت مصممة على الذهاب، وعقدت أمرى عليه.

جلست فى الأتوبيس أراقب المدينة وهى تتوارى عن عينى، لم أقل وداعًا للمبانى ولا لأهل هذا المكان الذى عشت وترعرعت فيه، لقد تابعت ذلك بنظرى فقط، وكنت أشعر بالسعادة وأنا أرى المدينة تتوارى عن عينى، أنا لم أكن أعرف- عندئذ- مدى المدة الزمنية التى سأقضيها بعيدًا عن المنزل، كنت أعتقد أحيانًا أنها ستكون أسبوعًا أو أسبوعين فقط، وفى أحيان أخرى كنت أعتقد أننى لن أرى هذه الأماكن مرة أخرى أبدًا، الحمد لله.

استغرقت الرحلة ساعتين، وكنت جالسة أتصبب عرقًا طوال الطريق، وفى كل مرة كانت تمر فيها سيارة شرطة كنت أظن وقتها أنهم سيجذبوننى ويوقفوننى ويعيدوننى إلى المنزل مرة أخرى، ولم يحدث أى شىء بالطبع، وعندما وصلنا إلى بريستول، كانت عيناى تهتزان وتنظران خارج النافذة لكل شىء، لقد كنت مجروحة، وقد أردت أن أغوص فى هذه الشوارع المزدحمة بالناس وأختفى فيها كسمكة صغيرة، كنت أمضغ أطراف أظافرى فى غضب وإثارة مع مرور الوقت حتى وصلت إلى محطة الأتوبيسات، وكنت أرحب بهذا الشعور بالفعل لأننى لم أرد أن أكون مرتاحة أو راضية عما فعلت.

كنت أخطط للاحتفال بتار بشكل يظل يذكره طوال عمره، وكنت مصممة على أن أفعل ذلك، لم أكن أريد أن أهبط سلالم الأتوبيس وأقول له: "مرحبًا"، لكنى كنت أريده أن يكون فى منتهى السعادة، لقد واجه تار الكثير من الأحزان فى حياته، وأردت أن أجعل حياة هذا الغجرى المسكين جيدة وسعيدة، وأردته أن يجعلنى أنا أيضًا أحس بالسعادة، كنت أحس أن كل تلك الإثارة والإحباط الموجود بداخلى كانا مثل وقود الصواريخ الذى يدفعنى إلى أعلى.

رأيته من نافذة الحافلة واقفًا فى انتظارى، تجمدت فى مكانى، لم أرد أن أغرق نفسى بمجرد النظرات الصغيرة واللمحات من خلال النافذة، واحتفظت برأسى منخفضة حتى آخر لحظة توقف فيها الأتوبيس... ثم رأيته.

صرخت بأعلى صوت "تار ! ! !" وألقيت حقائبى على درجات سلالم الأتوبيس وخرجت كقطة خائفة صارخة باسمه بأعلى صوتي، لقد بدا مذعورًا حقًا، ولففت ذراعى حوله واحتضنته و- آه- قبلته واحتضنته وقبلته، ثم احتضنته وقبلته ورقصت، ثم عانقته وقبلته كثيرًا جدًا ودفنت صدرى فى صدره، فظهرت ببطء ابتسامة كبيرة زاحفة على وجهه.

آه... إنه شيء حسن أن أراك... آه لقد افتقدتك، لقد افتقدتك... قلت ذلك وأنا أدفن نفسى فيه صدره وأجذبه نحوى و، و. وأعتقد أن ذلك قد نجح فعلاً، لم يكن ينبغى أن أضعه فى هذا الموقف الكبير، لقد كنت فى حالة هيستيرية تقريبًا، إنه لم يكن- مجرد- تار الذى كنت أقبله وأحضنه، ولكنى كنت سعيدة ومنبهرة، وكأننى أقبل وأحتضن الحياة كلها، وما قمت به من مغامرة كبيرة، وكان الأمر- من وجهة نظرى- القيام بمغامرة، نعم. لقد كانت حياة، وكانت مغامرة كبيرة وضخمة فى الحياة، وكنت فى غاية الاستثارة منذ أن جلست فى الأتوبيس،

ولكن بمجرد أن خطوت خارجة تلاشت كل هذه المشاعر، كنت مرعوبة، إن السير فى الطريق وحده كان عبقرية مني، فشعرت كأننى طفلة، وحتى إذا كان أى شخص آخر غير تار فربما أردت أن أجرب، وأن أحس أكثر بالراحة فى كل ذلك الأمر، ولكن تار بدد هذه النوعية من المشاعر، لقد بدا هادئًا، وقد أردت فقط أن أنقل إليه عدوى الاستثارة والشعور الذى كنت أحسه، وأظن أننى فعلت ذلك أيضًا، لقد كان سائرًا طوال الطريق يجز على شفتيه، وأحسست كما لو أننى أقوم بتفجيره طوال الطريق.

جعلته يأخذنى فى جولة قصيرة، وذهبنا نتمشى من وسط المدينة إلى الشوارع الجانبية، ووقعت فى حب ذلك المكان، إنها لم تكن مدينة كبيرة ومزدحمة كما تظن، لم يكن هناك أى شخص يهتم لأى شيء، كانت هناك النباتات البرية تخرج من الحيطان، ولم تكن الناس مندفعة أو متعجلة، وجعلنى ذلك أهدأ، ثم بدأت أحس بالانتعاش بالفعل، أقصد أننى كنت- لا أزال- أطير وأحلق عاليًا، وكنت فى حالة جيدة، لم يكن هناك من يهتم لإيقافى، وبرغم ذلك لم يكن يبدو علىّ أننى قد فقدت قدرتى على السيطرة على نفسى، وظللت أفكر فى أننى سأحب هذا المكان.

كان تار منزعجًا من الذهاب إلى المنزل، وقد ظل يقول: "إنهم قد أعدوا لنا طعامًا، إنهم فعلاً أناس طيبون وسيكون من قلة الذوق أن..." لكننى لم أكن مهتمة له، أنا لا أحب تار- لقد قلت ذلك- ولكننى لم أخدعه فى ذلك اليوم، ظللت أنظر من نافذة الأتوبيس، وأنا متوردة الخدود، وكنت أرتدى تلك الملابس المتعددة الألوان، إيشارب وبلوزة وجونلة، كان ينبغى علىّ أن أرتدى الجينز وأشياء أخرى، ولكننى قد ارتديت هذه الملابس من أجله، كان ذلك كله من أجله، انظروا لقد أردت أن أجعله يشعر بأنه يمكنه أن يفعل أى شيء يريده معى، وأننى سوف أدعه يقوم بذلك.

ابتعدنا عن الشوارع الجانبية واتجهنا إلى داخل السوق، وفجأة ملت نحو الحائط وجذبته إلى صدرى، كان أطول منى بحوالى قدم، وجذبته نحوى.

وصلنا إلى الساحة فى نهاية الأمر، وكنت مستثارة فعلاً، أقصد، لقد وجد مكانًا للمعيشة، وكون لنفسه جماعة، لا تساعده فقط، ولكنهم كانوا على استعداد لكى يطعموه أيضًا، لقد ترك البيت منذ أسبوعين، ولكنه استطاع أن ينجح فى تكوين كل ذلك فى هذه الفترة القصيرة، الشىء الوحيد الذى لم يكن لديه هو الصحبة الحقيقية... كما تعرف فإنك لا تستطيع أن تشعر بأن كل الناس أصدقاؤك، ولا يمكنك وضع ريتشارد وجيرى وفونى فى تلك الدرجة، لقد كانوا كبارًا جدًا وظرفاء جدًا، وفى الحقيقة أحسست أنهم كانوا يتظاهرون بذلك فقط.

وأتت الفتاة فونى، وأعطتنى قبلة وعانقتنى فقمت- بدورى- بعناقها، وابتسمت ولكنها لم تعرفنى حقًا ولم تعرف طبيعتى، لم أقم بإعطائها الانطباع بأنها قد اتفقت معى كثيرًا.

كان لدى ريتشارد شىء من الفطنة، وكان يوزع ابتساماته فى أنحاء المكان كله، لكنه كان غريبًا، أعتقد أنه كان خجلاً أو شيئًا ما، أما جيرى فكان مختلفًا تمامًا، كان على طبيعته حقًا، ولكنه كان يتجمل أيضًا، وأحسست بأنه من مصاصى الدماء المتنكرين.

ويمكن أن يكون ذلك الشعور بأنهم لطفاء كان بسبب أنهم قد صمموا على الظهور بهذه الصورة، وهذا هو الأسلوب الذى يظهرون به أنهم لطفاء، ويمكنك أن تراهم وقد نجحوا فى ذلك، إن كل ما أعرفه أنهم يمكن ألا يكونوا لطفاء مثلى.

الآن، لو كان الأمر بيدى لكنت نمت فى مدخل أحد المتاجر وأنا أقضم أظافر يدى وقدمى، ولكننى وجدت حشدًا من الناس الذين لا بد لى من التعامل معهم، وأظن أننى لم أكن سعيدة بهذا الاهتمام كله، كان الناس يعتبروننى لطيفة، ولكن ذلك كان بسبب قدرتى على جعلهم يشعرون بالسعادة، ولكننى كنت أريد فقط أن أحظى بوقت جيد أمتع فيه نفسى.

توقعت أننى سأجد ذلك فى يوم ما.

كانت أول علامة سيئة أن الطعام الذى صنعه ريتشارد من أجلنا قد احترق فى الفرن، لكن ريتشارد يهتم لذلك، وعندما قلت إننا قد أصبحنا مزارًا سياحيًا لعامة الناس، العامة المارين فى الشارع، قام بالانحناء كما لو كان ذلك هو أكثر شىء إثارة بالنسبة له فى العالم، وقال: "آه، كل شىء تمامًا"، وكانت فونى قليلة الاهتمام على الرغم من أنها لم تقم بطهو ذلك الطعام، حسنًا! فيما عدا أنها صنعت فطيرة تفاح من أجل البودنج.

سألتْ فونى: "كم المدة التى ستقضيها معنا يا جيما؟"، ثم ساد ذلك الصمت، وأحسست بأنهم– جميعًا– كانوا ينظرون إلىّ.

ثم أضافت: "أعتقد... أوه... هل تعتقدان أنكما ستحبان البقاء والعيش هنا؟ ولكن إلى متى...؟..."

ابتسمت فقط وقلت: "لا أعرف. لا أعرف..." ثم ابتسمت وابتسموا وابتسم تار.

كما كنت أقول دائمًا... لقد كانوا– جميعهم– فى غاية اللطف.

ذهبنا فيما بعد إلى الحانة، كانت جيدة، وقد جلسنا هناك حيث احتسينا نصف زجاجة من الجعة المعتقة، كانوا يريدون أن يحتفلوا بى أنا وتار بطريقة خفية، لأن الساقى كان يمكن أن يرفض تقديم أى مشروبات لنا لصغر سننا، وقد أرادوا أن يعرفوا ما إذا كنت قد سمعت شيئًا عن والدة تار، لذا تحدثنا عن ذلك حوالى ساعة، الأمر الذى جعله فى شدة البؤس، لكنهم استمتعوا بوقتهم.

بعد قليل تحولوا جميعًا إلى فوضويين، الأمر الذى فاجأنى قليلاً، أقصد، أنا أعرف الكثير عن ذلك، ولكن ألا ينبغى على الفوضويين أن يخرجوا ويفجروا الناس، وليس أن يعانق بعضهم بعضًا؟ لقد تغير ذلك، فقد كان لديهم تلك الخطة الكبيرة لليلة السبت، وكانوا سيقومون بالخروج ووضع الصمغ على أقفال البنوك.

كان ريتشارد يطاوع نفسه ورغبته فى الشرب، وقد ظل يشرب البيرة ويبتسم فى وحشية للسقف مبتهجًا فى سعادة من فكرة اغتصاب التجارة البنكية لمدة يوم.

قلت: "أليس للبنوك أبواب خلفية؟".

- "آه؟ حسنًا، سوف نقوم بتصميغها أيضًا وكذا آلات الصرافة الليلية".

قال ذلك وهو ينحنى ويتمايل فى الحان كرجل قد تم منحه مليون جنيه.

تم ترتيب كل ذلك، كنا سنذهب معهم أنا وتار، كنت فى غاية الاستثارة بشأن ذلك، وكنت أعتقد أن الأمر مختلف، كنت أنظر دائمًا إلى الفوضويين الموجودين بالمنزل، كما تعرفون، وهم يستمتعون بتحطيم ملاعب الأطفال، مرح عظيم آه؟ وكنت على استعداد لدفع أى ثمن كى أرى وجوه مديرى البنوك عندما يعجزون عن فتح الأقفال، لقد ضحكنا كثيرًا على هذا.

حكيت لهم عن أمي وأبي وقد بدوا متعاطفين جدًا، وكان ريتـشارد محبطًـا حقًا عند سماعه ذلك، وقال: "كان أبواى يتركانى أتصرف على هواى وأفعل كل ما أريد فعله من تصرفات سيئة".

قال ذلك وهو يبتسم بهذه الطريقة المجنونة ناظرًا إلى السقف، وقد أضـاف فى سعادة: "لقد أفدت كثيرًا من هذه الفرصة".

كنت قد بدأت فى استلطاف ريتشارد.

وبدأنا فى سرد القصص عن الآباء والأمهات، وكم كانوا مرعبين، كان تار قليل الهدوء، نعم لقد كان، أليس كذلك؟، ولكننى بدأت فى الاستثارة، لأننى تناولـت فودكا وبرتقالاً مع البيرة، وأنا أفكر فى حال والدىَّ وكيـف أنهمـا سـيبدآن فـى الغضب الآن، كانت الساعة العاشرة والنصف، كنت حينئذ متأخرة سـاعة واحـدة فقط عن موعد رجوعى للبيت، وأخذت أتخيل كيف كانا جالـسين يجـزان علـى أسنانهما، ويقومان بالتخطيط لإلزامى بمحظورات أخرى جديدة، لكنهـا سـتكون- بصراحة- مجرد أمور فى خيالهما فقط لأنه لم يكن هناك المزيد من المحظـورات التى يمكن اتخاذها بعد هروبى من البيت، ولا بد أنهما كانا يتساءلان عـن الـشخص الذى كنت أنام معه فى ذلك الوقت، ما الذى كنت أتعاطاه، إلخ... إلخ...

لقد حطمنى ذلك التفكير فيهما بالفعل، وأنا أتخيلهما يقطعان المنـزل ذهابًـا وإيابًا فى انتظار عودتى وهما فى شدة الغضب ويقومان بالاتصال بكل أصـدقائى ومعارفى، ويعتقدان أننى سأكون معهما فى الغد، بينما كنت أنا فـى هـذا الوقـت على بعد مائة ميل من المنزل، لقد اكتشفا ذلك فى صبيحة يـوم الاثنـين عنـدما وصلهما خطابى.

ثم تغيرت فونى وأصبحت هادئة معى جدا، وقالت: "ألا تعتقدين أنه يتوجب عليك أن تتصلى بهما وتخبريهما بأنك بخير؟".

قمت بالإيماء نحوها فقط، يا له من نفاق، لقد كنا نقوم بسرد الحكايات عن الرعب الأبوى والآن تريدين منى أن أكون لطيفة معهما!.

سألتها :" لماذا؟".

- "لأنهما لا بد أن يكونا قلقين، على الأقل يمكنك أن تجعليهما يعتقدان أنك بخير. وأخبريهما عن الموعد المتوقع لعودتك".

سألت: "وهل أقول لهما أرسلا لى الجواكت الصوفية".

- "لا، كما قلت، فقط دعيهما يعرفان أنك بخير".

قال ريتشارد وهو ينظر إلى السقف: "أعتقد أن ذلك سيكون فكرة جيدة".

حسنا، لقد تمكنوا من حصارى، أليس كذلك؟ واستمررت فى الحديث عن موضوع الخطاب الوارد فى صباح يوم الاثنين، ولكن ذلك لم يكن كافيًا، لا بد أن أمى وأبى كانا منزعجين الآن، وقد حاولت إيضاح أن هذا الأمر يعد تقدمًا ملحوظًا فى هذه المرحلة، وحتى تار نصحنى بالاتصال بهما، ثم أراد بالطبع أن يتصل بوالدته هو أيضًا، وكان ينبغى علينا أن نناقشه فى ذلك الأمر.

فى تلك اللحظة، كنت آمل أن يوقفهم الحديث مع تار عن التحدث معى، ولكن بمجرد أن انتهى تار من موضوعه عادوا للمحاولة معى مرة أخرى، كان كلامهم مثل السياط، لذا لم أستطع أن أصمد أمامهم، وقبل أن أدرك كيف حدث ذلك؟ كنت واقفة هناك أمام كابينة تليفون أجهز بعض العملات المعدنية وأفكر... كيف استطاع هؤلاء الخنازير أن يقنعونى بالاتصال بهما، كيف حدث ذلك؟

- "جيما... أين كنت؟ أين أنت الآن؟"

- "أنا بخير، أنا فقط...".

- "لقد كنا منزعجين جدًا...".

- "إنها العاشرة والنصف فقط...".

- "إنها الحادية عشرة، وكان يجب عليك أن تكونى هنا منذ ساعة ونصف مضت، لقد اعتقدت أننا انتهينا من ذلك؟ أعتقد أن الأمور بدأت تتحسن بيننا، وأن والدتك" ...

- "انظر أنا أتصل الآن لتعرفوا أننى لن أعود الليلة...".

- "أنت... من الأفضل لك أن تعودى، هل التقطك أحد أصدقائك الذين على الشاطئ مرة أخرى؟ هل حدث ذلك؟... لا يجب ذلك يا جيما... هراء هراء...".

ثم ترك سماعة التليفون، وكان ذلك هو كل ما قاله، أبعدت السماعة عن أذنى وهمست "من فضلك من فضلك من فضلك لا تفعل ذلك بى".

كنت واقفة فى ركن الحانة وأنا أدرك تمامًا أنهم جميعًا كانوا ينظرون إلىّ، لم أستطع أن أتحدث إليهما، وكان أبى يصرخ بشدة، لم أستطع حتى أن أبدو غاضبة لأن الجميع كانوا ينظرون إلىّ، لذا كان ينبغى التظاهر بأننى أقوم بإجراء مكالمة عادية مع شخص عادى، فتظاهرت بالاستمرار فى الحديث معه.

- "آه، نحن نحظى بوقت عظيم، شكرًا، أجل، تمام، سأكون حذرة..."

- "نعم، شكرًا يا أبى. سأراك غدًا... نعم، أعط أمى قبلة كبيرة...".

وعاد أبى للحديث معى واستمر يقول: "لماذا تخاطبيننى بهذه الطريقة؟ هل تتهكمين؟ جيما ما الذى يحدث؟ انظرى، دعينا نتجاوز ذلك، يجب أن تعودى هنا فى خلال ساعة ويمكننا مناقشة...".

- "لا لن أعود، لقد تناولت طعامى منذ وقت قصير، شوينا بطاطس، سأتصل بك مرة أخرى، من المحتمل أن يكون ذلك غدًا، حسنًا. أراك قريبًا يا أبى، شكرًا".

- "وداعًا...".

ثم أغلقت الهاتف.

لم أعرف لماذا أغضبنى ذلك كثيرًا، لمجرد أننى لم أكن مستعدة لذلك، فقد تركت المنزل وهربت بعيدًا، ولم أكن على استعداد للحديث معه، وقد تم مفاجأتى بذلك.

وقفت لبرهة أحملق فى الحائط محاولة ألا أبكى، لن يكون جيدًا- بالنسبة لهم- أن يرونى أبكى بعد الحديث مع أهلى.

أتت فونى نحوى بعد دقيقة، وحاولت جعلى أبتسم، لكننى أشحت بوجهى بعيدًا عنها.

قالت: "هل أنت على ما يرام يا جيما؟" واقتربت ثم لمست ذراعى قائلة: "هل الأمور على ما يرام فى المنزل؟".

آه... تلك البقرة الغبية! ما الذى تعتقده عن سير الأمور فى بيتنا، أغلقت عينىّ وأومأت برأسى، شعرت كما لو أنها كانت تحفر حفرة فى رأسى، لقد جعلت الأمور صعبة، لكنى نجحت فى أن أهمس: "انظرى، لقد فعلتها، هل هذا يكفى؟".

فكرت فى ذلك، وخرجت إلى دورة المياه من أجل أن يستعيد وجهى وضعه الطبيعى، ويزول ما عليه من دموع.

كانوا ذاهبين إلى حفلة بعد ذلك، ولكن لم أكن أتخيل أنها ستكون فى ذلك التوقيت، كنت أحظى بوقت ممتع بالفعل، لكنى أصبحت الآن أحس بالانقسام، انقسام كلى داخلى، كما لو أننى أطير إلى القمر ثم أعود بدلاً من أن أستقل الأتوبيس إلى بريستول لأعود إلى منزلى مرة أخرى.

عدنا أنا وتار ومكثنا فى غرفته، كنت غاضبة منه لسيره معهم، وقد دار بيننا جدال ثم بدأت فى البكاء و...، لم أستطع أن أظل غاضبة منه لفترة طويلة، وعندما رآنى أبكى أصابه الحزن، فبدأ فى معانقتى وهو يتأسف: "آسف، آسف...".

بدأت الدموع تلمع فى عينيه، وفكرت فى أننى لم أقطع كل هذه المسافة لنقع أنا وتار فى أيدى هذين الاثنين من الجنرالات، أردنا إنعاش أنفسنا، وأردت أن أشعل نارًا، ولكن لم يكن ذلك مسموحًا لنا بأمر من الجنرالين (ريتشارد وفونى)، فقد يعتقد الجيران أن هناك حريقًا ويقومون باستدعاء المطافئ.

لم يكن مسموحًا لأحد أن يعرف أن ذلك المنزل هو ساحة نقيم فيها معًا، ولم يكن مسموحًا لنا أيضًا بإضاءة الكهرباء، لنفس السبب، بدأت أشعر بالغضب من قائمة الأشياء غير المسموح لنا بفعلها، ولكن تار أشعل بعض الشموع فى زجاجات، وقام بإعداد قهوة لنا، وجلسنا على الأرض فوق كومة من الوسائد، وتناولنا القليل من السجق، وتحدثنا لفترة طويلة عن... لا أدرى، لقد تحدثنا عن كل شيء.

ثم حان وقت النوم، وكان لدىَّ حقيبة النوم الخاصة بى التى كنت أستخدمها فى المعسكرات، وكان لدى تار حقيبة نومه الخاصة، وأخذ يحاول أن يجعلنى

أحصل على قسط من النوم على ما جلبه من فراش، فشعرت بأننى أفقد أعصابى بسبب ذلك وقلت: "حسنًا... حسنًا" وكان لدىَّ هديته التى أحضرتها له، ولكن لم أرد أن أفسده بها.

شعرت بالخجل فى هذه اللحظة، وكنت قد وضعت مرتبتى بجوار مرتبته وخلعت ملابسى ووضعتها فى حقيبتى، عندما كان تار خارج الغرفة، كنت أعتقد أننى قد فعلت الصواب وفعلت ما أريده، وهو يستطيع القيام بالباقى.

دخل تار وأطفأ الشموع وخلع ملابسه فى الزاوية، وارتدى بيجامته، ثم انزلق داخل حقيبة نومه، وظل راقدًا، كنت غاضبة وحانقة، فجذبت الحقيبة إلى أنفى، وكان شعرى وعيناى بارزة له على بعد ثلاثة أقدام من عينيه المغلقتين المستعدتين للنوم، وكان أسوأ ما فى الأمر هو أننى قد بدأت فى الشعور بالبرد، وإذا استمر الحال على ذلك كنت سأتجمد، وكان يجب علىّ أن أرتدى البيجامة أنا أيضًا.

رقد تار لمدة عشر دقائق وهو على نار، ثم قال: " يمكننا تناول السجق؟".

- "حسنا".

ثم قام بجذب مرتبته نحوى...، محاولاً أن يقبلنى ثم وضع يده حول عنقى واستطعت أن أشعر بأصابعه تنزلق هابطة نحو كتفى...

كنت أراقبه، ورأيت عينيه تنفتحان وتلتقطان منى نظرة، ثم أغلقهما بسرعة وانزلقت أصابعه أسفل إلى وسطى ثم إلى...

وتلك كانت هديتى له، انظروا... لم أكن مرتدية سروالاً.

فتح تار عينيه وابتسم لى وابتسمت له، وقال: "إن حقيبة النوم مزدوجة".

- "آه".

وألصقت الحقيبتين معًا.

خرج من حقيبته، وكان على وشك الانزلاق نحوى عندما قلت، "هل لـــديك شيء؟".

- "آه... لا".

كان ذلك هو أول لقاء جنسى بيننا وكان مؤلمًا بالطبع، وجلست فى الـــسرير وأخذت كوبًا من القهوة الباردة التى صنعتها بنفسى وسألته: "هل يجب على القيـــام بكل شيء؟ وأخذت فى ارتشاف القهوة.

"أنا آسف، أنا حقًا غبى".

حسنًا... كان يجب عليه أن يستخدم عازلاً طبيًا، كيف كـــان يمكـــن لـــه أن يعرف ذلك؟ لم يكن تار فتى ذا خبرة على الإطلاق، وكـــان ذلـــك الأمـــر شـــديد الوضوح.

قال: "انتظرى... " ثم أخذ فى الخروج والدخول إلى الغرفة مرتديًا الجينـــز، واعتقدت... آه، لا، لقد عرفت ما الذى كان يفعله، كان يريد أن يقترض من فـــونى وجيرى... وكنت نصف مسرورة ونصف غاضبة... لأن ذلـــك كـــان أول مـــرة بالنسبة له.

لم أكن أريد له أن يستخدم عوازل طبية قديمة يقترضها من الآخرين.

غاب لفترة طويلة، لمدة نصف ساعة، ثم عاد سريعًا ليلحق بى قبل أن أذهب فى النوم.

- "آسف".

- "ما الذى حدث؟".

- "لقد ترددا قليلاً فى إقراضى العازل".

- "لماذا؟".

- "أنت فى الرابعة عشرة فقط، انظرى، و... ".

فهمت قصده، ودارت مناقشة طويلة حول ما إذا كانت جيما كبيرة بدرجة كافية، وقد جعلنى ذلك أغضب بشدة، فجلست وأنا أغلى من الغيظ، أما هو فقد كان يدور فى داخل الغرفة، ثم أتى وجلس أمامى، وسألنى إذا كنت لم أعد أريد ذلك، لقد كان ذلك فظيعًا، كان ذلك- بالضبط- أحد الأشياء الذى أردت أن أتجنبها، لقد اعتقدت أنه سيكتشف أننى لم أكن أرتدى أى شىء على الإطلاق وأنا داخل حقيبة نومى، وذلك ما حدث، وهو الآن جالس هناك فى جينزه الأزرق، وقد ارتديت صديريتى، لقد شعرت بالبرد من كثرة الانتظار.

قلت: "لا تهتم"، ثم التفت مبتعدة عنه، ولففت نفسى مرة أخرى فى حقيبة نومى، وكأننى أردت الاستغراق فى النوم، كنت أشعر به واقفا هناك للحظة ثم دخل إلى حقيبته... رقد قريبًا منى وأخذ ينظر نحوى.

حسنًا... يجب عليك العمل أحيانًا بجد أكثر من ذلك.

التفت وقبلنى، ثم انزلق خارجًا من حقيبتى، ورقد هناك منتظرًا لفترة قصيرة، وذلك على الرغم من أننى أخبرته وقلت له أنه كان مستثارًا بالفعل، كان يخطط لشىء ما، وتعانقنا، وأصبح الجو دافئًا جدًا، وخلال برهة قصيرة وجد... طريقة ليرتفع ويحيط بعنقى...

قال تار فيما بعد فى صوت ضعيف: "أنا أحبك".

وقلت...

آه... لقد شعرت بالأسف الشديد من أجله، ولكن لم يكن لدىّ شـىء آخـر أقدمه له، كما تعرفون، لقد كانت– مجرد– لحظة عشناها معًا، أقصد أنه كان حقًـا بالنسبة لى شخصًا خامًا ليس لديه أى خبرة، لكن... شعرت بأن أى شخص يمكنـه أن يأتى وينفخ بقوة فقط وعندئذ سأطير بعيدًا عنه ذاهبة مع الرياح، وينتهـى كـل ذلك الأمر إلى الباب المجاور، أو على كوكب آخر مع شخص آخر، فى أى مكان بسبب هبوب الرياح فقط.

لم أرد إيلامه أو جرحه.

قمت بوضع إصبعى على شفتيه وقلت: "ششش".

واستطعت رؤيته ينظر إلىّ، لقد انجرح فشعرت بالانزعاج وقال: "لقد فعلت أقصى ما فى استطاعتى، ولكن بأى حق كان لى أن أحبك؟".

قلت: "لا تقل ذلك".

ساد صمت طويل ثم قال هذا اللفظ الظريف...: "الهندباء".

نظرت إليه فقط، لقد كان ذلك بـلا معـنى، وقـلت: "ما معنى ذلك؟".

ابتسم، فعدت إلى الابتسام لأننى أدركت...

أعطانى تار لوحة قام برسمها للهندباء، كانت لوحة جميلة، لم أكن أعلم مـا الهندباء أو ما الذى يعنيه بالنسبة له، ولكننى عرفت ما الذى كان يقوله، كان يقـول أنه لا يزال يحبنى حتى لو...

لقد أردت أن أقول شيئًا ما له... أن أخبره أننى شعرت بمشاعر كثيرة نحوه على الرغم من أننى لم أحبه، لم أستطع أن أقول هندباء، لذا قلت "ليدى بيرد" (تلك الحشرة الصغيرة الملونة بألوان جميلة)، كان ذلك ما طرأ على ذهنى فى هذه اللحظة، ضحك وقال: "لماذا الليدى بيرد بالذات؟".

قلت: "لأنها ظريفة ويحبها الجميع، وهى جميلة وملونة وحمراء...".

أخذ فى تقبيل فمى...: "وهم يحبون الهندباء قليلاً" قلت ذلك، وأنا ألمس أنفه بطرف أصبعى، وكأننى أخبره بأن يتوقف.

ابتسم تار وأشار قائلاً: "هندباء" ثم قال: "ليدى برد".

– "هندباء".

– "ليدى برد".

حقيقة أنا أحببته فعلاً فى هذه اللحظة أكثر من أى شخص، أكثر من نفسى حتى لو كان كل شىء سينتهى فى الغد.

قبل فمى واقتربنا من بعضنا إلى أقصى درجة ممكنة.

(٧)

ريتشارد

أنا فوضوى

أنا المسيح الدجال

لا تتمن ما أريده، لكننى أعرف

كيف أحصل عليه.

أنا أريده وأحصل عليه.

"المسدسات الجنسية"

ولكننى كيف أحصل عليه.

حانت ساعة العمل لتنفيذ خططنا، وكنا سنبدأ ببنك باركليــــز فــى الهــاى ستريت، وقد ارتديت لهذه المناسبة تى- شيرت، وزوجًا من أحذيـــة دول مارتينـــا ذات اللون الأخضر الفاقع، مرسومًا عليها نبات الأقحوان عند الأطراف، وطلبــت من تار أن يرسم هذه الأقحوانات لى بعد أن رأيت لوحته للهندباء، إنه عبقرى، لقد بدت الرسوم عظيمة حقًا، وأنا لدى قدمان كبيران، آه.. وفخذى مثل فخذ العجــل، وكان يجب علىَّ أن أرتدى جاكيت فوق التى- شيرت، لكنـــى فــضلت أن تكــون

ملابسى خفيفة نوعًا ما، وكان هناك عشرون أنبوبة صمغ مـن ماركـة لوكتيـت في حقيبتى.

ارتدت فونى- أيضًا- بلوزة ذات خطوط سوداء وصفراء، وجوارب طويلة صوفية، وكان ذلك هو الذى جعلها تبدو كدبور ضخم، وكانت بالطبع تخلو من أى جاذبية، لم أتمكن من جعل جيرى يرتدى أى شىء على الإطلاق، على الرغم مـن ارتدائه لملابس سوداء، تلك التى استطاع أن يجدها، ولكنه كان دائمًا يرتدى ملابس سوداء اللون، وقام فى البداية بنكش شعره، وقد حاولت أن أجبره على وضع بعض ظل الجفون الأسود أو المسكرة فى عين واحدة على الأقل، ولكنه لم يفعل ذلـك إلا عندما لحقت بنا جيما، لقد جعلها تأتى معنا من أجله هو، وينبغى أن أقول إنه بـدا نحيفًا نوعًا ما، توقعت أن يطلب منى أن أضع له بعض المكياج لأنه يظن أننى شاذ جنسيًا، وأنا لست كذلك بالطبع، أنا أمثل أنى كذلك فقط، وفى الحقيقة إننـى عـزب منذ خمس سنوات، أنا لا أعتـرض على الجنس بـل على السياسة.

ارتدت جيما فستانها الجميل، وقامت فونى بعمل مكياج كما لو كانت نجمـة فى أفلام فترة الأربعينيات، واستخدمت كميات كبيرة من البودرة، ورسـمت أحـد أسهم كيوبيد على هيئة الفم واستخدمت أحمر شفاه براقًا، وأرادت أن ترتدى زوجًـا من الأحذية ذات الكعب العالى لكننى اعترضت على ذلك ، فقـد يتوجـب عليـك أحيـانًا الجرى هربًا.

أما بالنسبة لتار فقد كان متحمسًا لذلك جدًا، ولكن يمكنك القول بأنه وجـد أن الاستمرار فى ذلك الحماس صعب، وقد طلبت منه جيما أن يرتدى ملابس غريبـة ولكنه رأى أن ذلك لن يؤدى إلى جذب الكثير من الانتباه إليه، وتركناه يفعـل مـا شاء ولكن ذلك أدى إلى شعوره بالإحباط لعدم الاهتمام الكافى به أو الالتفات إليه.

هذه هى الطريقة الواجب اتباعها فى تنفيذ خطط إغلاق البنوك وليس طريقة بونى وكلايد (ذلك اللص الشهير وزوجته)، ولا طريقة العصابات ولا الصخب وبانج بانج بانج أو طرق تلك الفرق الموسيقية للشعوذة.

أنت ميت... حقًا ميت، ويوجد الكثيرون مثل روبين هود (لص الغابات الذي كان يسرق الأغنياء ويعطى الفقراء فى إنجلترا)، وكنت أقصد روبين هود كما صوره والت ديزنى فى أفلامه.

ذهبنا إلى بنك باركليز، وصعدت إلى الباب ووضعت فيه الصمغ القوى، وكان ذلك هو الجزء السهل فى العمل، مجرد وضع القليل من الصمغ فقط، نقطة... نقطة فى القفل، وفى الصباح ستكون الأبواب موصدة وتصبح النقود حبيسة البنك.

إنهم يكرهون ذلك.

كان موضوعًا على الباب لافتة مرسوم عليها **ألصق نفسك**، وتوقيعًا باسم الفوضى وعبارة احصل على كارت النداء الآلى من صندوق الخطابات، لكنه ذلك كان مجرد خدعة بالطبع، وقد استغرق ذلك بعض الوقت، هل لاحظت من قبل أن أبواب البنك تكون مكشوفة ومسلطًا عليها الضوء دائمًا، حاول الاختباء فى الظلام خارج أحد البنوك، دائمًا يوجد نور الشارع، لا بد أن لديهم اتفاقًا ما مع مجلس المدينة على ذلك.

لكن تلك الأضواء؛ لم تكن تلك حيلة كافية بالفعل لخداع اللصوص، وكان يكفى مجرد الانتظار فقط لكى لا يراك أحد، ولكن ذلك جعل فونى عصبية قليلاً، ولو كنا قد اتبعنا رأى فونى لكنا قمنا بوضع الصمغ فى الحال.

لا يمكنكم تصور مدى استمتاعى بفعل ذلك الشىء، وكانت جيما تضحك فى هيستريا عندما كنت أقوم بكتابة العبارة التالية "هذا ملتصق"، وذلك باستخدام قطعة من الطباشير الأخضر، لقد كانت ضحكتها جميلة، إنها نوع من الخروج والطفو من الظلال إلى نسيم الليل، وكنت أتمنى أن أرسل ذلك من خلال صندوق الخطابات أيضًا، لكنى اكتفيت بتزوير الكروت الخاصة بسحب النقود، إنها ليست سيئة على الرغم من أننى صنعتها بنفسى فى المنزل بجهاز الطباعة الإستنسل، وقمت بتلوينها بيدى، وكان يوجد في كل كارت صورة صغيرة لطيفة لكل شخصية من الشخصيات المحبوبة الموجودة فى قصص الأطفال.

لقد تم

إغلاقك

بقرار من (فوضوى فى المملكة المتحدة ليميتد)

وقمت بعرضها على الجماعة قبل أن أدفع بها إلى الداخل، فضحكت جيما، وبدا تار مندهشًا، وصفرت بشفتيها ونظرت إلى الطريق من أوله إلى آخره.

أنا شخصيًا كنت أريد أن يتم القبض عليّ، ولكن ذلك لم يحدث حتى الآن، هل يمكنك أن تتخيل ما الذى ستفعله الشرطة بنا؟

ثم انشغلت قليلاً لكى أنتهى من كتابة اللافتة "**الصق نفسك**"، ولونتها تلوينًا مزدوجًا بطباشير أحمر، وأخذت فونى فى جذبى قائلة: "هيا، لدينا خمسة عشر شيئًا آخر ينبغى علينا عملها".

قلت: "ما زال لدينا الليل كله"، وأبعدت الطباشير جانبًا، واستمررت فيما أفعله، ولم يبد عليهم أى انزعاج من ذلك.

إن الفوضوى يحب العروض المسرحية، هذا هو كل ما فى الأمر، والناس ينسون أنه يجب عليك أن تسخر من الشيطان لا أن تحاربه، لكن كل الناس لديهم المزيد من البنادق ولديهم- دائمًا- تلك القنابل التى تحدث دويًا هائلاً عند انفجارها، لا يهم الإزعاج الذى يمكن أن يسببه ذلك بالنسبة لك، إنهم يكونون دائمًا على أتم الاستعداد لكى يصبحوا أكثر إزعاجًا بالنسبة لك ولديهم خبرة ودراية بالنسبة لتلك الأمور أكثر منك بكثير.

كانت أدواتى عبارة عن مجرد صمغ وملصقات فقط، لن يتم أذية أحد، وسيقضى كل واحد منهم وقتًا ممتعًا بمن فيهم ضحاياى؛ لأنهم سيحصلون على يوم إجازة، لم أسمع أبدًا أحدا يشكو من ذلك.

أخذتنى فونى خارج حارة "تات وست" من شارع "شيزم"، وهمست قائلة: "جيرى يدخن المخدرات".

قلت متسائلاً: "آهه" أقصد ما الجديد فى ذلك، منذ متى كان جيرى لا يدخن؟".

- "نعم، ولكنه يعطى بعض المخدرات لجيما...".

قلت: "يا للهول".

سألت فونى: "ما الذى سنفعله؟".

قلت: "سوف نلعبها كما يجب، لقد أرسلت كارتى وقـدت الخـارجين عـن القانون إلى الطريق لبنك "إتش– أس– بى– سى HSBC" الذى يبعد ثلاثة متـاجر من هنا، وأنا أسألك ما الذى تحتاجه لكى تسرق أربعة بنوك فى شارع واحد؟".

مجموعة فوضويى بريستول ندعوك **أن تعود إلى الفراش** تمتع بيوم طيب

على الرغم من أننا لسنا مجموعة منظمة بمعنى الكلمة فإنكم تفهمون، أنه أنا فقط الذى أقوم بالعمل، بالإضافة إلى كل من أتمكن من ضمه إلينا فى الليل، ولكى أكون أمميًا وفوضويًا حقًا، لم أكن مهتمًا أبدًا لما إذا كانت جيما تدخن فعلاً قليلاً من المخدرات، لكننى بكل أمانة كنت أفضل ألا يدخن جيرى أثناء عملنا هذا، لأنـه إذا تم إلقاء القبض علينا فإن ذلك سيفسد الأمور كلها، وسيعطيهم سببًا كافيًـا وعـذرًا يمكنهم أن يتمسكوا به، أنت تعرف... مخدرات... فوضويون... بانكى... مجـانين يلصقون البنوك...

ولكن لا تزال هذه العملية تكاد تكون بالكاد عملية عسكرية، ولماذا لا تشارك جيما فى ذلك الأمر؟.

لقد قلت السبب فى ذلك: "يا للهول"، فقد كانت فونى تمر بمـــشكلات معهـــا، وكانت هذه هى عادتها دائمًا، فقد أرادت جيما أن تقوم بعمل شيء، ولكـــن فـــونى أرادتها أن تقوم بعمل شيء آخر، إن ذلك ما يطلق عليه سياسة، أنا أكره السياسة.

سارت فونى بجانبى وقالت: "إنها فى الرابعـــة عشـــرة فقط مـــن عمرهـــا، ويمكنك تخيل ما يمكن أن تثيره الشرطة أو الصحافة بسبب ذلك".

- "إفساد شباب الأمة، هل تقصد ذلك؟".

- " بالضبط".

- ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت: "لكننا...".

كانت المشكلة هى أن فونى خرجت فى حركة اللصق لأنها تعتقد- حقيقـــة- أننا نؤثر على سير حركة التمويل فى المنطقة، وأن الناس سيفقدون أمـــوالهم، وأن الاقتصاد كله سوف يضطرب، وما إلى ذلك من أمور.

أقول أعط ما لقيصر لقيصر وأنا أقوم بالصيد والعمل مـــن أجـــل القلـــوب والأرواح، قلب مدير البنك وموظف البنك، ولأجل جيما وتار، لأجل فونى... نعم، ومن أجلكم قلوبكم أنتم أيضًا.

استمر- كن شيطانًا. افعل أقل ما يمكنك فعله. امكث اليـــوم فى الفراش.

الفوضوى يقترح عليك أن تفكر مرة أخرى!!!

دار بيننا نقاش خارج بنك التعاون، وكان جيرى يرى أنه كان يجب علينا أن نترك هذا البنك لأننا تعاونيون.

قلت له: "إنه لا يزال بنكًا مثل باقى البنوك".

وتم تصميغه.

وكان يبدو على جيما وجيرى أنهما يقضيان وقتًا طيبًا، لكننى أصبحت عصبيًا قليلاً بالفعل، وأصبحت ضحكات جيما هيستيرية قليلاً، وأخذت تهذى ببعض الكلمات، وأصبحت فونى أكثر انزعاجًا مما كانت عليه من قبل، كانت تمشى أمامهم وهى تختلس النظر بغضب من فوق كتفيها، وقد استنتجت أن جيرى قد تجاهل رغبتها فى عدم لوم جيما على ما تقوم به من أفعال، وكان تار يسير مع فونى مستغرقين فى نقاش يبدو ساخنًا وأراهن على أنه كان مناقشة سياسية، وكان الحديث يدور عن جيما.

آه يا إلهى.

إن السياسة تدخل فى كل مكان.

وعندما تسير فى شارع طويل فى بريستول فإن أشياء كثيرة سوف تدور حولك، حيث تنتشر المحلات مثل محلات الجزارين على سبيل المثال، وكنا واقفين خارج محل جزارة، لكننى نباتى، وهذه قضية فى حد ذاتها.

وأخذت أضواء الشوارع حولنا فى الخفوت مشعلة الوقود النباتى، وكانت البنوك وشركات التأمين تستثمر الأموال فى الموت والمرض، وكان الكيميائيون يبيعون مستحضرات التجميل التى تم اختبارها عن طريق وضعها بالقطارة فى أعين القرود، وقد أصبحت الفرصة متاحة أمام فونى لنشر القليل من الوعى والاهتمام السياسى لدى الآخرين.

كانت النجوم تتلألأ فوق رءوسنا، فقد كانت ليلة جميلة، وعندما تخرج وترفع رأسك ناظرًا فوق الأسطح وإشارات المرور والناس، يمكنك سماع هبوب الريح بين الأسطح والنجوم العالية، إذن ما الذى كانت تقوم فونى بفعله؟

إنها تصب فى أذن تار كلامًا عن جيما.

وكان هذا هو كل ما يحتاجه تار.

فهو لم يكن يحتاج إلا لذلك الشىء الذى يعزز ويقوى علاقته بنا، ذلك فقط هو ما كان فى حاجة إليه بعد أن قضى أربعة عشر عامًا وهو يتربى على أيدى والديه، هذان الوحشان البشريان.

وكانت فونى شخصية حبوبة، إنها كالأم الحنون، دائمًا تأتى إلى المنزل بقطط ضالة، وتقدم لها البسكويت وتعطى النقود للمتسولين، كانت دائمًا تحاول التأكد من أن جيرى يتناول طعامه وتقوم بغسل جواربه بانتظام، وتحاول دائمًا التأكد أن الأمور السيئة لا تدخل إلى رأسك، وأنك لا يرتفع صوتك عاليًا وأنت تضحك.

أنا أحبها ولكنى أشك أحيانًا فى أن أفكارها أكثر قربًا للأفكار الشيوعية.

لا عمل اليوم

لا تقل إنك

أصبت بخيبة أمل

ربما تظن أننى ثرثار قليلاً، نعم أنا كذلك، لكننى أعتقد أن يومًا واحدًا قد يكون كافيًا بالفعل لجعل عدد كاف من الناس يبدءون فى التفكير، لماذا أحظى بمثل هذا الوقت السيئ، فى أغلب الأحوال، ولماذا يصبح من المهم جدًا لى أن أجعل يوم الآخرين سيئًا ويعانون هم أيضًا من مثل هذا الوقت السيئ لكى أتأكد أننى أستطيع أن أستمر أنا نفسى فى قضاء ذلك الوقت السيئ.

ولو استطعت إقناع عدد قليل من موظفى أحد البنوك بالتفكير فى المكوث بالفراش قليلاً فربما أكون قد فعلت شيئًا لتغيير العالم، وإذا استطعت أن أفعل ذلك وأنا أرتدى أحذية ضخمة برقبة خضراء ذات رسومات للأقحوان فى مقدمتها فسيكون ذلك أفضل.

يجب أن أقول أنها لم تكن أنجح عملية لصق قمت بها فى حياتى، فقد كان بها الكثير من التشتت والارتباك، وكانت فونى تعيش فى المنزل وقت وصولنا إليه، وبدا تار كما لو أن سيخًا حديديًا قد وخزه ببطء، لا بد أن يكون لى كلمة معه.

استطاعت جيما التحمل، الحياة جميلة، أليست كذلك؟ أحيانًا؟.

سألت فونى: "ماذا ترى بالنسبة لمشاعر أهلها تجاهها".

- "إنهما يحاولان الاحتفاظ بها وإبقاءها معهما فى المنزل، إنهما ليسا مثل والدى تار، أليس كذلك"؟.

حسنًا، المهم أن فونى كان لديها رأيها الخاص.

(٨)

جيما

مررنا بوقت عصيب، تصميغ البنوك، التشارك فى دورة المياه والاستحمام، تناول بطاطس مشوية وفاصوليا فى الغداء كل يوم. واو... ياه... كله تمام حقًا، لقد كنت أفكر كثيرًا كما تعرفون، أيــن الحفــلات الــصاخبة، أيــن حيــاة الــشارع؟ أين المدينة؟.

ولكن تار كان يستمتع بهذا الوقت العظيم، وذلك هو الذى جعل كــل شـــىء على ما يرام، بأمانة... كان يعتقد أنه فى الجنة، لقــد أحـــب كــل شـــخص هنـــا، أغرم بريتشارد، وأحب– حتى– فونى على الرغم من أنها كانــت تبــدى عــداوة واضحة تجاهه.

وبالطبع لقد كنت أنا معه.

كنا نسهر لأوقات متأخرة كما نشاء، ونستيقظ عندما نريــد، واســتطعنا أن نكون معًا طوال النهار والليل،

ولا بد أن أعترف أن ذلك كان جميلاً جدًا حقًا، ولكن لو لم يكن تار هنـــاك، لما استطعت قضاء اليوم بدونه ولكنه كان هناك.

ونظرًا لأن تار لم يكن لديه أى نقود وكانوا يطعمونه فقد كان يقوم بتنظيف المنزل وترتيبه، وكان ريتشارد يأتى يوميًا إلى المنزل، وفى يديه عدة جالونات من المعاجين والدهان، وكان تار يستيقظ فى التاسعة صباحًا كل يوم، ويدهن غرف المنزل غرفة بعد أخرى بلون شاحب مقزز، بالطبع كنت أنا أيضًا أعتمد عليهم فى تدبير شئون معيشتى، ولم أكن حرة التصرف فى مائة الجنيه التى كانت معى، لذا كان ينبغى علىَّ أن أساعده، وقد توقفت- فى الحال- عن الاستيقاظ فى التاسعة صباحًا، وأصبحنا نستيقظ فى منتصف النهار، وكنا نقضى النهار ونحن نتقلب فى الفراش، ونقضى فترة ما بعد الظهر فى الدهان والطلاء.

ومنذ أن بدأنا فى النوم معًا، جعلته كالمجنون، وكنا نستمر فى العناق، وكلما خلعت ملابسى كانت تظهر علامات أصابعه على جسمى كله.

كان تار رفيقًا عظيمًا، لا بد أنه فكر فى كل شىء فى لحظة أو أخرى لأنه كان لديه دائمًا شىء ما ليقوله لى، كما أنه كان دائم الإنصات، لقد ظل يتظاهر بأن لديه القدرة على العمل وتعويض كل ما فاته، وكان يشعر كما لو أنها كانت غلطته هو وحده لأنه جعلنى أترك أهلى وأعيش معه، وكنت أقول له بعض الأشياء الغبية كعادتى دائمًا، لكنه كان لطيفًا معى، أقصد أنه كان يحب ما أقوله من نكات ومزاح، كنا نستغرق فى الضحك نصف الوقت تقريبًا، وكنا فى منتهى الانسجام والسعادة معًا.

ولكن من ناحية أخرى كان يوجد لديه بعض العادات المزعجة، وأعتقد أنه كان يهلك نفسه ليظهر فى شكل المتعاون، بقدر ما كنت أهتم له على قدر الإمكان، لقد كانوا يطعموننا، ولكننا كنا نعمل فى مقابل ما كانوا يقدمونه لنا، ولم تكن تلك غرفتنا الخاصة التى كنا نطليها، ولكن تار كان عطوفًا وشكورًا ولديه شعور بالذنب

تجاههم، لقد قضى نصف وقته مستغرقًا فى العمل من أجلهم، يطبخ، وينظف ويعمل كل شيء، ولكن الشيء الآخر، الشيء الذى أثار فضولى كان الأحاديث غير المنتهية عنى أنا، عن جيما.

كانت فونى خلف كل ذلك بالطبع، كانت مهتمة لكل ما هو صحيح وصائب، وكانت تسعى لإقناع كل شخص آخر بفعل الصواب، كانت كذلك مع كل شخص بالفعل، وكانت دائمًا تقنع جيرى بالقيام بفعل شيء ما، افتتاح المزيد من الساحات مع ريتشارد، أو الانطلاق إلى المطبخ أو ترتيب السرير أو غسل الملابس وكيها، لم يكن لديها الكثير من الحظ مع الآخرين، ولكن كان حظها أفضل مع تار، وذلك الذى أثار الشك لديها نحوى، لقد أحبها تار بالطبع، وكل ما كان عليها هو أن تعلن بصوت عال عن طلباتها من أجل عشاء الليلة حتى تجده قد أسرع واقفًا على قدميه يطلب منها بكل خضوع أن ينطلق إلى الحوانيت بحقيبة المشتريات لكى يلبى كل طلباتها، ولا يمكن تفسير ذلك بأنه كان من منطلق الشكر أو العرفان بالجميل تجاه ما يقدمونه لنا، لكنه كان ذلاً وخضوعًا تامًا منه تجاهها، كما لو كان يريد أن تكون أمًا أخرى له، لقد تخلص- توة- من أمه القديمة، وأراد أن يستبدل بها أمًا أخرى بأسرع ما يمكن.

لم تكن فونى تكنّ لى أى حب ولو قليلاً، وكان يمكن رؤية ذلك الشعور مرسومًا على وجهها بوضوح، فهى ترى أننى طفلة مدللة، ولم تكن تحب طريقتى فى الحديث أو أسلوبى فى التصرف أو مظهرى، وهى ترى أننى كان يجب أن أكون خارج حياتها فى المدرسة أو فى منزل أسرتى، لقد كانت تتصور أنه يجب علىَّ أن أعود طفلة رضيعة فى صدر أمى.

وأنا أرى أن هذه هى مشكلتها.

كانت فى الأساس تقود حملة من أجل طردى من هنا وإرجاعى إلى المنزل، إنها لم تكن تعرفنى وكانت تتصور أن أفضل طريقة لجعلى أقوم بأداء أى عمل هو أن تقول لى: "لا تقومى به"، ولكنها كانت كذلك مع ريتشارد أيضًا، وقد اســتطعت أن أرى أن ريتشارد كان يوافقها دائمًا، كان أكثر رومانسية، ولم يكن ذلك يفــرق فى شىء، ولو كنت فى سن الرابعة عشرة فإنك سوف تكون ملكًا لشخص ما، وفى هذه الحالة سوف يكون ذلك الشخص هو أمى وأبى، وقد كانت فونى علــى هــذه الحالة مع نار طوال الوقت، وكان يمكنك رؤيته وهو يحترق، لقد كانت تسكب عليه الزيت الساخن وتجعله يطقطق ويشوى على تلك النار، وهى تخبره كم كان أنانيًــا عندما قام بسحب فتاة صغيرة بريئة مثلى بعيدًا عن حضن أسرتها المحبة الحنونة.

قال منتحبًا: "ما الشعور الذى ينبغى على والديك الشعور به؟".

أخبرته: "أنهم يشعرون شعورًا حسنًا مثل ذلك الشعور الذى ستجعلك فــونى تشعر به".

وظهر على وجهه نفس التعبير الذى كان لديه عندما كانت أمه تجعله يــدور حول نفسه بحركة من إصبعها الصغير فى مدينة مينلى.

كان ريتشارد وفونى قد كونا من الناحية الفعليــة نموذجًــا جيــدًا للوالــدين الصالحين، ولو كان لدىَّ مثل هذين الوالدين فعلاً، بدلاً من الوالدين اللذين حبــانى الله بهما، لما كنت قد فررت من المنزل، لقد كانا سيــصبحان والــدين ممتــازين، وكنت سأستطيع الخروج وقضاء الليلة مع صديقى، وتزيين حجرتــى ودهانهـــا بالألوان التى أحبها، وأن أظل خارج المنزل كما أريد، لقد كانا سيصبحــان والدين ممتازين حقًا.

لكن المشكلة الوحيدة كانت فى أننى لم أهرب من المنزل لكى أبحث عن آباء جدد، أو أن أستبدل بوالدىَّ الحقيقيين فونى وريتشارد، لم أخبر تار بأى شيء عن ذلك بالطبع ولكننى كنت أفكر، حسنًا، لقد كان ذلك مناسبًا حتى الآن، سأجعل عينى مفتوحتين لكى أكسب أصدقاء حقيقيين، أصدقاء أكبر من عمرنا أو أصغر قليلاً، من الذين لا يهتمون لموقفنا القانونى، لأنهم من المحتمل أن يكونوا- هم أنفسهم- خارجين عن القانون.

كنا نقوم بمقابلة الكثير من الناس، فقد كان لريتشارد وجينى وفونى أصدقاء كثيرون، وكان الليل هو الوقت المسموح لنا فيه بإضاءة الأنوار فى المنزل، والتجول على هدى الأضواء الكهربائية الحقيقية.

حسنًا، لقد كان من المثير- بالفعل- العودة إلى استخدام الأضواء الكهربائية بعد الزحف على ضوء الشموع لمدة أسبوع، وأصبح لديهم بعض الأفراد القلائل الذين يزورونهم لأول مرة بسبب الإضاءة الكهربائية، مجرد أناس جالسين يتحدثون ويشربون بدون رقص ولا أى شيء.

أطفأ ريتشارد السماعات، وجلسنا أنا وتار فى الركن نتفرج مثل زوج من الببغاوات المستأنسة، وكان بعض الناس يأتون من وقت لآخر، كانوا لطفاء معنا، وكانوا جميعهم من الأصدقاء القدامى، وكان أحد الأشياء المثيرة التى سوف تحدث أننا كنا سنقيم حفلا بمناسبة الانتقال إلى العيش فى هذه الساحة فى عطلة الأسبوع القادم، وذلك لافتتاح الساحة بصورة رسمية، حفلة حقيقية، رقص وأصوات عالية، وقال ريتشارد إنه سيدعو بعض الأشخاص الأكبر سنًا منا، وكان ريتشارد يعرف الجميع، لقد افتتح العديد من الساحات من قبل، وذكر أسماء بعض الأشخاص القاطنين على بعد عدة شوارع من الذين يرعاهم ويهتم لهم، كما ذكر أيضًا أسماء

الكثيرين ممن قد يأتون... وبدأت أظن أنه ربما يكون ثمة فائدة في ذلك، وقد كان الأمر كذلك حقًا، فإن أسبوعين من العيش على ضوء الشموع وطلاء المنزل كان فوق احتمالي.

ما زالت لدى مائة الجنيه التي سرقتها من بطاقة الفيزا الخاصة بأبي، ولم يكن يتوجب عليَّ أن أنفق أى شيء، فقد دفعوا ثمن كل الطعام، وكان فوني وجيري يعطياني السجائر، وفكرت في نفسي... حسنًا، في اليوم التالي أخبرت تار بأننا سنخرج.

هل تصدقون لقد استلزم الأمر مني مدة طويلة لكي أسحبه للخارج؛ وكان لا يزال في حالة جنانه وهوسه بطلاء ذلك المنزل المتهالك، ومن الناحية العملية كان ينبغي عليك أن تحصل على موعد مقدمًا معه قبل أن تتمكن من عمل أى شيء بخلاف الطلاء وأمر أو أمرين آخرين فقط.

لقد جذبته تقريبًا إلى خارج المنزل، وخرجنا إلى المدينة لإنفاق قليل من النقود.

قضينا اليوم كله سائرين في المدينة وطرقاتها، وبمرور الوقت وصلنا إلى "وولورث"، وكنت أعرف بالضبط ما الذي كنت سأفعله بنقودي، كان أول شيء هو شراء قطعة لحم برجر مقرفة ضخمة ومدهنة، وكان ذلك– تقريبًا– هو الشيء الوحيد الذي افتقدته في المنزل، اللحم، لقد كنت أحيا على فول الصويا ولبن الصويا.

قاومني تار بدعوى أنه نباتي، ولكنني زججت به إلى ماكدونالدز، وقمت بطلب سندوتشين ضخمين.

- "بقرة ميتة".

أجاب: "بقرة ميتة".

أكلنا برجر، وكانت لذيذة بشكل لا يصدق، ثم أخذنا قليلاً من المشروب غليظ القوام، وجلسنا نقرأ فى نسخة من خريطة المدينة، وكان هناك حانة فى "ألبرت شايل"، وأعطيت تار بعض الجنيهات، وقلت له: "انتظرنى هنا".

ثم عانقته، لم أرد أن أجعله يمل أثناء تجوالى وشرائى للهدايا، كما كان تار أيضًا يريد أن يظل جالسًا فقط، لقد كنت منبهرة بفكرة إنفاق مائة الجنيه الخاصة بى على حقائب النوم والأحذية الحديثة.

كنت أريد أن أنظف حياتى كثيرًا.

أخذت الأتوبيس إلى السوق عند الإستاد الرياضى، وقد كنا هناك من قبل، بعد ظهر يوم الأحد، يوم اللصق، لكنى لم أقم- وقتها- بإنفاق أى نقود، وكنت حريصة واحتفظت بعينى مفتوحتين، ما رأيته كان مماثلاً لما كانوا يفعلونه فى الساحة.

كان منظرى يبدو متخلفا عن هذا العصر بحوالى ألف سنة.

هذا الفراء الثمين الجيد النوعية فى ذلك اليوم المشمس، كان يمكن أن يبدو مناسبًا لوقت آخر، لقد كنت أبدو أكبر سنًا من فونى، ويا لهول ذلك، لقد غيرت نفسها إلى شكل الموهيكان من أفراد قبائل الهنود الحمر، ووضعت حلقا فى أنفها بينما أظل أنا فى هذه البلوزة المنقوشة بالزهور.

كان أول شىء اشتريته هو جاكيت جلد أسود بعد أن عقدت اتفاقًا جيدًا مع البائع، خمسون جنيهًا فقط ثمنًا لجاكيت مستعمل، كان جاكتًا جميلاً وجذابًا، وكانت

رائحته حلوة، رائحة الجلد الطبيعى، وبه سوستة فى الأمام، قد تقوم باستخدامه لحبس غوريلا فى الداخل أو فى الخارج، وذهبت لشراء بنطلون جينز جلدى أيضًا، ولكنه كان غالى الثمن جدًا، وعلى أى حال فإن البناطيل الجلدية تبدو منفوشة، وقد اكتشفت ذلك فيما بعد.

ولكن كان يجب أن تكون الملابس سوداء، سودءا، سوداء، لذا اشتريت رابطة عنق سوداء، وجونلة قصيرة سوداء وحذاءً ضخما لامعا برقبة من محل ملابس عسكرية مستعملة، ودفعت فى كل ذلك عشرين جنيهًا، ولم أستطع أن أخمن ما الذى كان يفعله قائد عسكرى بارتدائه جونلة سوداء قصيرة، وتى شيرت، لقد ثقبت أذنى ثم ثقبت أنفى مرتين، كان ذلك مؤلمًا، وكنت سأفعل ذلك مرة واحدة، ولكن فونى كان لديها ثقب واحد، أقصد... ثم ذهبت للكوافير لتسريح شعرى، لقد أصبح لدىَّ الآن عشرون جنيهًا فقط، كما أننى صبغت شعرى، وكان شكله جميلاً.

وكنت... حسنًا، إننى أعترف بنفسى أن ذلك كان استنزافًا لأموالى، ولكنه كان عبقريًا.

الآن أعرف ما تقولونه، إننى قد صرفت مائة جنيه، صرفتها فى كلام فارغ، لكنكم لو كنتم قد ذهبتم لشراء مثل هذه المشتريات لما كنتم قد أنفقتم أقل من مئتين وخمسين جنيهًا، ولكن كونوا عادلين، لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى أتصرف فيها بحزم ومهارة، وقد قمت بتجميل نفسى قليلاً، استيقظت من غفلتى وإهمالى لمظهرى وجمالى، وكان ينبغى أن أذهب إلى صالون التجميل للقيام بذلك، أسود على الشفايف، أى لينر للعيون، وما إلى ذلك من الأشياء ثم...

نظرت إلى نفسى فى المرآة وفكرت، جيما... مممم.

هذا المكياج كان يناسبنى، لم أكن جميلة حتى عندما كنت صغيرة، لكنى أعتقد أننى قد حصلت على أفضل ما فى العالم حقًا، أعنى، إذا كنت تبدين جميلة وجذابة حقًا من البداية فلا عليك– حتى– أن تجربى، كل ما عليك هو أن تغمزى بعينيك وسيتساقط الجميع حولك، ولكن إذا بدأت متأخرةً مثلى، وقد كنت أبدو كما لو كنت ضفدعة تتضور جوعًا وتعانى من مشكلة فى أسنانها، فيجب أن تسلك بطريقة أخرى لإصلاح هذه الأمور، لقد اعتدت أن أنظر إلى نفسى فى المرآة عندما كنت صغيرة الحجم، وكنت اعتقدت... يا إلهى، وكنت أتساءل هل ينبغى علىَّ أن أقضى حياتى كلها على هذا المنوال، وبهذا الشكل؟ ثم عندما أصبحت فى حوالى الثانية عشرة، لاحظت أن الناس قد بدأوا ينظرون إلىَّ وشعرت أنى قد أخذت شكلاً آخر، واعتقدت أن شيئًا ما من التغيير يحدث لى وأننى قد أخذت فى التغير فعلا.

بعض الناس كانوا ينظرون إلىَّ فلا يجدون شيئًا خاصًا، مجرد فتاة ذات فم ضخم جدًا، وعيناها بعيدتان جدًا عن بعضهما، ولكن أناسًا آخرين كانوا ينظرون إلى ويرون فىَّ شيئًا آخر، وكثيرًا من المزايا ويحبون طريقتى، وكان ذلك هو الأسلوب الذى أستطيع أن أعرف عن طريقه ما إذا كان ذلك شخصًا من نوعى أم لا.

لقد أبلت الفتاة بلاءً حسنًا.

ودخلت محل عاديات واشتريت هدية لتار، ثم ذهبت لمقابلته فى المقهى التى اتفقنا عليه.

كنت محرجة فى هذا الوقت، وكان ذلك مخجلاً، كنت أفكر فى أننا يمكن أن نحظى بليلة متوهجة حقيقية، وأن نشرب أو حتى يمكن أن نقوم بشىء مسل، لكنى

فقدت الأمل الآن، فمن يحتاج إلى النقود عندما يشعر بأنه فى أحسن الأحـــوال، إن الأمر العظيم والحقيقى كان... إنه لم يتعرف عليَّ حقًا، كان جالسًا علـــى طاولـــة بجانب النافذة، وجلست أنا على الطاولة المجاورة له، وحملق فى كمـــا لـــو كنـــت غريبة، فكرت لماذا لا أختبر مدى رجولته وإخلاصه لى حقيقة، وبدأت فى النظـــر إليه بشدة كما لو كنت أغريه، فرأيته وقد أخذته العصبية، إنه لم يكن يعـــرف مـــا الذى يحدث، وأخذت أنظر إليه ثم غمزت له بعينى غمزة سريعة، ورفعت رأســـى نحوه فاحمر وجهه خجلاً، ثم نظر إليَّ بعد برهة بفضول، وابتـــسم لـــى ابتـــسامة صغيرة باهتة، وفى المرة التالية تعرف على عينى عندما غمـــزت لـــه، فنهـــضت وجلست بجواره.

اعتقدت أنه سوف يموت، ولكنى استطعت أن أرى وجهـــه يـــشرق منيـــرًا كالفجر كلما اقتربت منه وصرخ فى دهشة: "جيما؟؟؟".

- "من تعتقد إذن؟".

آه لو رأيتم وجه تار فى تلك اللحظة، لا يمكنك رؤية كل شيء فى وجهـــه، لقد انذهل بشدة، قلت له: "أنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل الآن".

وكان ذلك حقيقيًا، أنا لم أعد أشعر بأننى ابنة لأحد ولنـــدع الـــسيد والـــسيدة بروجان وشأنهما، وقمنا معًا وذهبنا إلى الحانة سيرًا على الأقـــدام، وكـــان النـــاس ينظرون إليَّ بإعجاب، فكان يشعر بالفخر لكونه يسير معي، ولكنـــه كـــان يـــشعر بالخجل أيضًا بسبب ذلك الفخر، أنتم تعرفون ما أقصده، وبعد قليل تعود على هـــذه الفكرة وتعود على وضعى الجديد وبدأ يرغب فى لمسي وجذبنى إليه، ثم بـــدأ فـــى تقبيلى، وحاول إدخال يده تحت ملابسى ولكننى أبعدته عنى.

نهرته قائلة: "هذا- عمليًا- ليس إخلاصًا". ثم ضحكت، ذلك أننى لـــم أرد أن يقوم بتخريب مكياجى وهندامى.

وصلنا إلى الحانة، وكنت أكاد أطير إليها، وكانت هناك فرقة رقص، وعندما وصلنا كان هناك بعض الناس يرقصون، ولكن أغلب الناس كانوا جالسين ينتظرون الفرقة الرئيسية، وشربنا بيرة بعد أن ذهبنا إلى البار واشتريناها، وكنت بشكلى هذا أستطيع السير وشراء المبنى كله ولكننا اكتفينا بالبيرة فقط.

وجلست بجانب تار، وأمسكت يده، وقبضت عليها بفخذى من تحت الطاولة، وشعرت بارتياح.

كان صوتى مرتفعًا، وأعجبنى الإزعاج والزحام، وأحببت أن أكـــون علـــى طبيعتى، وقمنا ورقصنا قليلاً إلى أن غادرت الفرقة المسرح، وذهبنا معًا واســـتندنا على حائط، وتناولنا شرابًا آخر، وانتظرنا حتى تستعد الفرقة التالية، كانـــت فرقـــة مجهولة وتافهة، ولم أكن أعرفهم من قبل، لكنهم أتوا وبدأوا فى العزف على الآلات التى معهم، وكان هناك بعض الأصوات النشاذ والأصوات العالية الصادرة مـــنهم، إنهم لم يقوموا بعزف أى إيقاع منتظم مثل واحد، اثنين، ثلاثة، وكأنهم متأكدون من أن الصوت الذى كان يصدرعنهم كان جيدًا، وقاموا بعزف عدة كوردات (موسيقى إيقاعية كمقدمة لغناء) ثم... بدا الأمر كما لو كان هناك نوع من الخـــلاف يـــدور بينهم، فقد بدأ المغنى فى الصراخ فى وجه أحد المتفرجين من خلال الميكروفون.

وبدأ الأمر يخرج عن السيطرة، التفت الفرقة حول بعضها، وتجمع الجمهور تحت خشبة المسرح، وقاموا بالصراخ، واعتقدت أن هناك مـــشكلة حقيقيـــة فـــى طريقها للحدوث، وبدا أن الفرقة تستعد لمغادرة المكان لأنهم توقفوا عن العـــزف، وكان الحاجز الأمامى للمسرح يمنع المشاهدين من الصعود إليهم، كان موضوعاً-

حقًا- من أجل ذلك، وكانت الأرضية تحت خشبة المسرح مليئة بالناس، وكان هناك شخص يصرخ فيهم لإبعادهم، ويصوب إصبعه نحوهم وهو يقول: "ابتعدوا"، فبدأ الناس في الرد عليه والصراخ في وجهه، وامتلأ المكان بالهرج، ثم انحنى ذلك الشخص إلى الأمام وبصق بصقة كبيرة كان من الممكن رؤية رزازها وهو يتناثر فوق رءوس الناس الذين كانوا في المقدمة.

ثم بدأت الفرقة في العزف مرة أخرى.

لم أستطع أن أتقبل ذلك، وكان عزفهم عنيفًا، مثل صراخ شخص يُعتدى عليه، ولكن بطريقة موسيقية، وفجأة أخذ الجمهور في الرقص إلى أعلى وإلى أسفل، وأخذت الأضواء تتلألأ، وامتلأ المكان بالصخب، وكان الجمهور الواقف أمام المسرح مباشرة يبصق على المطرب، وكان المطرب ينزلق ويتزحلق على المسرح، وكانت خشبة المسرح مبللة جدًا من ذلك البصاق، هذا هو كل ما كان، وكنت أصرخ من شدة السعادة، لم أر- أبدًا- شيئًا كهذا من قبل، وجريت لكي أخرج من ذلك الزحام، وبدأت أقفز معهم، بانج بانج بانج، إلى أعلى وإلى أسفل وأصيح مثلهم.

كنت أتمنى أن أعرف هذه الفرقة أو أي واحد منهم، لعلهم مشهورون، أو كانوا كذلك كانوا بذيئين ومذهلين جدًا، وكان صوت الموسيقى مرتفعًا مثل الخبطات القوية والدوي الشديد، ولكنها لم تكن تؤذي السمع، أنتم تعرفون ما أقصد، كان هناك هياج شديد وأشياء ظريفة، لكن لم تحدث أية معارك.

وكان تار- أيضًا- هناك بجانبي يقفز، كان يقفز كالقرد أحيانًا، يعلو ويهبط، يعلو ويهبط وشعره الأسود يتناثر ويسقط على عينيه، كان يبتسم، واستمر في ذلك.

أنهت الفرقة إحدى أغانيها ثم بدأت فى الثانية مباشـــرة، كانـــت الأصـــوات تتعالى وتفرقع، ولكن لم يهتم أحد لذلك، ثم كانت هناك أغنية للرقص الثنائى وأقول بأمانة... إنه كان يوجد بعض الأزواج والزوجات يرقصون معًا، أقسم على ذلك... أنتم تعرفون، لقد تعانقنا أنا وتار وحاولنا إلصاق ألسنتنا بـــبعض وإدخالهـــا حتـــى الحنجرة، وقام تار بلعق وجهى كله بلسانه، ثم بدأت الموسيقى فى العزف الـــسريع مرة أخرى، واستمرنا على ذلك الحال طويلا.

ذهبنا لسماع هذه الفرقة التافهة بالصدفة، كانوا يبدون مثـــل بـــرادة الحديـــد الهشة، لم يهتموا لأى شىء، وشعرت– حقًا– بأننى مرتدية ملابس أكثر من اللازم، وعندما توجب علىَّ الذهاب إلى دورة المياه، وجدت ثقبًا فى بلوزتى الجديدة يظهر منه لحمى الأبيض، فقمت بعمل ثقب آخر مثله كى يتماشى لون بياض جسمى مـــع سواد البلوزة، وجذبت جونلتى الجديدة الصغيرة من الأمام، وحاولت ثقب فتحة فـــى التى شيرت، ولكنى لم أنجح فى ذلك، كان القماش متينًا جدًا، لذا لم أستطع إلا فـــتح نصف الثقب فقط وأعدت البلوزة إلى جسدى، وبدأت فى القفز.

لم أعد أستطيع رؤية تار، ولكن لم يكن ذلك مهمًا، أفسحت لنفـــسى طريقًـــا أوصلنى إلى أمام المسرح، وكان الناس يعلون ويهبطون، ويبصقون على المغنـــى، وكان ذلك عظيمًا، ولكن الجو كان حارًا جدًا وصعبًا لدرجة أنـــك لا تـــستطيع أن تمكث لفترة طويلة فى ذلك الوضع، وكان هناك أناس يتسلقون المـــسرح، ويقفـــون أمام المغنى، وكان الجمهور متزاحمًا هناك، واستطاع بعض الناس أن يفروا مـــن خشبة المسرح ويتسلقوا عبر الجمهور، وهم يمشون على رءوســـهم، وقـــد خطـــا بعضهم عشرة أو اثنتى عشرة خطوة قبل أن يقل تزاحم المتفرجين عليهم، وكـــانوا يلقون بأنفسهم لتتلقفهم أيدى الجمهور أسفل المسرح، واصطدم أحدهم بأذنى.

عندما رغبت فى الهروب من ذلك الزحام والشعور بمساحة صغيرة من الفراغ حولى، ذهبت للخلف، وبدأت فى الرقص هناك، كنت أرقص وأرقص وأرقص، ولمحت تار يرقص كالأبله، واقتربنا من بعضنا، ورقصنا متعانقين لوهلة، ثم تركنى وذهب لكى يحضر لنا مشروبًا باردًا، ولكننى واصلت الرقص، وظل الناس يأتون ويطلبون منى أن أراقصهم، فرقصت معهم، ثم افترقت عنهم، وسألنى أحد الفتيان إذا ما كنت أريد شرابًا، أجبته بالموافقة، وذهب لإحضار المشروب، وقفت وانتظرت قليلاً، آه من هذه الموسيقى، وبدأت الفرقة فى عزف الأغنية الجديدة التى كانت جيدة جدًا لدرجة جعلتنى أقتحم الزحام وأبدأ فى الرقص مرة أخرى، ونسيت كل شىء عن ذلك الفتى وعن مشروبه، وعن أى شىء آخر...

لم أر تار لمدة نصف ساعة ورقصت مع بعض الأشخاص الآخرين، وفى لحظة أتى تار وقال إنه قد اكتفى، وأنه عائد إلى المنزل، فقلت له وأنا أبتسم: "إذن أراك فيما بعد". فقام بالتقاط أنفاسه وقال: "أنا لا أستطيع الذهاب بدونك"، فقلت له: "انتظرنى إذن"، واختفيت عن أنظاره لأنى لم أكن أرغب فى الذهاب، لماذا أذهب؟، لقد استطاع أن يرى رغبتى هذه، ولكن بعد حوالى عشر دقائق أتى وأراد مغادرة المكان مرة أخرى، وفكرت يا له من شىء مؤلم، لم أقل أى شىء، رأيته يتمدد أمام البار فى حالة بائسة، وفكرت آه، ياه، أقصد لقد فعلت كل ذلك من أجله، هذه الملابس التى ارتديتها للذهاب إلى الحانة معه، وكنت لا أزال محتفظة بهديتى له فى حقيبتى، وكان هو هناك يتأوه، ويبدو كما لو أن أباه كان يعاقبه، ولكننى لم أكن أباه، وطلبت منه أن يبدأ فى الرقص، وأخذت فى الرقص، لم أكن أريد التوقف، ليس من أجله، ولا من أجلكم، ولا من أجل أى أحد آخر على الإطلاق.

بعد قليل عاد هذا الفتى الذى كان يراقصنى ومعه مشروبى، ووقـف هنـاك بشعره المريع وجينزه الأسود وذلك الثقب فى أنفه، بدا كما لو كان قد ظل مستيقظًا بدون نوم لمدة عشر سنوات، وكأن أحدهم قد كرمشه ووضعه تحت الدولاب.

ضحكت قائلة: "هل كنت ممسكًا بهذا الشراب طوال هذا الوقت؟".

ضحك لنفسه وأشار برأسه قائلاً: "لقد سكبت نصفه".

قلت لنفسى، حسنًا أنت ماهر وأنت شغوف بى، ولكنه لم يكن منـدفعًا، ولـم يكن مهتمًا لأن أقوم أنا بفعل أى شىء أريده.

شربت البيرة فى الحال، وانطلقنا إلى الرقص مرة أخـرى، كـان راقـصًا عبقريًا، وكنا ندور حول أنفسنا عبر المكان، وأنا فى نشوة كبيرة من الرقص، وفى هذه الأثناء لم أهتم لأى شىء آخر، وألقيت عدة نظرات على تار من طرف عينـى عدة مرات، وحدثت نفسى، يجب أن تنظمى نفسك، يمكنك تحمل المعاناة فى سـبيل التغيير، أقصد كفانى ما لاقيت من غرابة أصـدقائه وبطاطـسهم المـشوية لمـدة تزيد عن أسبوعين، بينما لا يستطيع هو أن ينتظر معى لمدة ليلة واحدة، بل مجرد أمسية فقط.

يمكنكم أن تروا أن هذا الشخص الآخر يعتقد أننى بدون أى تجـارب، كـان على حق، فقد دست على قدمه أثناء الرقص، وكنا نهتز ونتمايل، كلانا غرقنا فـى العرق، وكانت هناك أغنية هادئة، وكان رفيقى مستندًا علىّ؟ لم أهتم، اعتقدت أنهـا مجرد رقصة، مجرد فرفشة ومرح لذا لم أهتم على الإطلاق، كنت أرتدى هذا التى شيرت، وكنت مبللة تمامًا من العرق، وكانت ملابسـى ملتـصقـة بـى، وهـو لا يستطيع إبعاد يده عن جسمى، حسنًا؟ لماذا يجب عليه ذلك؟

لم أعرف بالضبط المدة التى استغرقتها تلك الرقصة، كنت أود لو أستطيع أن أجعلها تدوم إلى الأبد، ولكن ذلك الفتى قام أخيرًا بوضع يده على مؤخرتى وانحنى علىّ قائلاً: "يجب أن أذهب، لم لا تأتين معى إلى منزلى الآن؟".

وفى خلال ثانية واحدة فقط رجعت قفزًا إلى الخلف، لقد كان ذلك غباءً منه، ولكننى، بأمانة لم أتوقع منه ذلك، إنه لم يطلب منى ذلك مرة أخرى أو يدعونى لتناول فنجان من القهوة، إن نوع الحياة التى كنت أحياها حتى هذه اللحظة لم تكن تسمح لأحد أن يطلب منى الذهاب إلى مكانه للنوم معه، فقد كان لمن هم فى مثل سنى آباء يعيشون معهم فى المنزل وجموع تنظر إليهم على الشاطئ.

نظرت حولى وقلت لنفسى يمكنك قضاء ليلة واحدة فقط على هذا المنوال بدون أن تصبحى فتاة تامة القذارة، أليس كذلك؟ وقد فضلت هذا الفتى، فقد كان لديه نظرة ثاقبة، أقصد أننى لم أقل أننى أريد أن أقضى حياتى كلها معه، لكننى كنت مستعدة للتصدى لكل ما يمكن أن يواجهنى فى طريقى فى تلك الليلة.

نظرت حولى، لكننى لم أستطع رؤية تار فى أى مكان.

قلت له: "حسنا... هل تقصد أنك تريد أن تذهب الآن؟".

فهز رأسه ونقر بأصابعه على الكوب الذي يحتوى على مشروبه وذهب ليحضر لى حقيبتى، وها قد حضر تار.

كنت على يقين من أنه لن يذهب بدونى، إنه لم يكن جالسًا معنا على نفس الطاولة لكنه كان يرى كل شىء، ولأن هذه هى طبيعة تار المعهودة فإنه كان يرى كل شىء ولكنه لا يأتى ليتكلم ويقول: "إنك ملكى"، أو: "ما الذى تظنين أنك تستطيعين فعله؟".

ولكن ها هو يظهر لى أنه لا يزال هنا وأنه ينتظرنى، وقد تغير لون وجهه وأصبح مثل لون الجبنة الخضراء.

نظرت إليه ونظر إلىّ.

قلت له: "لقد طلب منى أحدهم أن أرافقه إلى منزله"، نظر إلىّ فقط.

وبدأت أفتش فى حقيبتى وكدت أن أفرغها تمامًا ثم قلت له: "ها هى، هل لديك نقود لتذاكر الأتوبيس؟".

ونقبت جيدًا فى حقيبتى حتى وجدت بعض النقود، لم أستطع أن أجدها بالسرعة الكافية، فقد كنت أريد أن أذهب بعيدًا عنه فقط ، دفعت النقود إلى يده بعنف، نظر إلىّ فشعرت بالقلق، لا أدرى لماذا، التفت إليه وصحت فيه "أنت أيضًا لست أمى البغيضة!".

ذهبت، وكان ذلك الفتى الذى لا أعرف حتى اسمه واقفًا فى انتظار وسط مجموعة صغيرة من الناس، وكانوا هم الشيء الحقيقى والواقعى من حولى.

ربما كان كل ما يرتدونه من ملابس لا يساوى بأكمله أكثر من عشرة دولارات، وكان عددهم لا يتجاوز حوالى عشرة أفراد من البنات والأولاد، وقد استطعت أن أراهم جميعًا وهم يراقبوننى ويراقبون تار، كانوا حقيقة شرذمة من الحثالة المقززين الذين تظن أنهم سوف يشقون رقبتك إلى نصفين، ولكننى كنت أعرف تمامًا أنهم لن يفعلوا ذلك وأنه لا يوجد أى خطر من جانبهم، بل إن منظرهم فقط هو الذى كان يوحى بذلك، أليس كذلك؟ إنه مجرد نمط وطريقة فى ارتداء الملابس والتصرفات...

وغمزت لى إحدى الفتيات بطرف عينيها.

دخلت فى وسطهم وأغلقوا الدائرة من حولى، فاندفعت نحو الباب، وخرجت إلى هواء الليل المنعش، فأخذوا فى الكلام والضحك فى الحال، وقال أحدهم شيئًا ما لى فرددت عليه، وشعرت بالسعادة مرة أخرى، ورفعت حقيبتى ووضعتها تحت ذراعى، وكانت هدية تار لا تزال موجودة بها.

قلت: "انتظرونى دقيقة؟".

جريت عائدة إلى الصالة وكان تار لا يزال واقفًا إلى جوار البار، فجريت نحوه وجذبته.

قلت: "ها هى"، ودفعت بالهدية إلى يديه، ثم جررته إلى مؤخرة الصالة، ودفعت به إلى خارج الباب وأنا أشده إلى الخلف، لا أدرى لماذا فعلت ذلك، فقد كنت قد قررت أن أمشى مع أولئك الشباب، وكانوا ينتظروننى تقريبًا.

اندفعنا أنا وتار نجرى على الطريق، وعندما تأكدنا من عدم ملاحقة أحد من أولئك الشباب لنا أوقفته عن الجرى، وأخذ كل منا ينظر إلى الآخر.

قلت له: "ينبغى عليك أن تنظر إلى وجهك"، ثم استغرقنا فى الضحك، وأخذنا نضحك ونضحك كما لو كان الأمر كله مضحكًا ويدعو للسخرية، أو أنه مجرد نكتة، ولو لم أكن قد وجدت هدية تار لكى أعطيها له فى ذلك الوقت لكنت قد صنعت هذه الهدية له بنفسى لكى أقدمها له حينئذ، لكننى عدت وندمت بعد ذلك على عدم ذهابى مع هؤلاء الشباب، كنت أريد الذهاب معهم، ولكننى لم أستطع أن أفعل ذلك بتار، ليس مع تار، هل كنت أستطيع أن أفعل به ذلك؟.

لم نتحدث عن هذا الأمر أبدًا بعد ذلك، لكن كلانا كان يعرف أننى كنت على وشك أن أفعل ذلك، وكان كلانا يعرف أيضًا أننى أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى

فى أى وقت، كان تار عطوفًا ورقيقًا جدًا ومحبًا، أعتقد أنه كان يستطيع أن يجعلنى أحبه وأريده، ولكننى بالطبع لم أكن أريد الذهاب والابتعاد معه لأنه لم يكن لطيفًا بالقدر الكافى معى.

وضعت ملابسى وجيبتى الممزقة بعيدًا ونحيتهما جانبًا، كانت ملابس جميلة كما تعرف، وقد ارتديتها عند الاحتفال بافتتاح الساحة، قد تكون ليست مناسبة لذلك، ولكن على أية حال سوف أعود لأرتدى هذه الملابس مرة أخرى فى وقت ما قريب.

(٩)

فونى

كانت مشاعرى متجهة نحو إعادة جيما إلى منزلها مرة أخرى قبل أن تنحرف، وكان ذلك مهمًا لأنها كانت على وشك أن تتجاوز الحدود، وكانت عندما تسير فى الطريق تميل برأسها نحو أى شخص تشعر أنه ظريف، وتتوجه نحو أى متجر أو كوفى شوب من نوع هذه الأماكن التى تفضلها، لكنها لم تتح أى فرصة لتار المسكين لكى يمشى على النار ويتعرف على ذاته ونوعية شخصيته.

أما ذلك الذى أزعجنى حقًا فهو أنه كان لديها كل وقت العالم لكى تحيا وتعيش بدون أن يكون لديها أى مشكلات، أى مشكلات حقيقية، لقد عاش تار مع أسرته الرهيبة لمدة طويلة، وكان شديد الانفتاح، وقد كان يحاول جاهدا، أما الآن وقد أصبح خارج هذه الأسرة فهو يحتاج إلى قليل من الانفراج، ولكنك لا تستطيع الحصول على أى وقت فراغ فى وجود جيما لأنها تشغل الوقت كله، ولكننى لم أحبها وتمنيت لو كنت قد عرفتها بعد أن تكبر، أى بعد عشر سنوات وليس الآن، هذا هو كل ما فى الأمر.

كنت غاضبة منها عندما عادت من الحانة مرتدية تلك الملابس المصنوعة من الجلد وباقى أرديتها، فقد كنا نطعمها وندفع لها فواتيرها، كما كنا نمدها بالسجائر أيضًا.

قالت: "إنها ملابس جميلة"، وخرجت وهى بهذا الشكل، ثم وقفت لحظة أمامى مثل عارضة الأزياء، وكان من الواضح أنها تعتقد أن كل ذلك سوف يجعلنى منبهرة بها، ولكننى لم أفعل، كنت أعد ميزانية المنزل، وكنت أدفع من راتبى الأسبوعى، من هذه الثلاثين جنيهًا البائسة تكاليف إطعامها وشرابها وتكاليف التدخين طوال الوقت.

قلت لها: "هذه ليست حفلة وأنا لست أمك".

انقلبت ملامح وجهها وتبلدت لبرهة، كانت المشكلة أنها كانت تريد أمًا، وهذا ما كنت أقصده.

كان جيرى عديم الفائدة تمامًا، وأحب أن يأخذ الفتاة الصغيرة فى جولة بعيدة على قدر الإمكان، وقد ساءت الأمور بينى وبينه، كان كل ما أراده هو اتباع أهواء نفسه فقط، ولم يكن يعنيه أى شخص آخر، ولا حتى أنا، عندما كان يريد إشباع مزاجه فقط، حسنًا، أنا أحب أن أقضى وقتًا طيبًا، ولكن أعتقد أن فى الحياة أشياء أخرى أهم من ذلك بكثير.

عرف ريتشارد أن جيما لم تكن تفعل أى شىء جيد لأى أحد، وخصوصًا لتار المسكين، إنه المشكلة مع ريتشارد أنه لم يكن يحب أن يجعل يديه قذرتين، إنه مسئول- كما تعرفون- ولكنه يعتقد بطريقة ما أن كل الأمور ينبغى أن تكون لطيفة، وحينما يأتى وقت اتخاذ القرارات المهمة فإنه كان يقلب وجهه، ويذهب بعيدًا، ويقول: "إنها سياسة".

كان تار شخصًا جادًا، لكنه كان واقعًا فى مشكلة، وعندما يقابل الناس تار فإنهم يقومون بواحد أو اثنين من ردود الأفعال، إما أن يتبنوه مثل أمه، أو يهربوا

منه، وعادة ما يفعل الناس هذين الشيئين معًا، ذلك بالضبط مثـــل موقـــف والدتــــه الحقيقية منه، وكذلك جيما فعلت ذلك أيضًا، إنها- بالضبط- لم تكن تتعامل معـــه، فهى ليست من ذلك النوع من الأفراد، ولكنها كانت مهتمة لنفسها فقط، وتشعر بأن لديها اكتفاء ذاتى، وربما تكون كذلك بالفعل، وبعد أن جعلت من نفسها "بانكى" مثل فتيات الهنود الحمر اعتقدت أنها قد اكتشفت ذاتها أو أنها نجحت فى ذلك، بـــالطبع إنها جيما، لقد اندفعت فى ذلك بكل جوارحها، وعادت إلينا فى تلك الليلة بحلق فـــى كل أذن، واثنين فى أنفها، وأصبح لديها ثلاثة حلقان أخرى بعد يومين، جعلت تـــار يثقب لها أذنها بإبرة رفيعة معقمة، كانت قد اقترضتها منى، وظلت تردد: "أنا لـــن أستطيع أن أعود إلى المنزل الآن"، وكادت أن تقطع لسانها- إن استطاعت- لتضع فيه عدة حلقات أخرى، وقد جعلتنى أعتقد أنها قد فعلت ذلك فقط لكى تنتقم منى.

وبعد ذلك أتى دور تار، فقامت بحلق شعر رأسه كله، إلا شريطًا طويلاً فى المنتصف ليبدو كالموهيكان (أفراد قبائل من الهنود الحمر الأمريكية)، ثم صـــبغت ذلك الشريط باللونين الأخضر والأحمر، واستخدمت كميات هائلة من الجيل لتثبيت تسريحة شعره ولصقها، فأصبح شكله غريبًا، ضحكنا جميعنا ولكن هذه كانت قسوة منا، فقد كان مستعدًا أن يجرب أى شىء لمرة واحدة أو حتى لمرتين؛ لأنـــه كـــان يرغب فى تجربة أى شىء يخطر على باله، ولكن ذلك لم يناسبه على الإطـــلاق، وأصبح غريب المنظر، ذا عنق جلدى طويل، ثم هذه التجاعيد، منظر بشع، رأســـه مدببة من أعلى والفم مملوء بأسنانه العاجية، وهذا الشريط من الـــشعر المـــصبوغ باللونين الأخضر والأحمر فوق رأسه، إنه يبدو مثل أحد الببغاوات، توسلت إليهـــا والدموع فى عينى: "إنك لن تتركيه يغادر المكان وهو بهذا الشكل، أليس كذلك؟".

قالت جيما: "أعتقد أنه يبدو عظيمًا هكذا".

واستطعت أن أرى أن تار كان متوترًا ويجز على أسنانه محاولاً أن يقنع نفسه بأنه يريد أن يكون بهذا الشكل، لقد بدا شكله مثل الصور التى نراها فى الكروت التى تباع للسياح، بالطبع فإن جيما كانت تغيظنى فقط، لقد قصت شعره ولونته، وبالرغم من ذلك ظل شكله مثيرًا للسخرية.

كنت أخشى من الحفلة، وحتى الآن كانت جيما تظل موجودة بالمنزل فى أغلب الأوقات. ولكن عندما وجدت الهيكل (جزء من الكنيسة)، كانت تذهب إليه، وتغيب عن المنزل فى أغلب الأوقات، ولحسن الحظ لم يكن لديهما أى نقود، ولكنها قضت الأسبوع التالى تحاول البحث عن أى عمل كجرسونة أو شىء من هذا القبيل، ولكن لم يحالفها الحظ فى الحصول على أى عمل، فشكرًا لله على ذلك.

فى هذه الأثناء كنت مهتمة لريتشارد، كان كسولاً لا يقدم على أداء أى عمل، وكان ذلك واضحًا، أما تار فكان مختلفًا عنه تمامًا، وكان يرغب فى أن يبقى مع أسرته لكن أسرته... كانت فى غاية السوء، لذا كان من المستحيل عليه أن يظل معها، لكن جيما... لم أكن أريد أن أتحمل هذه المسئولية، ولم أرد أن أرى أو أراقب ما كانت تفعله بتار، دعنا نواجه ذلك الأمر بصراحة، لم أكن أريد وجودها معنا فى المقام الأول.

تناقشنا معها فى الليلة السابقة بخصوص الحفلة، كان يجب علىّ أن أفعل ذلك بشكل ما بنفسى، وتناقشت– بصراحة– مع جيرى فى هذا الموضوع، وقام ريتشارد بإبعادى عن ذلك الموضوع، وكان سريعًا بشكل كاف ليتولى القيادة بنفسه إذا كان ذلك ضد السلطات، ولكن عندما يصبح فى موضع المسئولية، فقد كان يجلس فقط فى الركن وتبدو عليه علامات التعاسة والبؤس، وكانت جيما تعرف بالضبط ما الذى سيحدث بعد ذلك.

لقد كان أمرًا عادلاً أن نمهلها أسبوعًا لكى تستوعب هذه الفكـرة، وكانـت تعيش لحظات سعادة ومرح، وطلبت منا البقاء لحضور الحفلة ولكن بعد ذلك...، لم يكن عادلاً أن نبقيها هنا، إنها فى الرابعة عشرة فقط ولم يكن يبدو أن مشاكلها مـع أسرتها فى حدة مشاكل تار، حسنًا، من الواضح أن والديها كانا يـصعبان عليهـا الحياة بدون داع.

قالت وهى تتعجب: "إنهم يصعبون علىّ الحياة بدون داع، ولم أكن أسـتطيع عمل أى شيء...

ولكن الهروب من المشكلات لا يحلها، لقد حان الوقت لكى تبدأ فى الترتيب للعودة إلى المنزل بعد الاحتفال ببيتهم الجديد.

توقعت منظر ذلك المشهد بالطبع، وكان أحدهم، وهو تار، جالسًا هناك تبدو عليه علامات البؤس، وكانت جيما غاضبة ومشتعلة، جعلنى ذلك أتعاطف مع الآباء حقًا، فقد كانت جيما متعجلة دائمًا، وإذا لم يتحقق لها ما أرادت توة فى اللحظة، أو فى الغد، فإن ذلك يصبح أمرًا غير محتمل بالنسبة لها، وكنا نقوم بتهيأتهـا للعـودة إلى المنزل بلطف بقدر استطاعتنا، وسوف تمكث هنا لمدة أسبوعين بالفعل، ونحن نهيئها للعودة، وقد عرضت عليها أن أتحدث إلى والديها بنفسى، ولكنهـا رفـضت إعطائى رقم تليفونهم، وأجابت بتهكم: "إننى لا أثق فيك أبدًا"، لكنها كانت تظلمنـى، فقد فعلنا كل ما نستطيع من أجلها، ولكن من أجل المسيح، إن ذلـك الأمـر غيـر قانونى بشكل واضح، لقد أطعمناها وأخفيناها وفعلنا لها كل شىء، ولكن ذلـك لـم يعطنا الحق فى اقتراح أى شىء عليها، ليست جيما التى تقبل أى مقترحات.

حاولت- بعد ذلك- التقرب إلى تار لكى أجعله يتكلم ويحدثنى عـن بعـض مشاعره نحوها، وقد استطاع أن يفهم ذلك، وعلى الرغم من أنه لم يكـن مرتاحًـا

لفكرة أنه قد شجعها على الهرب والمجيء إلى هنا، لكنه- حقًا- لم يكن يريـدها أن ترحل، وحاولت الحصول على رقم تليفون أهلها منه، لكنه كان شديد الولاء لها.

قال: "لا تطلبى منى ذلك": لذا لم أضغط عليه.

حسنًا... ما الذى فى استطاعتنا أن نفعله أكثر من ذلك؟.

أعتقد أن ريتشارد كان يشعر بالذنب لأنه أصدر لها الأمر بالرحيـل، وقـد أخذ- بعد ذلك- فى عمل الترتيبات والإعداد لكى تقضى وقتًا طيبًا وتسعد بالحفلـة، ولكن أرى أنه أخطأ خطأً كبيرًا بذلك من وجهة نظرى.

أتى ريتشارد فى أحد أوقات تناول الشاى والابتسامة تعلو وجهه وأعلن أنـه قد قام من أجلها بدعوة عدة أشخاص فى مثل عمرها.

سألت: "من؟".

قال: "آه، أنت تعرفين" وهو يبتسم كقطة فى الهواء "هـذه مجموعـة مـن الشباب الذين يعيشون فى طريق المدينة"...

فقفزت إلى مخيلتى صورة فتاة رأيتها على النت ومعها ولد بـدون أسـنان أمامية.

- "هؤلاء الذين قدمتنى لهم...".

- "هذا حسن".

- "ريتشارد".

- "ماذا؟".

اندهشت، لم أستطع أن أصدق هذا، هذا الشخص ليس لديه أجراس إنذار.

- "هل نظرت فى أعينهم".

- "لماذا؟".

بالطبع إن ريتشارد لا ينظر إلى أى شخص فى وجهه، لم أكن أعرف ماهية هؤلاء الفتية، وماذا كانوا يريدون، ولكنهم كانوا يريدون شيئًا ما، ومن المؤكد أننى لم أعتقد أبدًا أن فكرة دعوتهم إلى الحفلة ووضعهم مع جيما فى نفس الغرفة كانت فكرة جيدة.

(١٠)

جيما

كان من الطبيعى أن تطلعنى فونى على الأخبار قبل الحفلة فقط، كنت أتطلع إلى ذلك حقًا، وقد أخرجت ملابسى الجميلة، وصبغت شعرى من أجل الحفلة، وكنت أنتظرها بفارغ الصبر، وها قد حضرت الرئيسة، كان ذلك رائعًا، فقد جاءت وكان ريتشارد إلى جانبها، وكان ذلك شيئًا سيئًا جدًا، ولكن حتى تار بدأ فى الاتفاق معها، وظل يقول: "أنا لا أريدك أن تذهبى، أنت تعرفين، أنا لا أريدك أن تذهبى".

همست: "لماذا تبدو على هذه الحالة التى أنت عليها إذن؟".

فأوقف رأسه عن الحركة وقال: "لكنهم على حق...".

ابتعدت عن تار، أقصد لماذا كانوا يفعلون كل ذلك وما الهدف منه، لقد كنت أحبهم ولكن ماذا سأفعل إذا طاوعهم وأعادنى إلى المنزل مرة أخرى؟.

شكرًا يا تار.

لقد فعلت كل شيء من أجله، فعلت كل ذلك له، لم أكن لأهرب إلا من أجله، ربما أكون قد فكرت فى ذلك ولكننى لم أفعل، والآن أنا فعلت ذلك من أجله وهو يخبرنى أننى أنتمى لبيتى ولأسرتى... عظيم.

أظهرت له عدم الاهتمام له، ينبغي عليك أن تنتظرني، لقد يئست منه على أي حال، إنه الآن يحاول أن يصبح السيد المسئول، لقد استطاع أن يجد شخصًا ما آخر غيري ليعانقه في الليل.

كان ذلك اليوم هو يوم الجمعة، وفي يوم السبت سنكون مستعدين للحفلة، وقد صممت على أن أحظى بوقت طيب فعلاً، ربما يكون هذا هو آخر يوم لي في الحرية، وقضينا اليوم كله في صنع الطعام وتنظيف الغرف ومد الأسلاك لأجهزة الصوت، وحبس جيري نفسه مع ريتشارد في الطابق الأعلى مع مكبرات الصوت لإعداد شريط للحفل، وكنا أنا وفوني وتار نقوم بإعداد السلطات وغيرها من الأشياء اللازمة للحفل، وكان ريتشارد يخبز الخبز، خبز زيتون، وخبزًا من زيت الزيتون، وخبز جبنة وكل الأنواع المختلفة، وجهزت نفسي للحفلة، ولكنني شعرت بالملل عندما ذهب تار لقضاء المشتريات على دراجته لمدة ساعة أو أكثر؛ لذا صعدت إلى الطابق الأعلى لمساعدة جيري بينما ظلت فوني بالطابق الأسفل لترتيب المنزل.

كانت العلاقات سيئة بيني وبين جيري على حد اعتقادي، وكنت مستثارة كلية بسبب هذه الحفلة ولكن حدث... أنا لا أدري، لم أكن في حالتي الطبيعية أساسًا، فقد تخطت العمة فوني كل الحدود في الكلام عني، ولم أستطع أن أوقف التفكير في كيف أن جميعهم يعتبرونني صغيرة، وأن الجميع هنا لا يحبونني ولا يرحبون بوجودي بينهم.

ذهب الثلاثة الآخرون إلى الحانة، ولكنني أنا وتار- بالطبع- لم يكن لدينا أي نقود، فأخذنا نتبادل العناق في المنزل، وننظر إلى بعضنا، أو قل كنت أنظر

إليه عندما كان يحاول أن يكون لطيفًا، ولكن ليس بالقدر الكافى لتنفيذ رغبتى فى البقاء معه فى الساحة.

خففنا النبيذ الذى أحضروه وتناولنا بعض الطعام، وقبل أن يخرج ريتشارد قام بإعطائنا بعض البسكويت الذى صنعه... بسكويت ناعم. كنت فى انتظار أن تتلألأ الأضواء أو شىء مثل ذلك وظللت أنتظر ولكن لم يحدث أى شىء، واعتقدت أنهم لم يقوموا بدعوة عدد كاف، وظللت منتظرة حتى وصلوا.

قال ريتشارد إن بعض معارفه ممن هم فى مثل أعمارنا سيأتون، ولكن لم يحضر سوى القليل من أصدقائهم، كانوا جميعهم واقفين فى مجموعات يتحدثون، وإذا أطالت هذه المجموعة شعرها قليلاً وارتدوا بذلات مثل الموظفين لأصبح ذلك حفلاً تقليديًا مثل التى تقام فى شقة والدىّ، وكان الحديث يدور عن حقوق الحيوانات والفوضوية، والعودة إلى المنزل التى كانت تعنى صالة الكنيسة والنادى الاجتماعى المحلى، وكان الاختلاف الوحيد أنهم ارتدوا تلك الملابس الشبابية وقصوا شعورهم لكن... حسنا، ولكن هذا الشكل يعنى أن أهاليهم قد قاموا- حقًا- بعمل جيد من أجلهم. ذلك هو كل شىء.

أخذت الأحداث فى التصاعد بحضور المزيد من الأشخاص، وكان لدىّ القليل من السجائر، وقد ظل تار يأتى ويذهب، وقد التفت فى لحظة لأجدنى بجانب سلطانية السلطة أخدم نفسى، فأخذت ألتفت فى دهشة، وكانوا يقولون إنهم قد أعجبوا بهذه الخطة وسيقومون بافتتاح المزيد من الساحات، قلت: "لماذا؟ فنحن لدينا واحدة".

- "لا، أنت لم تفهمى، إننا نفعل ذلك فقط لتحرير كل ما يمكن أن نجده من الأشخاص المتميزين..." واصطحبت أحد أصدقاء ريتشارد لرؤية ذلك المكان فقام

بفحص المنزل وقرر أنه قديم كبير، ولكنه ممتاز بالطبع، وقد فرح ريتشارد بـــذلك – كالمعتاد، وكان تار متطوعًا كعادته، وكانوا يخططون- بالفعل- للذهاب وافتتاح تلك الساحة فى هذه الليلة.

قلت: "لدينا حفلة"، أقصد لماذا قضينا اليـــوم كلـــه فـــى إعـــداد الـــسلطات والبسكويتات ثم نترك ذلك كله ونخرج؟ لماذا كل هذه البيرة والنبيذ؟ لقد كانت آخر حفلة لى على الأرض فى عالم الحرية ويتركونها ويخرجون لافتتاح ساحة أخرى.

أما تار فقد ضاع تمامًا، كان ينحنى ويبتسم، واعتقدت فجأة أن شيئا مـــا قـــد حدث له، كان يبدو للناظرين كأن وجهه يتمدد وأسنانه تهرب مـــن فمـــه، وكانـــت عيناه تدوران.

قلت: "يبدو أنك منهك حقًا، هل أنت على ما يرام؟ هل أنت على مـــا يـــرام؟" ولكنه تركنى وذهب كما قال لتنظيـــم اجتمـــاع لجنة أو لفعل شيء من هذا القبيل.

وبدأت فى تناول المزيد من السلطة وحدثت نفسى، ذلك غير حقيقـــى؟ هـــذه الساحة، إنهم يفرون من حفلتهم.

ثم أخذ تار فى متابعتى بشأن الرجوع إلى أهلى: "هل هناك شيء خطأ؟ مـــا المشكلة يا جيما؟".

كنت سأرجع بالفعل، "وقلت له": اصمت، لم لا تتركنى بمفردى؟."

أخذت أدخن وأسكب العصير على رقبتى بمنتهى السرعة، لأننى لم أستطع أن أفكر فى عمل أى شيء آخر، لم أستطع إيقاف نفسى من فعل ذلك.

وتوالى حضور الناس، وبدأت فى الشعور بالتحسن، شخص ما أتى بباقة... الله وحده يعلم ما الذى كان بها... ويا للهول كل شيء مـــر بـــسرعة مذهلـــة و...

حسناً، يمكننى القول أننى كنت- حقيقة- سأشعر بالغثيان إذا استمر الأمـــر علـــى هذه الحال.

امتلأ المكان فجأة، فجأة لم أستطع الحركة، كل شخص كان يصرخ ويصيح ويرقص، أحسست أننى غريبة تمامًا، كان لدىَّ رقصة لكن رأسى ظلــت تــؤلمنى وتدور أسرع فأسرع، ثم تناولت عدة سجائر و... و...، لذا صعدت إلـــى الطـــابق العلوى وجلست فى التواليت لبرهة، ثم أراد شخص ما الدخول، لـــذا ذهبـــت إلـــى حجرة النوم، ورقدت لعدة دقائق قليلة على الـــسرير حتـــى كـــفـــت رأســـى عن الدوران.

كان ذلك رائعًا، كما لو أن شخصًا ما يدعك بطنى ويقلبها بملعقـــة بمنتهـــى السرعة، مكثت هناك لفترة طويلة منتظرة أن يتوقف ذلك الشعور، وعندما أحسست بأننى قادرة على الجلوس مرة أخرى، كانت الموسيقى لا تزال تصدح فى الطـــابق الأسفل، ولكن لم يكن لدىَّ أية فكرة كم كان الوقت متأخرًا، كنـــت لا أزال أحـــس بـــ... حسناً، وصلت الأمور إلى أقصى درجة، لم أكـــن أشـــعر بـــأننى ســـكرى أو تائهة، ولكن لا تزال هناك هذه الفقاعات فى معدتى، وكنت أحس أنها يمكـــن أن تخرج فى أى وقت محدثة فرقعة ضخمة.

استيقظت ونظرت من النافذة، كل ما أذكره أن كل شىء كان يبدو برتقاليًـــا ويشبه القطط، وكانت الأشياء تزحف فى كل مكان، وتختفى خلف صندوق القمامة، وكانت أعمدة النور مضاءة، أنا لا أقصد أننى استطعت رؤيتها، ولكنها كانت هناك خارج طرف عينى، فنظرت فى الغرفة وتفحصت كل الأشياء، الدواليب والمكاتب وحتى إطار النافذة، لقد بدت – جميعًا- كما لو كانت تنظر إلى- كمـــا لـــو كـــانوا

أحياءً، كنت أفكر ما الذى يحدث؟ وفجأة أدركت أننى قد قذفت بالحجارة، ذلك مـــا كان، لقد تم رجمى وإسقاطى من شجرتى...

وفكرت فى الكيك الناعم والكعك بالطبع، وطلب منى ريتشارد ألا آكل كثيرًا واعتقدت أنه كان يشعر بالقرف، كان يبدو كذلك، ولكنه لم يكن كذلك بالفعل، أكلت عشر مرات والتهمت طعامًا كثيرًا، والآن أنا أحس أنـــى أطيـــر، أعتقـــد، واو، أن هناك شيئًا ما، على الرغم من أننى لم أكن مستمتعة كثيــرًا بـــذلك فـــإننى نزلـــت لأعرف ما الـــذى كان يحدث.

كان أسفل السلم خاليا من الناس بعض الشيء، وكانت مجموعات قليلة مـــن الضيوف جالسة على الأرض تتحدث، أنـــاس غريبـــة جالـــسون علـــى كراســـى يتجادلون، يتصامدون فى الحديث، نظرت حولى ولكن تار لم يكن موجـــودًا علـــى مرمى النظر، وذهبت إلى المطبخ لإحضار بعض الماء، وتناولت ملعقة من الأرز كان مذاقها جيدًا، وبدأت فى الأكل وأخذت آكل وآكل وآكل، وعندما انتهيت وانتهى كل شيء تناولت كوبًا آخر من المشروب وعدت إلى غرفة الجلوس.

حضر بعض الأشخاص الجدد وكان هناك فتى واقفًـــا يتحـــدث إلـــى عـــدة أشخاص من الساحة وبدا مختلفًا عن الآخرين، وكانت هناك هذه الفتاة التى كانـــت ترقص، أقصد كانت تقوم بعمل عدة أشياء وترقص فى نفس الوقت، وقـــد ذهبـــت ووضعت شريط كاسيت جديدًا ووضعت أغنية أفضل من الشريط القديم، ثم ابتعدت وأخذت سيجارة بها لفافة مخدرات من أحد الأشخاص، كانت تقوم بعمل الكثير من الأشياء وهى تتحرك مع الموسيقى طوال الوقت، ترقص وتهـــز رأســـها، كانـــت تتحرك فقط مع الموسيقى، لم تكن تستطيع أن تظل ثابتة فى مكانها، وكانت تبتـــسم طوال الوقت، ليس لأى فرد لكن لنفسها فقط وللوقت الجيد الذى كانت تحظى بـــه،

وكان فمها أوسع من فمى، وعيناها تحولت إلى اللون الأسود، وكان لديها غمزتان صغيرتان سعيدتان فى وجهها تبدوان حين تبتسم، وقد بدت جميلة حقًا وهي ترقص مع صديقها وتقبله وتربت عليه، يمكنكم القول إنه كان فخورًا بها كما لو كان يحتسى كوبًا من عصير القمر.

لم أستطع أن أبعد عينى عنها، وكانت تبدو كما لو كانت فى غرفة أخرى، وكانت مختلفة عن الجميع.

بعد قليل لاحظت ما الذى كانت ترتديه و... أواه... لم أستطع – فى البداية – أن أصدق عيني، نظرت حولى، ورأيت أن جميع الفتية كانوا يتابعونها بنظراتهم، وكدت أموت من الضحك لأن الأمر كان ملحوظًا وفى نفس الوقت...

كانت مرتدية هذه الشبكة الرقيقة السوداء كجاكت، كانت كذلك، وكان الأمر يستدعى فترة لتتحقق منها، من النظرة الأولى التى تنظرون فيها إلى هذه البذلة كانت تبدو مجرد ملابس رقيقة، ثم– فجأة– تجحظ عيناك عند النظر إليها، كانت تبدو عارية كطفل، أقصد أنها عندما كانت تنحنى لتبدل شريط كاسيت جديد كان يمكنك رؤية أجزاء من جسمها عارية.

كان الجميع يراقبونها، ليس فقط لأنها كانت أقل أو أكثر عريًا، ولكن لأن لديها تلك القدرة، كان الناس يتحدثون عن هذا وذاك، ولكنهم كانوا يتظاهرون بذلك فقط، فقد كانت هى كل ما يحدث فى الغرفة، لم يستطع بعضهم تحمل مراقبتها مثلى، فاستمروا فى الحديث وهم يختلسون النظر إليها بلمحات سريعة من أركان أعينهم، بعضهم كان يحدق فى جسدها بأفواه فاغرة كأبواب الثلاجات، وكان الجميع ينظرون، كانت تجذب الأنظار، وتتحرك وتدور هنا وهناك ولا تقوم إلا بالقليل من الأعمال والتصرفات، تعطى ملحوظات قليلة للموجودين، وتضحك على النكات،

وكان فتاها– مرحًا وساخرًا وشكل الموهيكان من الهنود الحمر، وكان لديه على الأقل سنان من أسنانه مفقودتين، وكان يحبها كما هى.

حصلت على لفافة مخدر من أحد الأشخاص وذهبت إليه حيث تشاركا فى تدخينها، ثم عادت لما كانت عليه مرة أخرى، وكان فتاها يتصرف كما لو أنها كانت ترتدى ملابس جينز أو تى – شيرت، وفيما عدا ذلك فقد لمس فتاها مؤخرتها عدة مرات، لم يبد أحد أى اعتراض على ما كانت تأخذه منهم من مشروبات أو سجائر، لكنها لو كانت أى شخص فربما كانوا سيعترضون، ولكن معها هى لم يكن أحد يعترض؛ لأن الأمر كان محببًا بالنسبة لهم أو ربما لأنهم لم يهتموا لشكوى من تصرفاتها معهم.

هل سبق أن رأيت أحدًا ما وتمنيت أن تكون مكانه أو أن تكون مثله؟ لقد تمنيت أن أبدو مثلها، وأردت أن أفكر مثلها، وأن يكون لى نفس التأثير الذى تحدثه على الناس... أنتم تعلمون! هذه الفتاة، لا تبالى بأى شىء، كل القواعد، كل الأشياء التى تتمنون أن تفعلوها افعلوها، وكل الأشياء التى تريدون ألا تفعلوها لا تفعلوها، كل شىء كان يتم فعله أو عدم فعله وفقًا لرغبتها هى وحدها، لم يكن مطلوبًا منها أن تقول من فضلك أو شكرًا، لم يكن من الممكن تقديم أى شىء لها لأنه كان مملوكًا لها فعلاً، لقد كانت تعبر عن نفسها الحقيقية مثلما تريد أن تكون أكثر من أى شخص آخر، وعندما تفحصتها بعينى أدركت أننى أريد أن أكون نفسى بقدر ما هى نفسها، (أريد أن أتحقق وأحقق ذلك الاستقلال مثلها تمامًا).

لم يكن لدىَّ الشجاعة للتحدث معها، ولكنها أشعرتنى بالسعادة بمجرد مراقبتى لها؛ فقط لأنها جعلتنى أعرف أنه يمكنك أن تكون كذلك، استطاع شخص ما أن يفعل ذلك وأن يكون هو ذاته كما يريد بالفعل.

وقفت عند الباب أراقبها لبرهة قصيرة، كنت شديدة الاستثارة، ثــم شــعرت أننى أريد التحدث إلى أى شخص فذهبت للبحث عن تار، ولكنه لم يكن موجــودًا، فذهبت وجلست على كرسى قريبًا من فتاها الذى كان واحدًا من سكان الساحة.

سألته: "أين تار؟".

- "لا أعرف".

أخذت رشفة وقلت لنفسى "اللعنة"، لقد تركنى هنا، لقد تركنى هنــا ليــذهب ويقوم بأعمال فوضوية، فقمت وتناولت شرابًا آخر، وجلست بعيدًا أفكر فيه، وذلك بسبب عدم وجود أى شيء آخر أستطيع فعله، أو شخص آخر لأكون معه أو مكان آخر لأذهب إليه.

كانت الفتاة هناك ترقص وتتحرك هنا وهناك وتهــز رأســها علــى أنغــام الموسيقى أمامى، قالت لى: "مرحى كيف حال الحفلة معك؟"، وكأنهــا لا تــستطيع تصور أن هناك من لا يحظى بوقت طيب.

قلت: "عظيم"، ثم بدأت فى أخذ رشفة أخرى، وأخذت أضحك والمشروب فى فمى، فسكبته على نفسى، رجعت برأسى إلى الخلف وعاودت الضحك، ثم حاولــت أن أهدأ كى لا أبدو حمقاء.

قالت: "عظيم حقًا".

ابتسمت لها محاولة أن أبدو كما لو أننى أحظى بوقت طيب، ومــدت يــديها وقالت: "هل يمكننى الحصول على بعض من ذلك؟".

- "بالتأكيد".

لقد كنت– كما تعرفون... واو، إنها تعتقد أن مشروبى يستحق أن يُشرب، أخذته، وذهبت تتهادى، أحسست لبرهة أننى عارية، جالسة بدون مشروبى، فكرت ياله من عطف، أقصد، إنها لا تشعر بالعريِ حتى لو كانت بدون ملابس ترتديها، راقبتها بعصبية وهى ترقص حاملة الكوب الملىء بمشروبى، شمته، ولكنها لم تشرب منه أى شيء، تركته على الطاولة، وبدأت فى التقاط بعض الفناجين من على الأرض، وأخذت ترصهم معًا لعمل صف طويل.

قالت: "قوة" وكانت تلقى بهم إلى مجموعة من الأشخاص جالسين على الأرض كما لو كانوا شعاع ضوء أو شيئًا من هذا القبيل.

ضحكت قائلة: "قو، قو، قوة..." وألقت بالفناجين فى السلة وابتعدت للرقص، وتموج جسدها مع الإيقاع، وابتسم الناس الذين كانوا جالسين على الأرض، ولا يمكن القول بأنها كانت تثيرهم لأنها اعتقدت أنهم كانوا فى حاجة إلى قوة أو لأنها كان لديها كل تلك القوة التى كانت تعطيها لهم.

نهضت وذهبت إلى المطبخ لإعداد شراب آخر، وكنت أقوم بصبه عندما أتت– مرة أخرى– من خلفى، قالت: "أنت لست فى حاجة لهذا الشىء، ما الذى جعلك تعتقدين أنك فى حاجة لهذا الشىء؟" لم تكن تبتسم، نظرت إليها فى دهشة.

اقتربت منى وأخذت مشروبى: "لماذا تعتقدين أننى أخذت منك ذلك الشراب فى آخر مرة؟".

هززت رأسى "أنا أعرف، أنا أعرف. أنا لا أعرف ما الذى كنت أفعله".

قالت: "أنت تفعلين الشىء الصواب. أتعرفين ذلك؟".

يبدو أنها كانت تعرف كل شيء عنى بالفعل، وقفت مشدوهة أحملق كالحمقاء وأنا ممسكة برأسي وأقول: "أنا أعرف... أعرف... أعرف..." ولم أكن أعرف أى شيء بالطبع.

فجأة وضعت ذراعيها حولي وحضنتني، جذبتني قريبًا منها، حضنتها فقط وأحسست بدموعي تهطل، كنت أعتقد أنني أحظى بوقت طيب، وكان عليها أن تلمسني- فقط- لكي أستغرق في البكاء.

دخل بعض الأشخاص المطبخ ورأونا في هذا الوضع ثم خرجوا، لم تقل شيئًا، بعد برهة أخذت تتحرك مرة أخرى مع الموسيقى، وهي تحضنني بشدة، وأدركت أنها قد توقفت فقط لكي تحضنني، كنت أول شيء يجعلها تتوقف في تلك الليلة، وبدأت في التحرك مرة أخرى، ووقفنا معًا لفترة أطول نتمايل مع الموسيقى.

قالت: "أليس ذلك عظيمًا؟ أليس ذلك عظيمًا؟ الموسيقى هي المخدر الوحيد... نعم..." وضعت رأسي على كتفها، وحاولت ألا أفكر في أى شيء، لم أعرف ماذا كانت تفعل، ربما كانت تشركني في سحرها، واستطعت أن أشعر بتلك الفقاعات في معدتي تذوب وتتلاشى.

قالت: "هيا لنرى ماذا يحدث..." وابتعدت متجهة نحو الباب، وكانت لا تزال ترقص أثناء تحركها، وتبعتها، جلست على الكنبة، وكانت تلك الفتاة- الفتاة السحرية- لا تزال ترقص في الغرفة، ترقص أثناء سيرها، وتقبل فتاها في أذنه، ترقص وهي تقدم مشروبًا لأى شخص يقابلها، ترقص وهي تدفع شخصًا ما إلى الأعلى... يا إلهي، لقد انسكب المشروب على الأرض وعليها، ضحك الجميع، حتى تلك الفتاة التى انسكب مشروبها ضحكت، الفتاة السحرية، أخذت تلعق البلل

الذى على ذراعها ونظرت إلىّ كما لو أنها تقول لى انظرى، لا يجب عليك أن تتصرفى مثلهم، لا ينبغى عليك أن تتصرفى مثل أحد آخر، ثم أخذت لفافة مخدر من أصابع أحد الأشخاص وجاءت لتجلس بجانبى.

تحدثنا فى كل المواضيع، أخذت بعضًا من الوسائد المحشوة للجلوس عليها، ولكنها نظرت إلىّ وأخذتها بعيدًا عنى، وضحكت قائلة: "أنت لا تحتاجين لذلك أيضًا"، حتى وهى جالسة كانت ترقص، إنها لم تحاول أنها تسألنى عن أى شىء خاص بى، أو من أين أتيت، تحدثت عن الموسيقى والفرق الموسيقية وتحدثت عن نفسها وعن صديقها، وعن ماهيته وكم هو مسل.

قالت: "نعم، إنه يلتزم جانب الصواب"، وهى تشير برأسها وتنفث الدخان لأسفل، قلت لها: "أنا لا أعرف حتى ما الجانب الصواب؟" وأخذت فى الضحك مرة أخرى.

- "الجانب الصواب، جانبك، جانبى، كما تعرفين". لم أعرف ما إذا كانت تتحدث عن العالم أو عن هذه الحجرة أو تتحدث عنا، سألتها ما إذا كانت تعرف أفراد الشلة جيدًا، قالت: "لا".

يبدو أن ريتشارد قد ساعدهم فى افتتاح ساحتهم منذ ستة أشهر مضت، وقالت: "إنه لا يهتم لأى شىء. ولكن بقيتهم... يلعبون اللعبة الخاسرة. إنهم يلعبون نفس اللعبة مثل لعبة البنوك والأعمال الكبرى...".

قلت: "لا... سوف يخرجون غدًا ويقومون بتصميغ الأقفال"، وكنت فخورة لاعتقادى أنها لم تكن تعرف ذلك، ولكنها ضحكت فقط، ضحكت وهزت رأسها وقالت: "خبطة ضخمة، وماذا بعد؟ البنوك لا تهتمى لذلك، ولماذا ذلك؟ "

- "سيدخلون من الأبواب الخلفية، ويستدعون صانعى الأقفال، ويحملون عملاءهم بالمصاريف بدون أى مشكلات، استمعى إلىّ، فأنا نفسى سيدة أعمال".

ضحكت من هذه الفكرة، ثم أكملت "اسمعى إنهم يعيشون فى الساحات ويحبون أن يعتقدوا أنهم نجحوا فى فعل ذلك، ولكنهم لا يعرفون حتى ما الذى يفكرون فيه، إنهم سيكونون بالخارج مع أنابيبهم الضخمة المملوءة بالصمغ، وفى يوم الاثنين أو الثلاثاء سيعودون إلى الجامعات ليتأكدوا أنهم قد نجحوا فى اختباراتهم وأن البنك سوف يمنحهم الوظائف الكبيرة بعد تخرجهم من الجامعة خلال سنتين أو عدة سنوات...، وخلال خمس سنوات من الآن على الأكثر سيعملون فى نفس البنك وسيقلبون وجوههم ويغضبون لأن مرتباتهم ليست كبيرة بشكل كاف، وربما يقومون بتصميغ البنوك مرة أخرى. نعم... صمغ شديد من أجل مبالغ أضخم".

ضحكت وأخذت تتقلب على الكنبة قائلة: "هذه لعبة الأعمال الكبيرة؟، أنا لدىَّ عملى الخاص الذى أمارسه، شكرًا".

توقفت الموسيقى فقالت: "هل هم مجانين أم ماذا؟"، ثم نهضت وذهبت لترتدى المزيد من الملابس.

تحدثنا وتحدثنا... لا أدرى ما المدة التى قضيناها فى الحديث معًا، لكننى أحسست بأننى قد أخذت أشعر بتحسن وتحسن، جاء صديقها "روب" وجلس معنا، وكان كما ذكرت من قبل لطيفًا حقًا، ولكنه بدا كما لو كان يمكن أن يقطع رقبتك أو يذبحك من عنقك، وذلك من أجل قرش واحد فقط، برغم أنه كان دافئًا جدًا. وعظيمًا حقًا...

كانت "للى"... هى الأساس، لقد فعلت ما فعلته، هربت من منزلها عندما كانت فى الثانية عشرة، هل يمكنكم تخيل ذلك؟ اعتقدت، واو، تخيل أنك متأكد مما تريده، يمكنك الفرار فى سن الثانية عشرة، وأنا أعتقد أننى قد فعلت شيئًا ما وأنا فى الرابعة عشرة، لقد كانت أكثر واقعية من أى شخص قابلته.

بدأت أعتقد أننى كنت على خطأ... تعرفون أننى كنت مجرد فتاة غبية، ذات أفكار كبيرة فقط مثل أمى وأبى، وكان فونى وريتشارد وتار قد حققوا ذلك، ولكن كان هناك هذه الشخصية المثيرة التى تتحدث إلىّ وأحسست، واو! هذا أنا جيما بورجان وهى فى مكان ما...

التفت لتار فيما بعد، وكان ينبغى علىّ أن أدرك أنه لن يفارقنى أو يضعنى فى تلك الورطة الكبيرة.

قال: "أوه، حسنًا، ها أنت ذا"، وكان يبتسم هذه الابتسامة الكبيرة، ولكننى كنت فى كوكب آخر وقتها، أضاف قائلاً: "لقد كنا بالخارج لإلقاء نظرة على الساحة الجديدة، ولكنك كنت نائمة، هل أنت بخير؟"، وتحول وجهه إلى الجدية التامة لمدة ثانية، ثم رأيت عينيه تتابع للى وهى جالسة بجانبى... كانت مرتدية بذلة من الخيوط تظهر نصف كتفها وحلمات صدرها، وتحول بوجهه إلىّ وحملق فى وجهى بتركيز.

قلت: "هذه للى".

أومأ تار وقال: "هه، هاى، أهلاً".

واستطعت أن أراه ينظر بعصبية تجاه "روب"، وكان روب مؤدبًا دائمًا، أكثر أدبًا من أى شخص آخر، كله ابتسامات، وسؤال بأدب، وشكر للناس، ولكن يمكنك القول أنه كان يجتاز معارك شديدة وسيئة حقًا.

ظننت أن تار المسكين كان يتزين لكى يصبح مظهره جيدًا ولكى يحظى بالنظر إلىٰ صدر للى، ولكنه لم يرد أن يغضب روب، وكان روب سيعطيه تلك البذلة ذات الخيوط الرقيقة إذا طلبها.

ابتسم روب له ابتسامة كبيرة، ووقف لتحيته بيده، وقد جعل ذلك تار المسكين أكثر عصبية عن ذى قبل.

قال تار: "نعم، حقًا من الجيد أن أقابلك".

قالت للى: "هذا حذاء بوت جيد حقًا"، وهى تومئ برأسها إلى الأسفل ناظرة إلى قدميه.

نظر تار بشك إلى قدميه وإلى حذائه، لم يكن حذاءً خاصًا، لكنه كان يلمع بجاذبية، وكان قد قضى وقتًا طويلا فى تلميعه، لاحظت ذلك من قبل.

قال "هل هو حقًا كذلك؟" محاولاً اختبار ما إذا كانت تسخر منه أم لا.

قالت للى: "نعم... إنه يعجبنى".

- "شكرًا".

وقف تار وقد بدا مرتبكًا وحزينًا بينما أغلقت للى عينيها وتمايلت برأسها. يالتار المسكين، أحسست بالأسى من أجله، لقد كانوا يسخرون منه فقط، وقفت وأخذت ذراعه وقلت لهم: "إنه الفتى الذى هربت معه".

أجابت للى: "أوه، حسنًا... نعم هذا عظيم حقًا، كل فرد ينبغى أن يفر، لقد فعلت الشىء الصواب، لقد فعلتَ الشىء الصواب لجيما أيضًا".

ابتسم تار وقد بدا على وجهه الشك، فقد كانوا يؤكدون له حتى الآن أنني كان يجب أن أكون الآن موجودة فى المنزل مع أبى وأمى... والآن ها هى هذه الفتاة الظريفة العارية تخبره أن كل ما فعله كان صوابًا.

قلت: "نعم، إن لم يكن ذلك من أجل تار فإننى كنت لم أزل أعيش فى منزلى مع والدىّ".

كانت للى جالسة هناك تراقب تار، وكنت منزعجة لأننى اعتقدت أنها ربما تكون قد صممت أن تكون ضده. لم يكن لدىَّ أى فكرة على الإطلاق عن الجانب الذى قرر تار اتخاذه، ولكننى أردته أن يكون فى الجانب الصحيح أيضًا.

لقد مر تار بوقت سيئ- حقًا- فى منزله، فقد كان أبوه يضربه باستمرار.

قال روب "نعم، حقًا... لقد ترك ذلك الوحش".

راقبت للى وهى تنظر إليه، ثم غمزت لى، وقالت: "سوف أثنى عليه...".

قفزت إلى أعلى وأمسكته من عنقه وأبقت بنفسها عليه وقالت: "حسنًا فعلت يا رجل، لقد حطمت الباب... عبقرى، عبقرى، نعم!".

وقف تار ويداه ترتعشان فى عصبية وهما ملتفتان حول ظهرها العارى، ونظر فى استغراب إلى روب الذى وقف وأخذ يربت على عنقه وظهره قائلاً: "عبقرى... أنا أحبك يا رجل، أنا أحبك".

قلت: "كل شىء على ما يرام يا تار..." لأنه بدا منزعجًا من ذلك.

تركته للى يذهب ونظرت إلى الغرفة، كان الجميع يحملقون فينا.

قالت: "دعك من ذلك. لنذهب، هيا... هذا المكان ميت"، قالت ذلك بـــصوت مرتفع لذا عرف الجميع رأيها فيهم.

قال تار: "لكن... كل أغراضنا هنا".

- "ستكون هناك فى الغد، أو يمكننا أن نحضر لكما أغراضنا جديدة...".

قال روب وهو يضحك: "إن ذلك حقيقى، اكتب قائمة بالأشياء التى تريدها"، وتوجهنا جميعًا نحو الباب، ولمحت فونى بطرف عينىّ وهى تحدق نحوى غاضبة، قلت فى نفسى نعم! لأننى نجحت فى فعلها، لقد ذهبت بعيدًا... ووقفت تحملق فينـــا بشدة كما لو كانت تمثالا شمعيا أثناء خروجنا من الباب، ونحن نـسير فـــى خـــط مستقيم كما لو كنا فى السيرك.

(١١)

تـــار

تم ذلك كله بمنتهى السرعة، كنت ألهث وأختطف وأهبش، ولكننى لم أمسك بأى شيء على الإطلاق.

كانت جيما مستثارة بشدة، وكانت هى وللى تتحدثان وتتعانقان، لم تكن تهتم لأى شيء من أمورى سواء كان خاصا بالساحة أو بأصدقائى الجدد، لكنها تركتنى وراء ظهرها، فقدت التواصل معهم جميعًا، وبدت جيما سعيدة، أسعد مما كانت معى من قبل، ولكنها كانت تتصرف بهستيرية نوعًا ما فى نفس الوقت، وقد جعلنى ذلك أعتقد أنها قد تعود إلىَّ فى الصباح.

كانت جيما منزعجة بعض الشيء، وكانت تسير بنفس الطريقة التى كانت تسير بها فى شوارع بريستول، أما للى فقد كانت شبه عارية لا ترتدى أى شيء تقريبًا عدا هذه البذلة من الخيوط السوداء، كنت أشعر أنهما مثل القطط، وكنت على يقين من أننا قد ارتبطنا بالذهاب إلى مسرحية أو الدخول فى مناقشة أو شيء ما من هذا القبيل، بدأ بعض الأشخاص الذين كانوا يشربون يصرخون فينا، ولكن الأمر مر بسلام وأصبح كل شيء على ما يرام، وبدأت أشعر بجنون العظمة، وكان الشخص الوحيد الذى أزعجه ذلك الشعور هو أنا نفسى.

كادت جيما ألا تشعر بوجودي مطلقًا، فقد كانت مستثارة جدًا، ولكن للى ظلت تنظر إلى الخلف؛ إلىّ، واعتقدت أنها كانت تتعجب وتسأل نفسها ما الخطأ الموجود فى؟ ثم بدأوا فى الحديث عنى، علمت ذلك لأنهم استمروا فى توجيه بعض اللمحات الخاطفة نحوى، واستمر ذلك لبرهة، ثم عادت للى وأخذت بذراعى.

قالت: "احك لى عن أمك".

نظرت إلى جيما، وكنت محرجًا لأن هذا الأمر كان خاصًا جدًا بالنسبة لى، ولكن جيما قالت: "استمر، أخبرها، أنى موافقة على ذلك، أخبرها... أخبرها...".

لذا حاولت... لكن ذلك كان أمرًا صعبًا للغاية فأنا لا أعرفهم، وظلت جيما تدور وتقفز، لقد أرادت مشاركة للى فى كل شيء سواء كان ذلك خاصًا بها أو بغيرها، وكانت تتحدث عن والدى كما لو كانا زوجًا من الوحوش، وأنا لم أحب ذلك الحديث عنهما بالطبع، خاصة بالنسبة لوالدتى التى لم يكن الأمر بيدها، إنها ليست كما تبدو، وقد فعلت ما فعلته رغمًا عنها، ليس لأنها قد أرادت أن تفعل ذلك بالفعل، حتى أبى كان كذلك أيضًا، إنهما لم يتمكنا فقط من التوافق معى، لقد كانا مرتبطين بعضهما ببعض، لكنهما لم يستطيعا فهمى أو التوافق معى، ربما لم يكن إنجاب الأطفال أمرًا مناسبًا بالنسبة لهما، هذا هو كل ما فى الأمر.

واستمرت للى فى الهمس مع جيما، لم تقل شيئًا كثيرًا، استمعت إليها فقط، لكنى لم أعرف ما الذى فعلته بها.

وكان المكان الذى يعيشون فيه عبارة عن منزل كبير وقديم على طريق المدينة، قام ريتشارد بفتحه لهما، وأعتقد أنه قد فتحه من قبل لنصف الثلل الموجودة فى بريستول، وكان عبارة عن شقة فى الدور الأرضى، وهذه الحديقة الكبيرة، كان

داخلها يسوده الفوضى ومملوءًا بأشياء كثيرة من كل الأنـــواع: كتـــب، ملابـــس، أدوات، وكان هناك نصف موتور مفكوكًا إلى قطع صغيرة علـــى الأرض، وكـــان روب دائمًا يركب المحركات أو يفكها.

وضعت للى الغلاية على النار، وشغلت بعض الموسيقى، وبدأت فى الحديث مع روب، وكان ذلك حسنًا تمامًا، وكان روب ظريفًا وغريبًا بعض الشيء، كـــان لديه سنان أماميتـــان مفقـــودتان فى فمه، وقد بدا كالمضروب على وجهه، ولكنـــه كان مهذبًا جدًا ومؤدبًا حقًا، فقط هذه الفجوة التى كانت فى فمه تعطيك انطباعًا بأنه يمكن أن يكون شخصًا حقيرًا عندما يرغب هو أن يعطيك ذلك الانطباع عن نفسه.

أخذت جيما وللى فى إنارة الشموع، وبدا ذلك شيئًا جميلاً كبدايـــة، ولكننـــى احترت لأنهما بدأتا فى إحضار المزيد والمزيد من الشموع التى يصعب حـــصرها، فبدت كأنها غير متناهية العدد، وقد ظلت للى تحضر المزيد منها من الدولاب، وبدا الأمر أغرب وأغرب، حتى روب بدا مندهشًا، لم يكن لديه فكرة من أين أتت بكـــل هذه الشموع بالرغم من إقامته معها، وكنا نضحك ونميل برءوسنا فى كـــل مـــرة تخرجان فيها صندوقًا آخر من الشموع.

قال روب: "مناسبة كبيرة خاصة"، وبدأ فى إخبارى عن المحرك الذى على الأرض والذى وجده فى المخلفات، كان موتور موتوســيكل، واعتقـــد روب أنـــه يستطيع القيام بإصلاحه وبيعه، كان قد درس المحركات عندما كان صغيرًا، وكانت طفولته غريبة، فقد كانت أمه تسكن فى مقطورة فـــى الـــشتاء وكـــانوا يركبـــون القطارات ويسافرون إلى المهرجانات والاحتفالات فى جميـــع أنحـــاء البلـــد فـــى الصيف، وما إلى ذلك من الأمور، لذا كان يعرف بالطبع كيفية إصلاح المحركـــات

منذ كان فى الثامنة من عمره، لأن كـل شخص فى أسرته كـان يـستطيع دائمًـا إصلاح السيارات أو فكها إلى قطع والقيام بعمل الميكانيكى بنفسه.

قالت للى: "نعم موتور هوندا كبير ألف سى سى، برم، برم، الزعيم الكبيـر يزور الأماكن".

كانت تغيظه، ولكنه ضحك فقط، لم يكن يهتم لذلك على الإطلاق، امـتلأت الحجرة بضوء الشموع، وكنت خائفًا من حدوث حريق، وكان هناك بعض الشموع الموجودة على الطاولة بين الأطباق والأوانى الخاصة بوجبتنـا الأخيـرة، ربمـا عشرون أو ثلاثون شمعة أخرى مشتعلة، وكان الشمع موجودًا فى كل مكان علـى الأرض وملتصقًا بالكتب والأرفف والطاولات وحتى أعلى الأبواب، وأصبح الجـو ساخنًا جدًا هناك.

قال روب: "إنه تجمع الشموع".

قالت للى: "الشموع سحر وأنا أجمع السحر كله".

وعندما أشعلت للى الشموع كلها... لا أدرى كيف أخبرك عما حـدث، لقـد جاءت وجذبتنى إلى قدمى جيما التى كانت تبتسم لى.

قالت للى: "لقد فعلتها".

- " فعلت ماذا؟".

- "لقد كانوا يريدون تحويلك إلى حيوان، ولكنك حطمت ذلك، لقـد ابتعـدت عنهم وتركتهم".

قلت: "نعم".

كنت مثل الأحمق واقفًا هناك أحملق فى الشموع متعجبًا ومتسائلاً عما يحدث.

صرخت للى فجأة: "إنك رجل معدنى لعين من التيتانيوم! نعم... تار الرجل التيتانيوم".

جذبتنى من ذراعى ورفعته فى الهواء، حاولت إنزاله ولكنها دفعته مرة أخرى لأعلى وبدأت فى الرقص حولى.

قال روب مبتسمًا... "نعم. ذلك صحيح يا رجل، أنت تذهب بعيدًا". ثم هز رأسه.

صاحت جيما: "إنها تقصد ذلك يا تار، لقد فعلت أكثر الأشياء دهشة، لقد فعلتها، لقد فعلتها...".

قالت للى: "لا أعرف كيف استطعت أن تكون قويًا هكذا وحققت كل ذلك، لقد فعلتها يا رجل، وها أنت ذا وسيكون باقى حياتك **عظيمًا**، وأنت مثير حقًا وأنا أحبك يا رجل، أنا أحبك مممم... نعم، أنا لا أعرف كيف يمكن مقاومتك، إنك **عظيم** جدًا"، ثم أمسكتنى وجذبت رأسى إلى أسفل، وبدأت فى تقبيلى ودفعت نفسها نحوى، كما لو كنت نجمًا سينمائيًا شعبيًا أو شيئًا من هذا القبيل، لم أعلم ماذا أفعل... أقصد لقد كانت شبه عارية، وكان روب موجودًا، ولكنه كان ودودًا، وكذلك كانت جيما تهتف أيضًا، لذا قمت بتقبيل للى ردًا على تقبيلها لى، ودعكت جسدها بيدى وكان أغلب ذلك فى...

قالت للى: "هم هم أنت جذاب وقوى جدًا، أنت الرجل التيتانيوم".

قلت فى نفسى: نعم... لأنى فعلتها، أليس كذلك؟.

لقد تعودت أن أظن أنه لم يكن لدى القوة الكافية، لقد اعتـدت علـى هـذه الطريقة فى التفكير، وكنت أشعر بأننى مذنب وضعيف جذا وكأننى شخص آخـر يفر هاربًا، لكن... أقصد لا عجب فى أن الخروج من تلك المـشاعر والأحاسـيس كان أمرًا صعبًا، لقد حطمنى ذلك الشعور تقريبًا، ولكننى فعلت ذلـك، لقـد ابتعـدت عنهم، لقد فعلتها...

قالت: "لقد فعلتها، لقد فعلتها..."

اندهشت، لم أدرك ذلك من قبل، لقد فعلتها– لقد ابتعدت...

– "نعم".

(١٢)

روب

حدث ذلك فى نهاية الأسبوع، لم أكن مهتمًا لمعرفة اليوم، فـــأى يـــوم هـــو مجرد يوم فى نهاية الأمر، وكنا قد غادرنا الفراش، ربما فى الواحدة تمامًا، وكـــان لدىَّ بعض العمل الذى يجب علىَّ أن أنهيه، ولكن فى تلك اللحظـــة كـــان مجـــرد الجلوس والاستماع إلى الموسيقى ومراقبة الناس يعد أمرًا جيدًا، لقد قضيت نـــصف حياتى فى ذلك.

استيقظت جيما من نومها بدت كالغريبة، واستمرت حتى أحست بالمكان، ثم أخذت تفرقع أصابع قدميها وهى تبتسم، شغلت للى الموسيقى، وذهبت إلـــى جيمـــا وأعطتها قبلة كبيرة، وسألتها: "هل أخبرتيه؟".

فردت عليها: "لا...لا... لم أستطـــع حتى الآن، سأخبـــره فيما بعد".

مكثنا معًا بعدما ذهب تار إلى الفراش فى الليلة السابقة، وأخذت جيما تخبرنا عن كل شىء عنه وعنها، وكيف أحبها برغم أنها لم تحبه، ولكنها لم تـــرد إيلامـــه لأنها كانت تستلطفه كثيرًا، واستمرت فى الحديث عن كل هذه الأمور.

كانت جيما تشعر بأنها مكبلة قليلاً، واستطعت أن أدرك ما تعنيه، لقد مر تار بوقت صعب، وتعرض لكثير من المفاجآت فى الوقت الذى كان يريد فيه أن يرتاح

قليلاً، ولكن جيما أرادت أن تبدأ العاصفة، كانت مغرمة به، ولا تريد أن تخذله، ولم تكن تعرف إلى أى مدى يمكن أن تفتقده، وقضينا نصف الليلة نتحدث عما إذا كانت ستتركه وتوليه ظهرها أم أنها ستظل باقية معه.

ثم فى لحظة ما قالت للى: "تعالى وعيشى هنا...".

نظرت جيما إلىّ.

فقلت: "لم لا؟".

- "هل تقصد هذا؟ هل... حقًا... تقصد ذلك؟ أنا أحب أن أعيش هنا، أنا أحب أن أعيش معكما"، وساد الإحساس بالراحة كما تعرفون، وعندما لاحت هذه الفكرة فى أذهاننا عرفنا جميعًا أن ذلك كان صوابًا، وبدأنا فى القفز، ورحنا ونحن فى هذه الحالة من الجنون نتقلب على الكنبة ونتعانق.

قلت: "مرحبًا بك فى منزلك يا جيما"، ولففت لفافة تبغ كبيرة احتفالاً بهذه المناسبة...

إذن فقد تم ترتيب الأمر بأن يعود تار إلى ريتشارد وفونى ليعيش فى الساحة، وأن تبقى جيما هنا معنا.

قالت: "يمكنه أن يأتى ويزورنا متى شاء كان شعورى تجاه ذلك أن الأمور يمكن أن تسير على هذا المنوال.

عندما استيقظ تار في ذلك الصباح، جلس بجانب جيما على الكنبة ممسكًا كوب الشاى بين يديه، ينفخ فيه، ويرفع عينيه إلينا، كنت أفكر فى ذلك الرجل التيتانيوم المعدنى، وما كان يفعله مع للى، وكيف جعله ذلك يشعر بتحسن فى الليلة الماضية، وتساءلت ماذا سيحدث الآن؟.

لقد أحببته، أتعرفون؟ لم يكن ذلك النوع المريح من الأشخاص، إنه حتى لـم يحب هذا المكان مثل جيما، ولكننى أحببته، وكان يحتاج إلى أن يمضى بقليل مـن البطء، كان ذلك نوعًا من اليقظة، كانت يقظة كل من للى وجيما تـزداد بـسرعة، وكانتا تشعران بأنهما أختان بالروح منذ البداية، وكان تار المسكين جالسًا لا يعرف ما الذى كان يحدث من حوله، فقد تركوه وحيدًا، حسنًا لقد هجروه، أليس كذلك؟ أما أنا فمن النوع الذاتى، كان تار جالسًا مع للى وجيما عندما أخذنا فى الحديث، اللعنة لقد أحس بالهجر، وأمكننى أن أرى أن جيما كانت منزعجـة قلـيلاً، وكـذلك كـان هو أيضًا على ما أعتقد، نعم.

أخذت جاكتتى ونهضت قائلاً: "هل تأتون معى؟".

سأل تار: "إلى أين" ونظر إلى جيما.

قالت جيما: "كل شىء على ما يرام، يمكنك الذهاب معه، سأظل هنـا إلـى أن تعود".

نظرت للى إلىّ نظرة سريعة وأومأت، إنها تلك الأمور التى تنشغل بها، أنتم تعرفون، ثم أخذ تار معطفه، واتجهنا نحو الطريق، كان طفلاً صغيرًا، أقصد، كان يشعر بأننى مختلف عنه، كما لو كان قد نشأ على ضفة النهر بينما نشأت أنـا فـى الغابات المتوحشة.

وبدأ الحديث عن للى وقال: "إنها..."، ثم صمت، وبلع الكلام، وهـو أمـر معقول جدًا، كيف يمكن لأحد أن يصف للى؟.

قلت: "نعم لم يجد أحد الكلمات المناسبة لوصف للـى حتـى الآن"، وابتـسم وأومأ لى.

عدت لأقول "ولكن ماذا عن جيما؟ هل تعتقد أنهما ستظلان صديقتين حوالى ألف عام؟". وضحكت لأنهما ربما...

- " نعم"، قالها بنوع من الأسى الجميل، الذى لم يكن مفاجأة لى؛ لأن جيما لم تعد تعيره أى اهتمام منذ أن قابلت للى، قلت: "إنهما فتاتان مدهشتان، أليس كذلك؟" وتوقفت، وابتسمت له لأننا- كما تعرفون- كنا بالخارج معهما، إذا ما الذى فعله ذلك بنا؟ وربت على ظهره، لقد جعلنا هذا مثل الإخوة بالدم، وابتسم مرة أخرى بقليل من الخجل، نعم، وأعتقد أنه قد أصبح أكثر رقة بعد ذلك.

لم يكن لدىَّ سوى القليل من الوقت، فقد أردت فقط أن أجعله يرى ما كنت أرغب فى أن يراه، وجدنا دلوًا للمهملات، وأخذت أبحث عن بعض الحطب من النباتات التى كانت فى الصيف، وكان الجو دافئًا ولكن ربما أردنا أن نوقد بعض النار فى الحديقة فيما بعد إذ كان الطقس على ما يرام، وجذبنا بعض قطع الخشب وبعض الأشياء الأخرى إلى الخارج، ثم وجدت هذه الصور، كانت بضع صفحات منزوعة من كتاب قديم، رسومات ولوحات... أنتم تعرفون هذه الأشياء، وكان يوجد قليل من المناديل الورقية على كل لوحة، لا بد أنه كان معرضًا لتلك اللوحات، وكان تار ينظر إليها، لذا حملتها معى.

قلت: "هل أعجبتك؟ يمكنك أن تأخذها".

وبدأ فى رفعها، ربما ظلت هناك ثلاث لوحات باقية، كانت هذه اللوحات رسومًا لورود صغيرة فى مكان ما، وهى صور تشبه الحقيقة، وقد شدته تلك اللوحات بالفعل، فقد كان يحب رسم الزهور، ويحب أن يتعلم الرسم، ثم بدأ فى الانزعاج بشأن الكتاب.

قال تار: "لا بد أن شخصًا ما قد ألقى به بالصدفة بدون قصد".

فقلت له: "ربما يساوى شيئًا ما، من الأفضل أن ندق على الباب...".

كنت أضحك معه فقط، إنه لا يعرف شيئًا عن تلك المواقد التى يشعل فيها الناس الأشياء القديمة، إنه لا يعرف عن نوعية الأشياء التى يتخلص منها الناس، يمكنك أن تجد أى شىء فى ذلك الدلو: سجاجيد، ملابس، كتب، أجهزة راديو، وأشياء من كل نوع، أنتم تعرفون... تموت الجدة، وكل شىء يذهب معها لأنه قديم، أو لأن الجدة كانت مثل الحقيبة القديمة ولذلك فإن كل شخص يعتقد أن أى شىء امتلكته عديم الفائدة مثلها تمامًا.

يمكنك أن تجد أى شىء فى دلو المهملات، وكان لديه عين فاحصة، ولم يستطع أن يصدق أن أى شخص يمكن أن يفكر فى أن هذه القطع مجرد قمامة عديمة الفائدة.

أخبرته أنه ربما كانت بقية الكتاب موجودة هناك، فنظر إلى دلو القمامة كما لو كان خزينة كنز، وقد كان فى الحقيقة كذلك، وقلت فى نفسى، آه، إنه يحول هذه الأشياء التي لا قيمة لها إلى أشياء ثمينة، لذا تجمعنا هناك، وكان شغوفًا جدًا برؤية كل شىء، وانتهى به الأمر إلى حفر ممر أسفل باب قديم، وبذا استطاع أن يجد طريقه إلى الداخل، التصقت قدماه بالحافة بينما ظللت أنا أراقب الطريق، كان ذلك عظيمًا، لم نجد بقية هذا الكتاب ولكننا وجدنا بعض الكتب الأخرى الغريبة، منها كتب فيها صور أطباق مع القليل من الرسوم لتلال ولأشياء أخرى، وكان مبهورًا بذلك.

ظل تار يردد: "هذا غير معقول، خيال يذهلنى" ابتسمت فقط، هذه الأشياء لم تكن لها أى قيمة بالنسبة لى، لقد أخرجتها بنفسى، وكنت قد وجدت فيها مفتاحًا إنجليزيًا بحالة سليمة وكابل كهرباء، ولكنه كان معطلاً لا يعمل.

وعندما جمعنا كل الكتب، قمنا بتنظيف بعض الخشب وحملناه إلى المنزل ورصصناه بالداخل، انظر؟ وقود مجانى، وقمنا بتدفئة المنزل كله طوال الشتاء باستخدام هذا الدلو كموقد للخشب ووفر علينا ذلك بناء مدفأة.

بدأ تار يفهم الفكرة، كان يتحدث عن كيف أن والده قد اعتاد على التوفير فى تكلفة التدفئة بأن يخرج كل الوقت ويدفئ نفسه فقط، بالطبع لم يكن والده كذلك أبدًا، إن الناس يخجلون من الحصول على الأشياء بالمجان، ولو كانت الخنازير المحمرة تجرى فى الشارع من حولنا كنا سنتركها لأننا لا نتحمل الوصمة الاجتماعية، ذلك هو ما يفعله الرجل السيئ فقط.

قلت: "ولكن لم تكن أنت من يفعل ذلك؟" وابتسم.

ذهب تار لبرهة ليعرض الكتب على جيما التى بدأت فى قطع بعض الخشب الذى سيستعملونه فيما بعد، ولم يكن الخشب هو الشىء الوحيد الذى كان يمكنك أن تجده فى براميل المهملات، لكن هل تعرف أن الشىء المدهش هو أن أخذ أى شىء من براميل المهملات كان يعتبر سرقة، فتلك القمامة تكون مملوكة أيضًا لشخص ما، كنت ذات مرة موجودًا داخل أحد براميل القمامة أفتش عن بعض الخشب، وكان أحدهم قد خبأ كمية من المسامير والصواميل ولوحًا معدنيًا فى ذلك البرميل، وقد أمكننى أن أخرج منه بعض الأدوات لكى نستخدمها فى الساحة على أية حال، وتلفت فوجدت رجل شرطة يسير وهو ينظر إلىّ بدرجة كبيرة من

الأهمية، كما لو كان قد ضبطني وأنا أركل امرأة عجوزًا، وقال: "إنها أملاك خاصة لشخص ما".

قال ذلك وأخرج دفتره الصغير من جيبه.

"لقد كانت هذه الأشياء مبعثرة فى الخارج".

لوح بدفتره فى وجهى قائلاً: "إنه شأن المالك وليس شأنك أنت، اسمك من فضلك يا بنى".

لم أستطع أن أصدق ذلك وأشرت إليه قائلاً: "إنهم لا يريدونها ولذلك ألقوا بها هنا".

قال: "فى هذه الحالة فهى تصبح ملكًا لمجلس المدينة الذى سيكون مسئولاً عنها، الآن أنا أريد اسمك وعنوانك".

قلت: "إن المجلس يجب أن يدفع للتخلص منها".

قال: "لا تجادلنى يا بني"، ورفع قلمه الرصاص فى الهواء وانتظر.

أقصد ما الذى يمكنك عمله مع أناس مثل هؤلاء؟ لقد أخبرت للى عن ذلك فيما بعد، وكانت غاضبة، بدأت فى ركل الأشياء التى حولى فى الغرفة، إنها فقط لم تستطع أن تتحمل فكرة أن أناسًا مثل هؤلاء يتجولون ويثيرون المشكلات.

صرخت: "اللعنة على هؤلاء الشرطة".

وبدأت فى ركل ثقب كان موجودًا فى الباب بقدمها لم يكن هناك شيء نتجادل بسببه معًا، وأخذ الشرطى منى تلك الكتب وأعطيته اسمى، حسنًا.

"فأر... إنه فأر..." نطقتها فأور.

دمدم الشرطى: "أستطيع أن أصرفه، أستطيع أن أصـــرف ذلك الفأر".

قلت وأنا أتسلق خارجًا من البرميل "ميشيل"... لقد كان ذلك الشرطى سمجًا جدًا، ولم يكن ليترك المكان قبل أن أبدأ فى ذكر عنوانى "٦ طريق حفــرة الفــأر- ديزنى لاند".

كان آخر شيء أراده هذا الشرطى هو أن يعود إلى المخفر قابضًا على فتى بتهمة السرقة من برميل مهملات، فقد كان يدور بوزنه الثقيل باحثًا عن قليل مـــن الفكاهة والمرح، انظروا...

"الآن استمع إلىَّ يا بنى...".

قلت: "حسنا، دعنا نذهب إلى المخفر ويمكنك توثيقى أمـــام كـــل زملائـــك، اتفقنا؟

ما التهمة، حيازة غير قانونية لبعض المهملات؟".

وسادت لحظة من الصمت أثناء حملقة الشرطى فى، كانت نظرته سيئة حقًا كما لو كنت قطعة من براز كلب، إن رجال الشرطة لا يحبون أن ينهزموا، مـــاذا لديهم إذن؟ الشيء الذى يذكر هنا أنه ليس من المهم إيقافك، ماذا لديهم إذن؟.

قال: "أنت ماهر أيها الصبى. ألست كذلك؟".

قلت: "أمهر منك"، قد كان ذلك حقيقيًا، لكنه لم يكن تحية لى، ثـــم أســـرعت الخطى، اتبعنى لبرهة ولكنه توقف وكف عن متابعتى.

صرخت: "غبى! إن عقلك ليس كبيرًا مثل كرشك"، فاستدار متظاهرًا بأن شيئًا لم يحدث، لقد كان خائفًا من أن يبدو تافهًا لو ألقى القبض علىّ، لا... لقد كان خائفًا بالفعل.

بعد أن دفنا الخشب فى الحديقة ذهبنا إلى مكان صديقى ديف، جلسنا ودخنا بعض اللفافات، وتسللنا خارجين من الخلف مع ديف لإنهاء بعض الأعمال، وعندما عدنا كان تار جالسًا هناك يتحدث مع سال عن براميل المهملات، وكيف أنها كانت مدهشة بكل ما تحتويه مما يلقى به الناس فيها وما إلى ذلك، كان مبهورًا بنفسه لذا قلت فى نفسى إنه يلقى علينا الدرس رقم اثنين.

فعليًا، كان ينبغى علينا العودة لرؤية للى، فربما كانت تشعر بالقليل من الغضب الآن، ولكنى كنت أقضى وقتًا طيبًا، لقد أحببت الفتى و... حسنًا إن للى عنيفة حقًا بصفة عامة، واصطحبته إلى وسط المدينة وألقينا نظرة على المتاجر، كنت متوجهًا مباشرة إلى متجر مارك أند سبنسر، وأريته كيف يتحرر الطعام ويصبح مجانيًا ومررنا فى طريقنا على مكتبة إلين.

كان هناك مجموعة كتب معروضة فى الداخل، وكانت ضخمة ومنها كتاب طوله نصف متر، وهو أحد كتب التصوير الضوئى لصور أبيض وأسود، ونساء عاريات، ولكنهن لسن منحرفات، حسنًا؟ كان بعضهن فى غاية الجمال بالفعل ولكنه كان فنًا سيئًا، أتعرفون؟ كان من النوع المسموح لك بالنظر إليه.

أحب تار الخبير كل ذلك، وظل يتصفحه ويكتشف الصور والجزئيات الصغيرة الموجودة فى كل صورة جديدة، ويصيح بتعجب ويقول: "انظر إلى هذه!"، لقد استحوذ عليه ذلك حقًا، لكن هذا النوع من الأشياء ليس له أى تأثير علىّ، أقصد أننى كنت أحب الصور الوقحة ولكنه- أحبها فعلاً- لسبب آخر، كان أحب شىء

إلى نفسي في هذا الكتاب كان ثمنه، ستون جنيهًا لأجل كتاب! يا للمسيح، لقد كـــان ذلك عملاً فنيًا، ومن كان يعتقد خلاف ذلك ينبغي أن يحصل على خصم عليه، لـــم أعتقد أن هناك من سيشتريه، فقد كان معروضًا هناك نوعًا من الدعايـــة للمكتبـــة، أنتم تعرفون ذلك النوع من الدعاية، ما أروعنا من مكتبة لبيع الكتب، لـــدينا كتـــب غالية الثمن لدرجة أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتحمل أسعارها.

قال: "شخص ما سيشتريه فعلاً ليصبح ملكه".

قلت: "ينبغي أن أصبح كالديك".

قال تار: "إن امتلاكك لمثل هذا الكتاب مثل امتلاكك للسمـــاء أو شيء مـــن هذا القبيل".

كان لديّ شيء من الرغبة في أن أحمل بعض هذه الكتب ولكن العاملين في المكتبة كانوا يراقبون، لذا أدركت أنه من الأفضل أن نتحرك من هذا المكان.

كنت أحظى بوقت طيب في محل مارك أند سبنسرز، وفكـــرت أنـــه وقـــت المقابلات والاحتفالات، نحن نقابلهم... وهم يقابلوننا... وهو مناسبة للاحتفال كذلك لأن جيما كانت آتية لتعيش معنا على الرغم من أن تار لم يعرف ذلك بعد.

كنا واقفين أمام قسم اللحوم، قلت: "هل أنتما الاثنان من النباتيين؟".

- "لا".

وضعت عدة أكياس من اللحم الإستيك في سلة.

قال تار: "انظر! أنا لا أملك أي نقود". وكان في منتهى العصبية.

- "وكذلك أنا".

عبرنا الممشى ولم أجعله يرانى وأنا أخفى اللحوم فى معطفى، لقد لاحظ فقط أن السلة أصبحت فارغة، ولمحته بطرف عينى وهو ينظر إلى الأرض خلفه ليرى ما إذا كنت قد ألقيت بالأشياء على الأرض.

ثم حدثت تكتكة.

يا لتار المسكين! لقد تجمدت ملامح وجهه تقريبًا، عندما أخذت علبتين من الفاصوليا وذهبت لدفع ثمنهما، ووقفنا فى الصف، وأصبحت متوترًا فى ذلك الوقت بالرغم من أننا قد قمنا بالسرقة بهذه الطريقة عدة مرات من قبل، كان تار خائفًا جدًا وقلقًا وكان يتلفت حوله فى المكان ليرى ما إذا كان هناك من يراقب الزبائن، وكنت أعتقد أن هناك من يلاحظ المكان ولكن المفتشات الموجودات فى المتجر كن يشعرن بالملل لدرجة أنه كان يمكنك سرقة فيل بأكمله والخروج به أمامهن دون أن يلاحظن ذلك.

كان تار مبهورًا ومندهشًا بذلك عندما خرجنا من المتجر بسلام، وكان يرقص حولى ويتمايل بشدة، وأصبح يشعر بالسرور وهو برفقتى، إن تار شخص متقلب، وقد تعتقد فى وقت ما أنه شخص هادئ، ثم يبدأ بعد دقيقة واحدة فقط فى الهياج كما سبق من قبل.

قال تار: "هيا نعود إلى الداخل ونحصل على أشياء أخرى".

قلت له وأنا أهز رأسى: "فى المرة القادمة".

لم يكن يعرف كيف يتظاهر، ينبغى عليك أن تتظاهر بأنك صنايعى تحاول شراء بعض الأدوات الخاصة بحرفتك، كانت علامات التجهم ترتسم بوضوح على وجه تار، وكان لا بد لنا من الحصول على بعض البيرة ونحن فى طريقنا إلى

المنزل، فدخلنا متجرًا، وعندما خرجنا أظهر لى ما كان يخفيه فى معطفه، وهو زجاجة من النبيذ لم ألحظه وهو يسرقها، ربت على ظهره وابتسمت، وانحنى أمامى كما لو كنت قد منحته مائة ألف جنيه، حسنًا، سوف يستطيع الحصول على أى شيء يريده بعد ذلك كما ترون.

كان يشعر كأنه طائرة ورقية محلقة فى السماء، ألقت جيما عليه نظرة وقالت "ما الذى حدث لك؟"، وكانت للى على استعداد تام للشجار لأننى تأخرت كثيرًا، ولكن عندما علمت كيف قضيت ذلك الوقت مع تار شعرت بالارتياح لذلك، وذهبت معها إلى الجزء الخلفى المبنى وأخذنا نتسابق ونلهو معًا، فقد كنا فى عطلة نهاية الأسبوع وكان من المهم أن نهدأ ونخطط لقضائها فى بطء.

كان تار جالسًا على الأرض يعرض على جيما ذاك الكتاب الذى وجده فى البرميل أمام مكتبة إلين، وكل الأشياء التى وجدها هناك، وكانت جيما تعامله بقليل من الاستسلام، وقد أزعجنى ذلك لأنه كان يبدو عليها كأنها سوف تتركه وراء ظهرها وتمضى، وكنت أحب أن نظل جميعًا معًا كمجموعة واحدة، ونظرت إلى للى التى كانت تنحنى على جيما لتلقى نظرة على ذلك الكتاب، وبدأ تار فى إخبارها عن رغبته فى الرسم، وكانت تبدى اهتمامها لذلك، وقد فكرنا أنا وللى فى أنه ينبغى ألا نتركهما للضياع أو للألم، ربما نجد طريقة لإحضاره للعيش معنا بدلاً من أن نتركه يذهب بعيدًا عنا بهذا الشكل.

تناولنا وجبة كبيرة، لحم ونبيذ، كما تناولت للى بعض اللحم أيضًا، لم يكن لدينا أى لحم فى المنزل منذ أسابيع، وقد أشعلنا نارًا كبيرة فى الحديقة للشواء.

كان لدينا حديقة رائعة، ستحبونها، وكان يوجد شجرة عالية فى نهاية الحديقة تطل على الطريق، كما كان يوجد أيضًا سرير صغير مغطى بالزهور والقليل من

النباتات الأخرى قمنا بزراعتها فى أول الربيع، ولكننا لم نقم بأى شيء زيادة على ذلك، وكانت بعض النباتات الأخرى قد أخذت فى النمو من تلقاء نفسها، ارتفعت روحى المعنوية فى هذه الليلة، وبدأت فى الحفر ولكن الفأس تحطمت.

وكان هناك نبات الهندباء ينمو بين الحشائش، استمر تار فى الحديث عن الهندباء، وعن اللوحة التى رسمها لها، وكيف كان- حقًا- يريد أن يرسم لوحة أكبر وأشد تألقًا يومًا ما باستخدام ألوان الباستيل التى اشترتها له جيما.

كانت ليلة جميلة، وكانت جيما راقدة وتار بين ذراعيها، كانا سعيدين معًا، وكنت أريد أن تغير رأيها بالنسبة للرحيل، وكنا سنجهز حقائب النوم لننام فى الخارج، ولكن السماء أخذت تمطر فيما بعد، لذا ذهبنا جميعًا إلى الفراش بالداخل.

نظرت فى الصباح من خارج النافذة، كانت المدفأة مبللة، ولكن كان بها بقايا بعض الحطب، وكان يومًا نديا لذا ارتسمت هذه الصورة فى مخيلتى لأنك لا ترى مثل هذا المنظر كل يوم.

كان تار جالسًا هناك على كرتونة حليب أمام المدفأة محلقًا وهو ينظر إلى الشجرة، وكان يبكى، اعتقدت فى البداية أن تلك القطرات الموجودة على وجهه كانت من المطر، ولكنها كانت دموعًا حقيقية، وقلت فى نفسى اللعنة على ذلك.

وقمت بالتربيت على للى لإيقاظها لكى تلقى نظرة على تار.

التصقنا كلانا بقرب النافذة، ووقفنا فى صمت، ونصفنا خلف الستارة، لذا لم يستطع تار أن يرانا وكان الوقت باكرًا.

قالت: "آه ه ه"، وهى تحتضن بذراعيها إطار النافذة، وشاهدته يبكى بجانب النار.

وعادت لتقول: "أليس ذلك المنظر جميلاً؟ فلففت ذراعى حولها وقالت مرة أخرى: "أليس هذا المنظر جميلاً؟".

(١٣)

تــــــار

عدت إلى حجرتى وأخرجت الألوان الباستيل التى أعطتها لى جيما وذهبت إلى نبات الهندباء، وكان لدىَّ قطعة من الورق المقوى أعطتها لى فونى، وجلست وعلى ركبتى قطع الباستيل متألقة مثل ما أردته بالضبط، ولكنها لم تكن ألوانًا جيدة.

جاءت فونى وسألتنى عن حالى، قلت "بخير"، وسألت عن مكان جيما وكان ينبغى علىَّ أن أخبرها أنها لم تعد معى إلى هنا، وجاء جيرى وسأل ماذا يحدث، ثم جاء ريتشارد، جلست وتمنيت أن يذهبوا جميعًا ويبتعدوا عن هنا.

أشعر أحيانا كما لو أننى كنت عضوًا منزوعًا من أعضاء وحش كاسر، كان كل ما أراه يجعلنى مشتتًا طوال الوقت، وكان يمكننى تغيير تعابير وجهى حسبما أريد ولكننى نسيت ذلك، لذا عرف الجميع بكل خلجات نفسى، وما يدور فى رأسى وما أشعر به فى كل ثانية.

كنت أريد فقط أن أدفن نفسى فى الأرض على عمق أكثر من مليون ميل.

كانوا يدخلون ويخرجون ويتحدثون عن ذلك الأمر وهم يراقبوننى ويغمزون بعضهم للبعض، ثم أخذوا فى الحديث عن للى ورروب.

قال جيري: "خبثاء"، الأمر الذى صدمنى، كانا يبدوان خبثاء، ولكنهمـــا لـــم يكونا كذلك.

قالت فونى: "أنا لا أحب أن أرى أى واحد منهما يتتبع خطوات حذائى فـــى الصباح". وقد أضحكنى هذا الأمر بالفعل.

نظرت إلى ريتشارد لأنه كان الشخص الذى أثق به أكثر من أى فرد آخـــر فيهم، لقد بدا غاضبًا بشكل رائع، ولكنه لم يقل أى شـــىء. لقـــد تجمعـــوا حـــولى وعانقونى وحاولوا إسعادى، ولكن لم يستطع أى واحد مـــنهم أن يجعلنـــى أشـــعر بالسعادة مثل للى، وذلك عندما أطلقت على اسم الرجل التيتانيوم (الفلزى).

قلت: "لقد أحببتهما".

قال ريتشارد: "آه يا عزيزى".

كانت فونى غاضبة من جيما، وهى تظن أنها مـــستهترة غيـــر مباليـــة ولا تستطيع تحمل أى مسئولية حقًا، واستمر جيرى فى إغضابى منها ولكنه- ربمـــا- كان ذلك من أجل مصلحتها، والشىء الغريب هو أننى كنت طوال الوقت أفكر فى أمى، وكل ما كان يدور فى خلفية ذاكرتى هو رؤيتى لهذه الصورة الصغيرة لأمى وهى تنظر إلىّ، وأبى وهو واقف خلفها كالجبل الشامخ وقد أخذ وجهه فى التحـــول إلى اللون الأغمق أكثر وأكثر وأكثر.

قلت: "إنها فقط تريد أن تطير".

قالت فونى: "يجب عليها أن تـــسير أولاً قبـــل أن تـــركض، دعهـــا تطيـــر بمفردها".

ولكننى كنت أيضًا أريد أن أطير معها.

أتى روب فى اليوم التالى أو الذى يليه، وكنت فى حالة حيرة وتـردد مـن أمرى بشأن تصميمى على أن أظل بعيدًا عن جيما، كنت آمل أن أعطيها فسحة من الوقت، فربما تشعر بأنها تفتقدنى وتريد استرجاعى بالرغم من أنه– لنكن صادقين– لم يكن هناك فرصة كبيرة للحديث عن ذلك.

قال: "إنها تريد أن تظلا أصدقاء فقط وليـس معنـى ذلـك أنهـا لا تريـد أن تراك".

أخبرته "أريد فقط أن أتركها لفترة قليلة".

قال: "ماذا عني وعن للى؟ نحن نريد أن نراك".

وخرجنا للتمشية، لم أخبره عما قاله الآخرون عنهما، وتجولنا حول المكتبات والمحلات التى تبيع قطعًا فنية لكننى... كنت مشتتًا جدًا وشعرت بالسرور عنـدما انتهينا وأخبرته أن يقول لجيما أننى لن أراها لبعض الوقت.

قال روب: "سوف تصاب بخيبة أمل".

قلت: "لا أعتقد هذا" ؛ لم يجب، كانت تلك هى الحقيقة، فقد ألقت بـى وراء ظهرها.

مر أسبوع قبل أن أراهم مرة أخرى.

قالت فونى: "يوجد شخص ما يريد رؤيتك"، وعرفت من هو فى الحال مـن طريقة حديثها التى بدت كما لو أن المرحاض قد طفح بما فيه أو شىء مـن هـذا القبيل، نظرت أسفل السلالم وكانت للى تتلوى بالأسفل مثل قطـة أو ثعبـان أو... مثل للى.

كان من الغريب أن أراها هنا، وكان الأمر هكذا- دائمًا- مع لي، كلما تراها خارج منزلها تبدو كأنها مشردة بدون مأوى، أو أنك قد نظرت خارج نافذتك فرأيت أفعى كبيرة تنزلق مبتعدة عن الدغل، أو كما لو كانت تمارس مغامرة خطرة غير معقولة لمجرد السير فى الطريق.

قالت: "تعال معى!" وكنت أخطط لأن أبقى بعيدًا لعدة أيام أطول ولكن...

ارتديت معطفى واتبعتها خارج المنزل.

كان يومًا معتمًا... ورأيتها فى الليل نصف عارية داخل المنزل، وقد ارتدت الآن جونلة طويلة وأخذت تجرها وراءها.

كانت تسير بجانبى وهى مبتسمة طوال الوقت كعادتها، كما لو أن لديها سرًا خطيرًا.

سألت: "كيف حال جيما؟".

قالت: "آه، إنها عظيمة، إنها مثيرة، أنت تعرف صديقتنا جيما". ثم ضحكت لى.

كان يجب علىَّ أن أبدو محبطًا لأن جيما لم تكن حزينة مثلي، قالت لى: "لا تفقد كل شىء فى هذه العلاقة الحميمة الرومانسية".

ثم بدأت فى التأوه والخبط على صدرها ورقبتها قائلة: إن حياتى عند طرف النهاية، فلن أستطيع الاستمرار بدونها، آه واو، آه، واو... ثم أنهت حديثها ومالت بظهرها على حائط ممسكة عنقها بيدها ولسانها خارج فمها.

خمنت أن الأمر كان كذلك فعلاً، أليس كذلك؟ لقد كانت الأمور معلقة بينـــي وبينها، وأعتقد أننى أردت شيئًا ما لكى أتعلق به بعد الفرار بعيدًا عن المنزل، سندًا آخر أو عكازًا آخرًا أستند عليه، ربما كان ذلك هو كل ما فى الأمر.

ابتعدت للى عن الحائط ووضعت ذراعها فى ذراعى.

قالت: "لقد كانت تفتقدك، حسنًا كلنا افتقدناك، وأنا أيضًا". ثـم وقفـت علـى أصابع قدميها وقبلتنى على شفتى قبلة طويلة حقيقية، ثـم انطلقنـا فـى الطريـق وذراعها فى ذراعى، وجسدها الدافئ بجوار جسدى.

وصلنا إلى المنزل وجعلتنى أنتظر فى الصالة.

صرخت قائلة: "نحن فى المنزل".

قال روب: "انتظرا دقيقة".

ثم انفتح الباب وخرجت جيما مسرعة، بسرعة مائة ميل فى الساعة، ولفـت ذراعيها حولى وأخذت تقبل وجهى كله، مثل المرة التى استقبلتها فيها فى محطـة الأتوبيس عندما أتت إلى هنا لأول مرة.

قالت: "لقد افتقدتك. افتقدتك حقًا، وكنت مندهشة من مقـدار افتقـادى لـك"، وبدون أن تترك لى أى فرصة للتفكير، جذبتنى إلى الغرفة حيث كان هنـاك روب ومعه علبة بيرة فى يده يومئ ويبتسم وبجانبه...

كان ذلك الكتاب! لم أستطع أن أصدق ذلك، الكتاب الـذى يـساوى سـتين جنيهًا، والذى ينبغى أن تكون إلهًا لكى تمتلكه، كان لـديهم فـى ذلـك الـصندوق الخشبى، وقد علقوه بالأشرطة والأزهار التى قطفوها، أكوامًا وأكوامًا من الهندباء،

وكارت كبير مكتوب عليه "من أجل تار حبًا من...، وكانت أسماؤهم مكتوبة عليه من أجلى.

قلت: "لمن هذا؟ لمن هذا؟" لأن ذلك لم يكن له أى معنى.

وقالوا معًا: "لأجلك. لأجلك".

لم أصدق ذلك، وكانوا قد فتحوا الكتاب على إحدى الصور التى أعتقد أنها مدهشة فعلاً كانت مغطاة بالزهور وأوراق الزهور التى صنعتها للى، وكان كل ذلك مغلفًا فى حرير أحمر، وكان ذلك مثل القطع الأثرية بالنسبة لى.

- "لكن... كيف حصلتم عليه؟ أقصد على هذا الكتاب، فقد كان تحت حراسة وملاحظة شديدة فى المكتبة من جانب الأمن والمساعدين".

قال روب: "إنك أنت الشخص الوحيد الذى يمكن أن يقدم إليه هذا الكتاب".

وقالت للى: "نعم، والآن قد حصلت على ثلاثة أشخاص يحبونك بدلاً من واحدة فقط".

وقبلتنى قبلة كبيرة، قبلة خاصة لمدة دقيقتين، وسمعت جيما تصفق بكفيها وتصرخ، وكذلك فعل روب.

- "ياه، ياه" لقد بدأ فى العد ليريا كم طول المدة التى يمكننا فيها الاستمرار فى العناق والبقاء معًا على هذا الوضع.

ثم أخذت جيما فى البكاء فى وسط تقبيلى لها.

وكان ذلك نوعًا من دموع الفرح والتأثر، وليس بكاءً حقيقيًا، وكانت الدموع تنهمر على خدى، وهم يعتقدون أننى كنت مسرورًا، وقد كنت مسرورًا فعلاً، ولكن

الأمر لم يكن كذلك فقط. فقد كنت حزينًا لفقد جيما، وقالت للى لى ذلك وهى تقبلنى وتذكرنى بذلك الفراق، ثم وقفت للى على أطراف أصابع قدميها، لقد كنت- حقًا- أطول منها، وقامت بلعق كل الدموع التى على خدى.

وقالت: "الآن سأحيا إلى الأبد".

قضوا الأسبوع الماضى كله يخططون للحصول على الكتاب، كانوا يراقبون المكان يوميًا ليحددوا اللحظة التى يقفل فيها العاملون، وكانوا يتخفون فى ملابس مختلفة كى لا يتعرف عليهم أحد، وقد جعلنى ذلك أضحك لأن جيما وللى يمكنهما التنكر بسهولة عدة مرات، ولكن كيف يتأتى ذلك لروب ذى قصة الشعر الموهيكان وسنيه الأماميتين المفقودتين، فهو لا يمكن أن يتخفى مثلهما.

وهكذا لم ينجحوا فى سرقته طوال ستة أيام، لم يتمكنوا من ذلك إلا بعد أن سمع روب أحد الحراس يتحدث عن أن شخصًا مهمًا ينبغى أن يدخل إلى المكتبة بدون أن يدخل الحراس معه، وكان ذلك الحارس يشكو من أن ذلك الشخص قد تأخر، وأن موعد استراحة تناول الشاى قد حان وهو لم يحضر بعد، ثم حضر نائب المدير وذهب الحارس إلى استراحة الشاى، ثم رن الهاتف وكان يتوجب على نائب المدير أن يذهب أيضًا ليرد عليه.

أخذ روب يخطط لكى يدخل باعتباره طالبًا فى كلية الفنون حاملاً معه إحدى حقائب الفنانين ليخبئ فيها الكتاب، لم يأخذه وقتها لأنه كان مهتمًا لدراسة المكان، ولكنه وجد نفسه أمام الكتاب فجأة، ولم يكن هناك أحد من البائعين يراه، ولم يكن مستعدًا لأخذ الكتاب بعد...

قام بوضعه فقط تحت إبطه وخرج أمام الجميع، مر أمام العاملين فــي إدارة الأفراد الواقفين بينه وبين الباب، ومر بالفتاة الجالسة عند دكة المبيعات، وكان باقى العمال يتجولون حوله، مر أمام طاقم العمال الذين يحرسون الكتب، والذين يلصقون الأسعار عليها، مر أمام الجميع حاملاً هذا الكتاب المدهش تحت إبطه أمام أعيــنهم جميعًا، ووصل إلى الرصيف، ورأته جيما، وسارا معًا بسرعة عند الزاويــة، ثــم أطلقوا سيقانهم للريح.

لأجلى، لقد فعلوا هذا من أجلى.

جاءت جيما وأخذت تقلب صفحات الكتاب معى، وكنا نفرج بعضنا بعــضًا على صور جميلة ونبتسم لبعضنا طوال هذا الوقت، وكنت أفكر وفى ذهنى، مــاذا سنفعل الآن؟ ماذا سنفعل الآن؟.

كان للى وروب جالسين على الطاولة، وكان روب يهز شــيئًا ملفوفًــا فــى رقاقة معدنية.

قالت جيما: "أوه... ياه".

أعطى روب اللفة لللى، فأشعلت عودًا من الكبريت، ووضعته تحت اللفافــة وفاحت هذه الرائحة النفاذة العميقة، وظهرت حلقــات من الدخان الأبيض، حملــت للى اللفافة بفمها وقالت "جلوب"، وامتصت هذه الحلقات الدخانية البيضاء، ومطــت شفتيها إلى الأسفل وكتمت نفسها لفترة طويلة، ثم أخرجت الدخان بمنتهــى الــبطء وابتسمت كأفعى.

قالت: "أنا الآن أشعر بالراحة".

سألت: "ماذا كان ذلك؟".

حركت للى إصبعها فى الهواء كما لو كانت ساحرة تتلو تعاويذ سحرية وقالت: "هيروين... ياه".

قلت: "هل هذا؟ هل هذا هيروين حقًا؟ هل هو؟ "وكنت مذعورًا جدًا.

كان روب يقوم بإعداد لفافة أخرى، وكنت أفكر إنها مدمنة، إنها مدمنة، إنها مدمنة.

أنتم تعرفون تلك القصص، فإنك تتناول شمة واحدة، وهى كافية لأن تعلقك بهذا المخدر إلى الأبد، ثم ينتهى بك الأمر إلى الشوارع تسرق السيدات العجائز، وتضع يدك فى جيوب الرجال المسنين لسرقة عدة جنيهات لشراء المزيد.

أعطى روب اللفافة الأخرى لجيما، وابتسمت لى وأشعلت عودًا من الكبريت، وقالت "جلوب"، ورأيتها تخرج الدخان من أنفها، ولكن لا بد أنها فعلت ذلك بشكل خاطئ لأن روب وللى قفزا وصرخا فيها: "لا تخرجيه، لا تجعليه يخرج..." فقامت جيما بمطاردة الدخان تريد إرجاعه لفمها وإلى داخل صدرها مرة أخرى.

قال روب: "ذلك دخان جميل ومهم".

كنت أفكر يا إلهى...يا إلهى...

ثم جهز واحدة لى، ولكننى هززت رأسى رافضًا، ضحك روب وأخذها لنفسه.

- "ها" قالتها للى فى غضب واستمرت تقول: "ها... إنها لأجل تار، ما الذى تفعله؟".

ابتسم فقط وفتح فمه ليجعل الدخان يخرج، بدا كالشبح، وانزعجت للى بالفعل، ولكنه نفخ الدخان فى وجهها.

قال: "لا يزال الكثير من الدخان، من أين يأتى، ذلك كله يأتى". وابتسمت للى.

قالت جيما لى: "استمر- جربه- إنه لن يؤلمك أو يضرك، إنه يشعرك بالتحسن فقط".

قلت: "أنا لا أريد ذلك".

اندهشت للى وقالت: "ألن تدخن ذلك معنا وتدمنه؟"، ثم أكملت بإثارة، "هل أنت مدمن يا تار؟".

- "لا".

- "إن كمية قليلة من الهيروين لن تحولك إلى مدمن، يجب أن تفكر كمدمن إذا أردت أن تصبح مدمنًا".

- "إنك لا تحتاجين إلى لطمة لكى تجعلك تفيقين".

نظرت جيما إليّ ورجعت بظهرها فى مقعدها، ونظرت إلى وجهها كى أستطيع أن أرى أى فرق، لقد كانت... سعيدة.

- "إن كل شىء على ما يرام يا تار، وأنت لست مطالبًا بأن تقوم بذلك مرة أخرى إذا لم ترد، ولكن جربه مرة واحدة فقط، جرب كل شىء مرة واحدة فقط، كل هذه الأشياء التى تسمع عنها، إن مقولة أن محاولة واحدة صغيرة تجعلك تصير مدمنًا لمدى الحياة هى مجرد قصص فقط، أنت تعرف".

قالت للى: "إنها قصص لتخويف الصغار، قصص لتجعلك قابعًا فى مكانك".

لف روب واحدة أخرى، وقدمها لى قائلاً: "الإدمان هو الأفضل، وهذا هو السبب الذى يجعل الأطباء يحتفظون به لأنفسهم"، ثم غمز لى غمزة خفيفة.

قالت للى: "أنا أعرف ما الأفضل لى أكثر من أى طبيب".

نظرت إلى اللفافة وقلت فى نفسى أنا لا أعرف ما الذى يجب علىَّ فعله...

قالت للى: "انظر إنه بالفعل سيخسر فرصة لكى يحس ويشعر بشكل أفضل من أى شخص آخر فى هذا العالم".

قال روب: "المزيد من أجلنا".

ثم فكرت ما الذى سأخسره؟ واحتفظ روب ببعض المخدرات من أجلى، فقمت بإشعال القداحة ووضعتها أسفل اللفافة وراقبت المسحوق الأبيض وهو يتحول إلى فقاقيع بنية تتحرك فى الرقاقة المعدنية. ثم ذهبت: "جلوب" و...

ربما تحتاج فى بعض الأحيان إلى تجربة أو خبرة، وهذه الخبرة يمكنها أن تكون شخصًا أو مخدرًا، إن التجربة تفتح بابًا كان موجودًا طوال الوقت ولكنك لم تره أبدًا، أو ربما تأخذك إلى الفضاء الخارجى، وطوال هذا الوقت كان كل من للى وجيما وروب يحاولون أن يشعرونى بأننى واحد منهم، ولكن كانت- المخدرات- أيضًا- هى سبب كل هذه التهيؤات عن أن جيما سوف تتركنى، وعن أبى وأمى، وترك المنزل، كل هذه الأشياء السلبية، كل الألم...

لكن ذلك كله قد ابتعد عنى الآن، وابتعدت أنا عنه... وأصبحت طائرًا عاليًا وبعيدًا...

رجعت بظهرى ونظرت إلى الكتاب وإليهم، وابتسمت جيمـــا لـــى ابتـــسامة عريضة ناعمة، وكانت عيناها لامعتين كالرخام المصقول.

قالت: "هل تشعر بأنك أفضل؟".

أومأت فقط، لم أكن أشعر بالدهشة أو بأى شىء آخر، ولكن كل ذلـــك قـــد ذهب، لقد ذهبت كل الآلام، وأتت وجلست بجانبى ودغدغت إبطى.

قالت: "تار"! هل تخرج معى؟".

قلت: "نعم سأفعل... نعم سأفعل".

قالت لى: "أنت الآن ستعيش هنا معنا، كلاكما سيعيش معنا، أليس كذلك؟".

ما الذى يمكننى أن أقوله؟ أحسست أننى قد بدأت فى تعلم كيـــف أعـــيش، "نعم".

(١٤)

للـــــى

لقد دخلت تحت جلدى.

ولكننى لا أجد أن ذلك يدعو للغضب.

إنك دائمًا تلعب لتربح ولكننى لا أريد إعادة تأهيل.

أو... لا... لا.

أنا أعتقد أننى فى كوكب آخر معك... معك.

أنا أعتقد أننى فى عالم آخر معك... معك.

فتاة أخرى.

كوكب آخر.

فتاة أخرى... كوكب آخر.

الوحيدون فقط

كل شىء حر، ذلك السر.

الشيء الوحيد الذى ليس حرًا هو أنت، أنت تفعل كما يقال لك، أنت تجلس فى مقعدك حتى يقولوا لك "قف"، وتظل واقفًا فى مكانك حتى يقولوا لك... "اذهب".

ربما هذا هو الأسلوب الذى تحبه. إنه سهل. إنه جاهز دائمًا، ليس عليك أن تفكر فيه. بل ليس عليك حتى أن تشعر به.

أحيانًا أتعجب وأتساءل كيف يظل هذا الكوكب ملتصقًا بقدمى، لقد فعلوا كل شيء لكى يقيدونى به ويشدونى إلى أسفل... أمى، أبى، المدرسة، لقد وضعونى فى بيوت مع أشخاص طيبين ووضعونى فى بيوت مع أشخاص سيئين. لقد فعلوا معى أشياء لا يمكنك حتى الحديث عنها، لكننى لا زلت بخير.

ولكن ماذا عنك أنت.

إنه تحكم فى عقلى... وضبط له ، أتفهمنى، ينبغى عليك الذهاب إلى المدرسة، ودخول هذه الاختبارات، والالتحاق بالجامعة أو الكلية، والحصول على عمل، والزواج، فلا تخرج من الصف ولا تدع قطار الزواج يفوتك.

قم بذلك الآن وإلا قم بإلقاء حياتك كلها فى مجارى الصرف الصحى، نعم. إنهم يسيطرون عليك منذ لحظة ميلادك. إنهم لا يضيعوا أبدًا أية ثانية من حياتك، وعندما يكون لديك أطفال سيقال لهم إنه ينبغى عليهم أن يضعوا قناعًا من البلاستيك، ويعلموهم الاهتمام لجمع المال قبل أن يتعلموا كيف يتنفسون.

أنصت: العمة للى تعرف الطريق الواجب اتباعه.

إن الهواء مجانى. ماذا، أنت تعرف هذا؟ حسن والطعام مجانى. أنت لا تعرف هذا! اسمع: إليك الطريقة التى تحصل بها على الطعام المجانى.

إنك لا تعرف ذلك! اسمع؟ إنها الطريقة المناسبة التي ستفعل بها ما هو المطلوب منك.

أولاً- يجب عليك أن تجد محل الطعام المجاني، ستخرج من باب بيتك الأمامي وتسير في الطرق، وعاجلاً أو آجلاً ستجد محل الطعام المجاني، لن تغفل عنه، قد يكون اسمه سينسبري، أو تيسكو، أو موريسون لو كان محلاً كبيرًا، وقد يطلق عليه اسم سميث أو سكول أو سينج إذا كان محلاً صغيرًا. إن مسألة اسم الطعام ليست أمرًا مهمًا. لكن سيكون الطعام أكوامًا أكوامًا في كل مكان؛ على الرفوف؛ في أكياس وأكوام على الأرض؛ في صناديق وحقائب وأوعية أنت تريد ذلك الطعام، حدد اسمه وسيصبح ملكك.

ادخل، يجب عليك أن تلقي نظرة حولك وتحدد أي نوع من الطعام تريد، وضع الطعام الذي تريده تحت معطفك، أو في حقيبة مشترياتك، ثم امض به إلى المنزل وتناوله.

ياه! أتوقع أنك تظن أنه كان ينبغي عليك الذهاب إلى المدرسة، وأن تدرس فيها، ثم تتعلم مهنة، وتمارس هذه المهنة، وتتسلم راتبك، وتأخذ النقود وتدفعها لأصحاب المحل قبل أن تتمكن من أخذ الطعام إلى المنزل، هه؟.

أنت تهتم للإصغاء إلى الناس أكثر من اللازم وبمجرد أن تعرف كيف تفعل ذلك: انظر حولك وسترى محلات الطعام المجاني في كل مكان، ولكن الشيء الوحيد الذي ينبغي أن يثير قلقك هو أنه عادة ما يوجد شخص ما يعتقد أن الطعام ملك له، لذا ينبغي عليك أن تتأكد من أنك خفي غير مرئي لكي لا يراك وأنت تأخذ طعامك المجاني.

هذا شيء يسير أيضًا، لأنه يمكنك أن تصبح أى شيء تريده، إنه سر، أنت شيء سحرى، أنت مذهل، أنت أى شيء تريد أن تكونه، يجب أن تصدق هذا، حرر الطعام واجعله مجانيًا نعم... يجب أن تحرره.

وإذا أمسك بك أحد من هؤلاء الأشخاص الذين يظنون أن الطعام ملك لهم، فلا فائدة من الشجار أو النقاش لأنهم متمرسون جيدًا بهذا الأمر، ومن الأفضل لك أن تفر هاربًا، وربما يتم القبض عليك إذا كان حظك ليس جيدًا فى ذلك اليوم، ثم تذهب إلى قسم الشرطة ويتم تحويلك إلى المحكمة، وإذا كان لديك نقود فستحصل على الخدمة مقابل نقودك، وسيكون ذلك حسنًا، لست فى حاجة لأن يحدث ذلك كله، فأنا أعرف أناسًا لم يتم القبض عليهم أبدًا طوال سنوات، وكل هذه الأمور المرتبطة بالدخول والخروج من السجن تعتبر مجرد شكل من الأشكال التى يمكن تجنبها من خلال التحكم والضبط العقلي، ولكن حتى إذا تم إلقاء القبض عليك فسأخبرك بما تفعل، يمكنك القيام بالخدمة الاجتماعية فى المؤسسة لمدة أربعين أو مائة ساعة، ما البديل لذلك؟ إنه الخروج للعمل كل يوم طوال حياتك.

أنا أقصد ما معنى ذلك؟ وأى حياة هذه التى تكون مجبرًا فيها على العمل الدائم؟

انظر خارج النافذة وسترى هذه الحشود الزاحفة من الذاهبين إلى العمل والعائدين منه، إنهم يتعلمون كيف يذهبون إلى العمل؛ ومهما كان الأمر، فإننى أشعر بالرغبة فى الصراخ قائلة: "هاى! اسمعونى، إن الأمر ليس كذلك، إنه حقًا ليس كذلك".

لكننى لم أفعل ذلك أبدًا، لأنه بلا فائدة، لا بد أنهم متبلدون متثاقلون جدًا يزنون أكثر من ستين ألف طن، أنا مختلفة عن مثل هؤلاء الناس وبعيدة جدًا عنهم،

إنهم لا يستطيعون حتى رؤيتى، هل تريد أن تعرف المزيد عنهم، اسمع: سوف أحكى لك كل شيء.

أنت تستطيع أن تفعل أى شيء تريده.

إنك لا تصدقنى، تعتقد أننى فقدت عقلى.

نعم، لقد فقدت عقلي، ولا أستطيع أن أكون أنا ذاتى الحقيقية فعلاً.

ما هذه الحالة التى أنت عليها؟ هل يجب عليَّ أن أكون مثلهم، أنت لا تعرف، أراهن أنه لم تتح لك أى فرصة أبدًا لكى تعرف.

تذكر عندما كنت صغيرًا، وقد اعتادوا أن يقولوا: "فتاة شقية، أو فتى شقي"، لأنك حطمت شيئًا ما أو قلت أى شيء غلطًا، فقالوا عنك أنك: "شخص سيئ"، لأنك حطمت شيئًا ما أو قلت شيئًا خطأ، ولكن الأمر لم يكن كذلك، إنك قمت فقط بعمل شيء سيئ؛ ولم تكن أنت السيء، لكن الشيء الذى فعلته هو الذى كان سيئًا، أما أنت نفسك فقد كنت شخصًا فى غاية الجمال والروعة، لقد كنت مدهشًا؛ وكل شيء فعلته كان مدهشًا لأنك أنت الذى فعلته، وكنت تملك تلك القوة التى تجعلك تستطيع أن تفعل ذلك بطريقة سيئة، وأنت مدرك أنك فعلت شيئًا سيئًا، وتستطيع أن تفعل شيئًا جيدًا وأنت تعرف أنك فعلت شيئًا جيدًا، ولكن ذلك لا يفرق شيئًا وسوف تظل كما أنت بالنسبة لهم.

اسمع! يمكنك أن تكون أى شيء تريده، لكن كن حذرًا، إنها تمتمات سحرية، إنه سحر... استمع إلى الكلمات أيمكنك أن تكون أى شيء تريده؟ أيمكنك فعل أى شيء، يمكنك أن تكون أى شيء، يمكنك فعل أى شيء. استمع إلى ذلك السحر الذى بداخلك.

أنت أى شىء... وكل شخص، وأى شخص، مهما كان الشىء الذى تريده سوف أجعلك تراه، لقد ظللت لفترة طويلة قابعًا داخل نفسك، يمكنك أكل القذارة، وستكون حلوة المذاق لأنك أنت الذى تريد أن تأكلها، يمكنك حتى أن تلمس فضلاتهم إذا كان لزامًا عليك أن تفعل ذلك، أنت تستمع إليهم: المعلمين والوالدين والسياسيين، إنهم دائمًا يقولون إذا سرقت فأنت لص، وإذا نمت هنا أو هناك فأنت فاسق، وإذا تعاطيت المخدرات فأنت تاجر مخدرات، إنهم يريدون أن يدخلوا إلى رأسك ويتحكموا فيك بهذه المخاوف.

ربما تعتقد أن أباك وأمك يحبانك، ولكنك إذا فعلت أى شىء سيئًا سيحاولان أن يحولاك إلى شىء قذر، مثلما حدث معى تمامًا، فقد حاولا أن يحولانى إلى شىء قذر، إنه عقابك لكونك تريد أن تكون شيئًا أصيلاً، وأن تكون أنت ذاتك، لا تلعب لعبتهم، لا يوجد شىء يستطيع أن يكبلك، وستظل جميلاً كما أنت.

لقد فعلت كل شىء، كل شىء تعتقد أننى فعلته، وكل الأشياء التى لم تجرؤ أنت على قولها أبدًا، كل الأشياء التى تحلم بها، كل الأشياء التى تتطلع لفعلها ثم نسيتها لأنك تعرف أنك لن تستطيع أن تفعلها أبدًا.

لقد فعلتها أنا...، نعم لقد فعلتها بالأمس بينما كنت أنت لا تزال نائمًا فى فراشك.

ماذا عنك أنت، متى سيأتى دورك لكى تفعل ما تشاء؟.

(١٥)

جيما

ترصد وحسب.

ترصد، ترصد، ترصد.

ترصدنا نحن فقط

تترصد صد د– نترصد

لوركى

أنا أطير، ولكن الكثير من الناس انتهوا بالموت من الداخل، لا يمكنك اكتشاف ذلك من مجرد النظر إليهم لكن ما أن يفتحوا أفواههم حتى تدرك أنهم فقدوا ما بداخلهم، لقد قتلتهم الحياة.

نظرت للخلف حيث المكان الذى أتيت منه وفكرت، يا له من ضياع ذلك الذى يصنعه الناس بحياتهم، أبى، إنه خائف جدًا من أن يحيا، وخائف جدًا من أن يموت، إنه يشتغل طوال اليوم من أجل تلك المؤسسة التى يعمل فيها، يدير هذا، ويدير ذاك، وبصرف النظر عن حقيقة أنه يوجد أفراد آخرون يقومون بالعمل، أقصد العمل الحقيقى، العمل الذى ينتج الأشياء، إنه يحرق نفسه لكى يبدو مهمًا، والحقيقة أنه لا يقوم بفعل أى شىء، وهو يكره ذلك، لكن لأجل ماذا يفعل ذلك؟ إنه

يحصل على هذه النقود وينفقها لشراء جهاز تليفزيون جديد بينما الجهاز القديم لا يزال يعمل، أو لشراء سيارة جديدة لأن سيارته قديمة، أو ينفقها على إجازة للذهاب بعيدًا ليسترخى من ذلك العمل المرهق الذى كان يجب عليه القيام عليه لأنه يحتاج للنقود...

أنا لا أحتاج نقودًا، الناس الذين يرغبون فى ملكية الأشياء هم الذين يجب عليهم أن يلتحقوا بعمل.

يجب أن تأتى إلى المكان الذى نعيش فيه، ستحب المكان، الجميع يحبونه، ستأتى وسنجد بعض الناس هناك، لكننا لا نتوقع أى شىء، يمكنك الجلوس فى ركن ما ومراقبة الأشياء، أو يمكنك الكلام أو فعل أى شىء تريده، سيكون هناك موسيقى، وسيكون هناك شىء تشربه، وقد يوجد بعد ذلك طعام، كنا عادة نقوم بفتح الشبابيك، ذات الأبواب ويجلس الناس فى الحدائق، ثم تتحول الجلسة إلى حفلة بدون أى تخطيط مسبق، مثلاً يحضر "كول" بعض الجعة، وتأتى "سال" بشىء يمكن تدخينه، ثم يحضر شخص آخر المزيد من الجعة، ونصبح جميعًا سكارى إلى درجة ما، ونرى أننا نريد المزيد... فيقوم كل فرد بإخراج ما فى جيبه من نقود وأقوم بتشغيل الموسيقى.

وهكذا تصبح حفلة حقيقية.

وفى الليل نقوم بإشعال النار، يذهب الناس للبحث عن الخشب فى أوعية القمامة الكبيرة التى فى الشارع، وتظل النيران مشتعلة، بيع مخدرات، موسيقى، أناس، وهناك "نيف" تاجر المخدرات، إنه لا يخرج كثيرًا، لكنه يأتى أحيانًا ليجلس بجانب النيران، ويقوم بلف سجائر المخدرات الواحدة بعد الأخرى، وهناك كول وسال، اعتادت سال أن تكون مع نيف ولكنهما افترقا، وكانت علاقتى جيدة بسال،

وكنا متفاهمتين تمامًا، وقريبتين من بعضنا مثلما الحال مع للى تقريبًا، كول شخص جيد، لكنه ممل بعض الشيء وأعتقد أنه يقوم بفعل الكثير من الأشياء.

كول... يمكن أن يكون ضحيةً، حسنًا، يوجد فى الحياة كثير من الضحايا، فالحياة مهمة خطرة، وأعتقد أن كول وسال سينفصلان قريبًا، وهناك وندى و جاكسون، دول وبيت. لا ينقصنا أبدًا وجود الكثير من الناس معنا لكن فى قلب كل شيء يوجد دائمًا أنا وتار، وللى وروب.

أصبح تار الآن أفضل كثيرًا، لن تستطيع التعرف عليه، اعتاد دائمًا أن يكون قلقًا مهمومًا، لكنه أصبح يأخذ الأمور ببساطة الآن، ويمكنك ملاحظة ذلك من مجرد النظر إليه، لقد وضع جانبًا تلك الأمور مع أبيه وأمه، وكان يجب عليه أن يتركهما وراء ظهره، أقصد لقد تركهما جسديًا، ولكنه لا يزال يحملهما فى داخل رأسه، قالت له للى مرارًا وتكرارًا: "لماذا تحمل همهما؟"، إنها مشكلتهما، لقد جعلا حياتهما مشوشة ومرتبكة، ولا ينبغى أن تجعل حياتك أنت أيضًا مشوشة ومرتبكة من أجلهما..

أنا أحبه حقًا، وعندما أفكر كيف اقتربت جدًا من هجره! كان وقوع ذلك الأمر قريبًا جدًا، لا بد أننى كنت مجنونة، أظن أننى كنت مستثارة للغاية، شعرت أن كل شيء ينبغى أن يكون مختلفًا بعد أن التقيت بللى وروب. إنهما اللذان أقنعانى ألا أتركه، حكيت لهما كثيرًا كيف يجعلنى أشعر أننى محبوسة ومحاصرة، وكيف يحملق النظر فى كما لو كنت سمكة فى حوض زجاجي، قالا لى: "لا لا، إنه شخص ظريف حقًا، إنه مميز، لماذا لا تكونى لطيفة معه، يجب أن تكونى لطيفة مع أصدقائك...".

قلت: "ولكننى لا أحبه

ضحكت للى وقالت: "ينبغى أن تعتنــى بــه، إنــه ملكــك، ألا تــستطيعين رؤية ذلك؟".

نعم إنه ملكى، نحن يملك بعضنا بعضًا، وأنا له.

كنت أقوم بالاتصال بوالدى ووالدتى من حين لآخر لمجرد أن يعرفوا أننــى بخير، كنت أريد أن يكون كل شىء على ما يرام بيننــا، أتــصل بهمــا و"أدردش" معهما فقط، أو أدعوهما للزيارة، ولكنى لا أجرؤ على ذلك، إنهما لا يــزالان فــى حالة الشعور بامتلاكهما لى، لقد دفعا للشرطة رشوة ليرجعونى إلى البيــت، ذلــك البيت المعدنى اللعين لأنه بيتهما.

قلت لأمى: "عندما أصبح فى السادسة عشرة سآتى لأزوركمــا، وســنكون أصدقاء"، قالت شيئًا ما، أنا أعرف فيما كانت تفكر، كانت أمى تحاول أن تبقى فمها مغلقًا، ولكنه كان ينزلق ببعض الكلمات من حين لآخر، إنها لا تزال لا تستطيع أن تسامحنى، وتعتقد أننى فعلت شيئًا ما لها، أقصد أننى عشت حياتى ومارست حريتى فقط، وهى ملكى، لكن أمى تعتقد أننى أحبطتها وخذلتها، ولا عجب فى أننــى لــم أستطع- حتى- تنفس الهواء فى ذلك المنزل.

فى أول مرة اتصلت فيها بالمنزل بعد مغادرتى للساحة والعيش مــع للــى وروب كنت مرعوبة جدًا، وظللت أتصل وأغلق الخط؛ أتصل وأغلق الخــط عــدة مرات، وكنت أتساءل: "ما الذى يمكننى أن أقوله لهما؟"، لقد تحولت إلى شىء آخر لا يستطيع أبى وأمى فهمه أبدًا، ولكن أصدقائى استمروا يشجعوننى.

كان تار دائم الاتصال بوالدته بالرغم من أن والديه كانا أسوأ من والدىّ، إنه مثال للفتى الصغير الطيب، لهذا كنت أشمئز منه فى بعض الأحيان، وكان هو وللى وروب مستمرين فى البقاء معى.

كان روب ودودًا وحنونًا حقًا مع الأمهات، كان ذلك شيئًا جيدًا بالنسبة لـــه، وكانت أمه عظيمة حقًا، إنها سيدة مدهشة، فقد أتت لزيارتنا مرة، وعندما رأت كل الأشياء التى كانت معنا ضحكت فقط، وقالت: "احذروا من إلقاء القبض عليكم".

وكان ذلك هو كل شىء، هل يمكنكم تخيل ذلك؟ لقد كان من الرائـــع رؤيـــة بشر مثل هذه السيدة، أقصد أنها لم تعمد إلى النصائح أو غسيل المخ المعتاد، أنـــتم يمكنكم تحرير أطفالكم وأحفادكم وكل الأجيال التالية.

تناول روب أول لفافة عندما كان فى– حوالى– الثامنة من عمره، لم يـــدخن التبغ، وأعتقد أن هذه هي الطريقة التى تربيه بها أمه، كانت مسرورة– حقًا– مـــن الأسلوب الذى كنا نعيش به، وأغلب الذين يدخنون الحشيش يدخنون التبـــغ أيـــضًا، ولكن روب تربى على الحشيش، لذا كان لديه إحساس قوى تجاهه؛ لأنه تناول أول لفافة حشيش فى وقت مبكر جدًا من حياته، وهو لم يقل لأمه كل شـــىء، وجعلنـــا جميعًا نقسم ألا نخبرها بأى شىء عن تناوله للهيروين، لأنها كانت ستنفجر غـــضبًا لو عرفت بذلك، إن الكثير من الناس لا يستطيعون التعامل مع الإدمـــان، وينبغـــى عليك أن تكون شخصًا خاصًا لكى تستطيع التعامل معه.

على أية حال كان روب يلح ويلح علىَّ لكى أظل علـــى اتـــصال بوالـــدتى، وكذلك الأمر بالنسبة لللى وتار، قلت: "أنـــا أعـــرف أن الأمـــر ســـيكون رائعًـــا، وسيجعلوننى أكرههم، أنا أعرف ذلك تمامًا".

استمروا فى ذلك الإلحاح والإصرار إلى أن رضخت لهم وفعلت ذلك فى النهاية، وذهبوا معى جميعًا إلى كابينة التليفون لكى يشجعونى.

رد أبى قائلاً: "جيما هل هذا أنت؟".

كانوا قد جعلونى مشحونة للاستجابة له والإجابة عليه وقلت "ألن تسأل عن حالى؟".

كنت أبتسم لروب، وكان يهز رأسه، حدث ذلك منذ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع بعد لقائى بللى وروب.

قال أبى: "هل هذا أنت؟"، مرة أخرى، لقد بدا كرجل غير واضح، رمادى الملامح وصغير.

قلت: "نعم. إنه أنا. حسنًا، كيف أنت يا أبى؟".

قال: "جيما... جيما". كان منزعجًا جدًا وبدا...

قربت للى وجهها نحوى وهمست: "إنه خائف منك".

قلت فى نفسى: "واو"، كنت أعرف أن ذلك حقيقى، فقد بدا كطفل صغير ملتصقًا بالجدار الخارجى لغرفة مدير المدرسة، لقد تحررت لأننى عرفت أن سلطته العلوية علىَّ قد تحطمت بالتأكيد، ولكننى لم أرد أن أكون حقيرة معه، وحملقت فى الهاتف ولففت شفتى ثم قلت: "نعم كل شىء على ما يرام يا أبى، من اللطيف أن أتحدث إليك"، ثم سادت لحظة صمت وقلت بعدها: "كيف حال أمى؟".

- "جيما إنيا قلقة عليك لدرجة المرض، كلانا كذلك، لم لم تتصلى بنا؟ يمكنك الاتصال فى أى وقت تشائين".

- " لا تلمنى يا أبى، إننى على أفضل حال"، ثم سألته: "هل أمى موجودة؟".

لم أكن أريد أن أبدأ حديثى بالأمور التى كان يريد أبى أن أبدأ الحديث فيها.

"نحن نحبك يا جيما".

- "أبى...".

- "أنا أعرف أننا ارتكبنا بعض الأخطاء فى حقك ولكننا جميعًا نحبك، أنت تعرفين ذلك، أليس كذلك؟".

لقد صدمنى هذا، وكنت محرجة لأنى لا أذكر أبدًا أنه قال لى إنى أحبك من قبل، والآن ها هو يقولها لى، إنه يبدو محطمًا جدًا ومجروحًا، ولكن ذلك جعلنى غاضبة أيضًا لأنه كان مثل الفخ الذى ينصبه لى، أقصد أنهما لوثانى بالقذارة عندما كنت أعيش معهما، وأنا الآن خارج سيطرتهما، فإذا به يقول لى: "أنا أحبك...".

كان يمكنه أن يقول ذلك فى أى وقت مضى لكى أستطيع أن أصدقه.

- "انظر يا أبى، أرجو ألا تجادل، فقط وألا تحاول معى، لن أعود، أنا الآن أقضى وقتًا ممتعًا".

- "جيما أنت فى الرابعة عشرة من عمرك..." ثم سمعت أصواتًا فى الهاتف، وأظن أننى سمعت صوت والدتى.

- "هل هذه أمى؟ هل يمكننى التحدث إليها؟".

استطعت سماعها من بعيد، وكانت تقول: "جرل... جرل... هل هى يا جرل"؟.

وكانت دائمًا تنادى أبى بجرل، الله أعلم لماذا كانت تناديه بهذا الاسم بـــرغم أن اسمه كان آندرو.

فقال لها: "دقيقة واحدة فقط"، ثم قال لى: "لماذا تفعلين ذلـــك؟ هـــل تقـــومين بمعاقبتنا؟ ألا تعتقدين أنك فعلت ما فيه الكفاية؟".

ضحكت بشدة، لم يكن لديه أى فكرة، أعاقبه؟ لقد كان ذلك اعتقاده وحده أنـــا لم أفعل له شيئًا. ولم يكن لدىَّ ما يدعونى لذلك.

أخبرته: "أنا- فقط- أقضى وقتًا طيبًا، لم يعد هناك أى شـــىء يمكـــن فعلـــه معكما".

قال أبى: "أعتقد أن هناك شيئًا ما تقومين به معنا يا جيما، قد حان الوقت لإيقاف كل ذلك، هل تدركين مدى الألم الذى تسببت فيه لأمك؟".

بدأت أشعر بالحزن، أولاً لأنه كان يحبنى، ثم إن ما فعلته معه ومـــا أفعلـــه الآن قد أصبحت أفعله الآن مع أمى أيضًا، فوضعت رأسى على الميكروفون وقلت: "لا أعتقد أنه يمكننى تحمل ذلك".

كان روب يقول: "احتفظى بهدوئك... احتفظى بهدوئك".

قالت للى: "إنك تتصرفين ببراعة يا جيما، أنت تتصرفين بطريقـــة جميلـــة، واستطعت أن أسمع والدتى تقول فى الهاتف: "ما الذى تقوله يا جـــرل؟ مـــا الـــذى تقوله؟".

فقلت: "دعنى أتحدث إليها فقط".

قال: "ما الذى يحدث؟ هل معك أحد؟".

- "لا تهتم لذلك، هل يمكنني أن أتحدث إلى أمي الآن؟".

- "إنها قلقة لدرجة المرض، تتصل بالشرطة، تتصل بالصحف، وليس هناك كلمة واحدة منك يا جيما، ليس هناك أي كلمة منك منذ أربعة أسابيع...".

استمر أبي في الحديث، وكنت أسمع أمي خلفه وهي تحاول أن تـصل إلـى الهاتف، ولكنه لم يكن يسمح بذلك.

- "لقد فعلت كل شيء من أجلك، ربما كان عليك التفكير فيها..." وبالفعـل كنت قد بدأت أجن لأنه لم يمكنني من التحدث إلى أمي، واستمر فـي ذلـك لأنهـا كانت في الحجرة، كان يسعده دائمًا القيام بأداء أدوارها.

قام روب بخطف الهاتف.

قال روب: "مرحبا بالسيد بورجان؟".

صرخ أبي: "من هذا؟ من هذا؟".

رد روب: "أنا صديق لجيما يا سيد بروجان، أنا أريد- فقط- أن أخبـرك أن لديك ابنة جميلة، وينبغي أن تكون فخورًا بها يا سيد بورجان".

قال أبي: "أوه. إذن هي مغرمة بشخص، أليس كذلك؟، أظن أنك تعرف أنها دون السن القانوني، من تكون أنت؟...".

جذبت الهاتف من يد روب، وكنت غاضبة جدًا، فقد كنت محرجة من أجله.

استمر أبي قائلاً: "جيما، جيما؟ أريد أن أتحدث إلى ابنتي الآن من فضلك".

ثم قامت للى بجذب الهاتف: "أنا أيضًا أعتقد أنها جميلــة، وإذا أردت أن تعرف أنا أيضًا تحت السن القانونى، ولا تبدأ فى القول لصديقى إنه يلعب بذيله ويخوننى مع أفضل صديقاتى، اتفقنا يا سيدى؟".

ثم بدأ الأمر يتحول إلى مشاجرة صغيرة، وراح كل واحــد مــنهم يــصرخ ويحاول خطف الهاتف ليخبر أبى بما يريد، ووقف تار لكى يستمع إلى مــا يُقــال، وهو يصيح: "دورى... دورى"، كان صوته مرتفعًا جدًا، وأمسك بالهاتف ثم قربــه من أذنه وظل واقفًا، وقد استطعت أن أسمع صوت أبى يذهب بعيدًا، وصوت دقات صغيرة ضئيلة وهمهمات، ولكن تار كان واقفًا يستمع فقط، وأعتقد أنه كان يريد أن يسمع فقط، ولم يكن لديه أى شيء يقوله، ووقفنا صامتين نراقبه، ثم تبدلت القرقعــة الخافتة، واستطعت التعرف على صوت أمى.

قال تار: "مرحبًا بالسيدة بورجان".

قالت أمى: "مرحبًا دافيد؟ هل ابنتى هناك؟ أريد أن أتحدث إليها من فضلك"، فقام تار بإعطائى الهاتف، وهو ينظر إلىّ نظرة صغيرة لطيفــة، وتجمعــوا كلهــم حولى ورءوسهم قريبة من السماعة لكى يستمعوا إلى ما سيقال.

قالت أمى: "جيما... جيما. هل هذه أنت؟ هل أنت حقًا؟"، وكنــت مــسرورة جدًا لسماع صوتها ونسيت كل ما فعلته معى.

قلت لها: "ماما! مرحبًا ماما؟ ماما! أنا أحبك"، وكان روب يهز رأسه وللــى تهتف: "هيه... هيه".

سألت أمى: "هل أنت على ما يرام؟ هل تأكلين بشكل كاف؟ هــل تحتــاجين لأى شيء؟".

– نعم يا أمى، أنا بخير. وعلى ما يرام وكله تمام، كيف أنت؟".

– "جيما. عودى للبيت من فضلك، عودى إلى البيت... من فضلك..."، ثم أخذت فى البكاء.

أردت أن أحتضنها وأعانقها وأتعلق بصدرها، كان يجب علىَّ أن أغلق الخط، لقد استطعت الاتصال بها، وقد أغضبنى أبى، ولكن أمى هى فقط التى جعلتنى أحبها.

أخذت أغمغم: "لا أستطيع العودة، ليس الآن يا أمى، وسآتى عندما أستطيع"، وكنت على وشك البكاء.

قالت: "أواه يا جيما... أواه يا جيما..."، ولم تستطع حتى الكلام، كانت تبكى كثيرًا.

تمنيت ألا تبكي. واستطعت أن أسمع أبى يحاول استعادة الهاتف ولكنها جذبته منه، كان يتراجع إلى الخلف رافعًا صوته، وقد أفزعنى ذلك.

قلت: "ما الذى يحدث الآن؟".

قالت أمى: "لا تغضبى من والدك يا جيما، إنه فى حالة مرعبة، إنه لا ينام ولقد أعطاه الطبيب أقراصًا مهدئة".

أحسست بالتقزز حينئذ، ولكن تار جاء ووضع يده على السماعة لذا لم تستطع أمى أن تسمعه يقول وقال: "مدمن لعين".

كان ذلك مضحكًا جدًا، ومقززًا أيضًا، ساد الصمت لحظة، ثم بدأ كل واحد فى الضحك فى صمت، صفقت للى وخبطت بيدها على فمها، وانزلقت على

الأرض، وأخفت وجهها بيديها، أخذت أعض على شفتى كى أتوقف عن الـضحك، وجززت على أسنانى وقلت: "ما نوع هذه الأقراص؟".

- "أقراص منومة، أنت تعلمين أنها حقًا أقراص قوية".

أمسك روب وتار بعضهما ببعض.

قالت أمى: "إنه فى أسوأ حالاته".

كنت أضحك وأضحك وأكركع، وكان يجب علىَّ أن أفعل ذلك كلـه بـدون انزعاج، كان ذلك مضحكًا جدًا، كل هذه الأشياء عنه، الانزعاج بشأنى، وهكذا كان يقضى الوقت فى ابتلاع الأقراص وتدخين السجائر، وقامت للى من علـى الأرض وهمست: "اسأليها هل سيرسل لنا بعض هذه الأقراص، سنعطيه سعرًا جيدًا...".

كنت أحاول جاهدة لكى أمنع نفسى من الضحك، وكانت أمى تقول: "لا بـد أنها مسطولة أو شىء من هذا القبيل...".

وبالطبع جعلنى ذلك أقهقه مرة أخرى، لم أستطع التوقف عـن ذلـك، لقـد أصبنا جميعًا بحالة ضحك هيستيرية، ثم بدأت أمى فى البكاء مرة أخرى، فأحسست بالقرف لذا قلت: "انظرى يا أمـى توجـد بعـض المـضايقات الآن، ولا يمكـن الاستمرار هنا وسأتصل بك فيما بعد..." وأغلقت الهاتف، وأخذنا جميعًا نزأر مـن الضحك بطريقة هيستيرية، وشعرت بنوع من الصدأ بداخلى وبالقرف أيضًا، ولكنه كان قرفًا مضحكًا فى نفس الوقت... لم يستطع أى منا مقاومة الضحك، كان روب يحملق فى تار ويقول: "أنت ملعونة"، وهو لا يزال يضحك ويقـول: "آسـف... آسف"، لكننا لم نستطع التوقف عن الضحك.

عاودت الاتصال بأمى فيما بعد بنفسى، وكان كل شىء على ما يرام، ورأت أمى أنه قد حدث بيننا نوع من التفاهم الوجدانى كما أظن، وجعلته يبدو كذلك كما قالت، ولكننى ظللت أفكر فى ذلك طوال الوقت، وظللت أنفجر ضحكًا بقية اليوم.

وعندما تقبلت فكرة أننى لن أعود للمنزل مرة أخرى أبدًا أصبح الحوار بيننا واضحًا، لكنها ظلت تقاطع، وتأخذ فى البكاء أحيانًا من فرط ما كانت تشعر به من حسرة وألم؛ لأننى كنت أتصل بها المرة تلو الأخرى، فقد كرهت ذلك لأنه لم يكن له أى فائدة أو أثر حسن.

كان أبى على ما يرام أيضًا، وكنت أحاول أن تكون المحادثة عادية، ولكن ذلك لم يتعد: "كيف حالك أنت؟ كيف الطقس عندكم؟"، وأشياء من هذا القبيل، وكان أبى يخبرنى أحيانًا بأنه يحبنى، ولكنه لم يستطع أن يظهر كل ذلك فى المحادثة التليفونية، وبدأت أعتقد أن الأمور كلها قد أخذت فى التحسن بينى وبين أمى بصفة عامة.

كان فونى وريتشارد يأتيان من حين لآخر، لكننى لست على يقين من أنهما كانا يفعلان ذلك لأنهما يحباننا أم لكى يتمكنا من العناية بنا ورعايتنا، كان ذلك لطيفًا منهما، أنا أحبهما، حتى فونى، وهى الآن لا تستطيع أن تكون مثل العمة الحكيمة المجربة، وأصبحت ترى كل شىء على ما يرام، يجب أن تأخذوا فى اعتباركم أنهما لم يكونا على علم كامل حتى بنصف الحقيقة، لم أخبرها بكل شىء، مثل الهيروين مثلاً، لم أخبرهما عن ذلك لأنهما لن يفهما؟ فهما لديهما مخدراتهما مثل الحشيش والمواد سريعة التأثير والجعة، ولكننى لا أعرف إذا كان يوجد لديهما مخدرات كالهيروين أم لا، وقد أطلب منهما يومًا ما أن ينظرا إلى وجهيهما لرؤية آثار المخدرات.

نعم يوجد الكثير من المخدرات هنا، فالمخدرات مجرد جزء من الحياة، سعادة، تجارة، إنها تطير بك إلى أعلى ثم تلقى بك إلى أسفل، وتجعلك تشعر بأنك فى أحسن حال، إنها تأخذك إلى كوكب آخر أحيانًا، وينبغى عليك أحيانًا أن تجد طريقك للعودة إلى الأرض مرة أخرى.

أنا أعرف فيم تفكرون، أنتم تفكرون وتقولون عنى أولاً إنها مدمنة أو تاجرة مخدرات، فهى بعيدة عن منزلها منذ ستة أشهر، وهى الآن مدمنة أو تاجرة مخدرات بالفعل.

أنت أيها الطفل الملل لقد غسلوا مخك، انظر إن المخدرات ظريفة، إنها تجعلك تشعر بأنك فى أحسن حال، هذا كله، حقًا إنها قوية وذلك هو سر خطورتها.

كذلك هى الحياة، لو كنت مضبوطًا وتحت السيطرة فإنك- عندئذ- تكون بخير، لكنهم لن يجرءوا أن يقولوا لك ذلك بالطبع، ليس لكى يبعدوك عن المخدرات أولاً، لا، إنهم يحبونها ويريدونك أن تحبها أنت أيضًا، إنهم يريدون فقط أن يتأكدوا أنك ستأخذ الأنواع التى يريدونك أن تأخذها فقط، إن ذلك كله جزء من مخططهم للتحكم الكبير فى عقولنا وتوجيهها لكى نتصرف حسب رغبتهم، التبغ، الخمرة، العقاقير والحشيش والأحماض والمخدرات السيئة.

فكر فى ذلك الأمر، ما دور الزجاجات الصغيرة فى دولاب الأدوية الخاص بوالدتك؟ كم مرة تتناولها فى اليوم، كم مرة تظن أن هذه العقاقير أسر لا غبار عليه، فهى تيرول- مرة كل ثلاثة أشهر- عندما تنتهى الروشتة إلى الطبيب لتحصل على المزيد، إنهم يسمونه العلاج.

شكرًا، أنا أستطيع أن أعالج نفسى، لست فى حاجة إلى المزيد من الخبراء أو المتخصصين ليقولوا لى ما العلاج المناسب لى.

ماذا عن ابن العم جون، إنه يعيش حياته مدخنًا عشرين سيجارة فى اليوم، يملأ الهواء بسمومه، وينفث هذا الدخان فى وجه ابنه ويراقبه وهو يحاول الإمساك بالدخان ويضحك ملء شدقيه لذلك، ماذا عن والدك، هل يذهب إلى الحانة كل ليلة ليتناول ثلاثة أقداح أو أربعة أو خمسة من الخمر؟، يمكنك أن تعرف عنه الكثير لو صورنا صوره بالأشعة، ورأينا ما الذى آل إليه حاله من الداخل، وكيف أصبح شكل صدره وأمعائه بعد كل تلك السنين، ثلاثون عامًا أو أكثر وهو على هذه الحال، إنك لا تعرف ما الذى حدث له، بعد أن تذهب إلى فراشك بسلام فسوف تسمع قرقعة وصوت مشروب من زجاجة فى كوب بعد انطفاء الأضواء، ألق نظرة على محلات الشراب وسوف ترى.

سيقبضون عليك ذات يوم ومعك لفافة حشيش فى يدك ويقولون- يا إلهى- إنها مسطولة من المخدرات... ثم تأتى الشرطة ومسئول الخدمة الاجتماعية، ويخبروا المدرسة، ويفحص المعلمون عينيك فى الصباح، ويحولونك إلى مركز الرعاية، وقبل أن تدركى أى شيء سوف تصلى إلى حالة من الهوس والجنون، وبذا تكون كل أحلامهم السوداء قد تحققت بالفعل، إن كل ذلك هو نوع من التحكم العقلى، شركات التبغ، شركات العقاقير، شركات الخمور، لقد جعلوا ذلك متاحًا وفى متناول الأيدى، ولا يوجد أى خطأ فى تناول أى مادة موجودة ومتاحة ويتم تداولها والإعلان عنها والدعاية لها، إن التبغ يجعلك تشعر منتعشًا وهانئًا وجميلا كما لو كنت فى خيمة أكسجين وسقالك مستورتان، اذهب إلى الطبيب، وتناول هذه الأدوية، ستجعلك تشعر بالتحسن فى هذه الأثناء، سوف يقومون بإغراق أسواق

دول العالم الثالث بكل المواد التى ليس لها أى نفع، وسوف تـستيقظ ذات صـباح لتجد طفلك بلا أذرع وبعين واحدة فى منتصف عنقه.

لا...شكرًا...

نعم، أنا أحب أن أدخن القليل من الحشيش، وأحب أن أستنـشق قلـيلاً مـن البودرة لأنها تجعلنى أشعر بأننى فى أحسن حال، وأحب أن أعترف بأن الهيـروين هو الأفضل، أقصد أنه الأفضل أما المـواد الأخـرى... حـسنًا... المـشروبات الحمضية تجعل أفكارك تنتعش وتشعر بأنك تعيش حالة خاصة بهـا، والحـشيش يوقظ أحاسيسك، ولكن مع الهيروين أ أ لا لا لا... يمكنك- فقط- أن تجلس فى أى مكان طوال اليوم حتى لو كان بالوعة وستشعر أنك **س سعيد ج جدًا**.

سوف تشعر أنك تطارد التنين... نعم، إنه مثل السحر الـصيني، وسيـصبح هذا الدخان تنينك الصينى، وعندما تستنشق هذا التنين فـى داخلـك وينتـشر فـى عروقك، وكما قالت للى، ستشعر بأنك أفضل من أى شخص آخر، ستـشعر بأنـك أفضل من تشرشل بعد انتصاره فى الحرب، وأفضل من رجـل الكهـف عنـدما اكتشف النار، ستشعر بإحساس روميو عندما ذهب أخيرًا إلى الفراش مع جوليت.

ذلك هو سر خطورته، يجب أن تكون قويًا لتشعر بهذه السعادة، لأنه سينبغى عليك أن تفتح الباب مرة أخرى وتقفز إلى الخارج و... تذهب إلى العمـل، أو أن تتصل بوالدتك، أو أيًا كان ذلك الشيء الذى ينبغى عليك فعله فإنك لن تجرؤ غالبًـا على ذلك، لأنه إحساس يساوى مائة مليون دولار من الشعور بالسعادة، إنـك لـن تجرؤ على تناوله لكى تستطيع الهروب فقط، لأنك عندما تعود إليه مـرة أخـرى، فقد لا تحبه كثيرًا، نعم... لأنه لكى تتعاطى الهيروين ينبغى أن يكـون لـك حيـاة حقيقية ملكك.

لا إنه خطر حقًا، حتى

أنا أعرف ذلك، لقد اعتاد روب وللى تناول شيء ما، وكان ذلك قبل أن يذهبا إلى بريستول عندما كانا لا يزالان يقطنان مانشستر، لقد مارسا القليل من الضياع هناك، لا سيما روب، الذى مر بوقت عصيب ولكنه نجح فى طرد ذلك من رأسه، وكان يعالج لمدة شهر، عندما انتقلنا إلى هنا لنعيش معًا.

أما للى... حسنًا فقد كانت شيئًا آخر مختلفًا، وكان روب يقول إنها اعتادت تناول كميات كبيرة فى مانشستر، لكن عندما رأت مدى ما كانا يعيشان فيه من ضياع ومعاناة حزما أمتعتهما وذهبا إلى بريستول وتخلصت تمامًا من كل ذلك، ولم يكن هناك مشكلة على الإطلاق، ثم أصبح دمها نظيفًا وخاليًا من المخدرات، لكنها عادت كما كانت من قبل، عادت مرة أخرى لتناول جرعات وجرعات من المخدرات، إنها تخيفنى لأنها تتعاطى الكثير، وهى تقول إنها تفعل ذلك لأنها أقوى بكثير من أى شخص آخر... حسنًا... إنها كذلك فعلاً.

أما روب فإنه لم يدمن الهيروين أبدًا، إنها الحقن، وكان يتعاطى شيئًا ما يحقنه فى ذراعيه، واعتاد أن يحقن نفسه حتى بالجن والفودكا، بل كان يحقن نفسه بالماء أحيانًا إذا لم يجد أى شيء آخر، كان يفعل ذلك قبل أن نجتمع ونعيش سويًا، ولكن الأمور أصبحت مختلفة الآن، كان الهيروين قويًا بالتأكيد، ولكننا كنا أقوى، وينبغى أن تكون قادرًا على التوقف، وأن تبدأ ذلك عندما تريد أنت، مثلما نفعل عندما نأخذ قليلاً من البنج، أو عندما نرقد فى الفراش لعدة أيام أو أسبوع، كلنا استسلمنا لمدة أسبوع أو أقل ذات مرة، أنا وللى وروب وتار، لكننا قلنا الشيء الصواب، لا مزيد من ذلك لأسابيع قليلة، وفعلنا ما قلنا، ويمكننى فعلها غدًا أيضًا.

مرة أخرى حفرنا الحديقة وزرع تار نبات الهندباء، وقام فعلاً بزرع شجرة ضخمة على جدار حائط غرفة نومنا، وقد بدأ هذا العمل بمجرد انتقالنا إلى هنا لأول مرة، وعندما يكتمل نموها فإنها سوف تغطى الحائط كله، يجب أن تروها وتروا منظرها، الخلفية السوداء في المؤخرة، وهذه الأسهم المدهشة من اللونين الأصفر والبرتقالي.

وهو يقول لي: "إنها مثلك أنت، ذات أوراق ملونة"، ولم يزل يقول لي هذا الكلام أحيانًا، ويصفني بأنني شجرة هندباء، وهو يقول لي هذا الكلام عندما نتبادل العواطف في الليل، فيهمس قائلاً: "إنني لا أريد أن أصفك بأنك مثل الفراشة المنقطة أو الليدى بيرد مرة أخرى بل أنك مثل شجرة هندباء، هندباء، هندباء، أنا أحبك".

لقد توقف عن قول هذا الكلام لبعض الوقت، ولكن عندما تناول المخدرات في ذلك الأسبوع كف نهائيًا عن قول هذا الكلام، وأحضر روب بدراجته البخارية، وكانت ملقاة على الأرض منذ أن انتقلنا لهذا المكان بدون أن يلمسها، ثم ركبها، وركب لها عجلات وركبها، ووضع الموتور في مكانه، وسوف يقوم بركنها قريبًا مرة أخرى، ثم يهملها نهائيًا بعد ذلك كما أتوقع.

لم يكن من الصعب أن ينتهي كل شيء، ويمكنني أن أفعل ذلك وأتوقف عن تناول الهيروين مرة أخرى في أي وقت أشاء، وعندما أريد ذلك، وسوف يصبح كل شيء على ما يرام.

(١٦)

تـــــار

إنه يوم شتوى جميل.

هنا فى بريستول لا تحس بالصقيع الشديد، لقد شق البحر قنـــاة بريـــستول، وجعلنا جميعًا غارقين فى الضباب والبرودة، ولكن اليومين الماضيين كانا بـــاردين حقًا، وبالأمس كانت توجد بلورات صغيرة من الثلج على كـــل الحـــوائط وأوراق الأشجار والأغصان، يوجد فى هذه المدينة الكثير من الأشجار، واليوم كان هنـــاك صقيع مرة أخرى، وأصبحت بلورات الأمس الثلجية أكثر ضخامة، كما لو كانـــت أرض الجنيات الأسطورية، زهور الثلج فى كل مكان يقع عليه البـــصر، وعنـــدما أدركت ذلك خرجت وظللت واقفا أشاهـــد ذلك المنظر لعدة ساعات.

ذهبنا أنا وروب وسال لنتزحلق على الجليد فى طريـــق ريتـــشموند، كـــان الطريق زلقًا بالفعل، وقد واجهتنا عدة مشكلات أثناء سيرنا عليه، وعندما وصـــلنا إلى القمة استطعنا أن نجلس على لوح كرتونى ونتزحلـــق لمـــدة أميـــال هـــابطين إلى الميدان أسفل التل، ومكثنا هناك مدة طويلة، ولخرجنا جيما وكـــول للتزحلـــق حتى للى خرجت فى النهاية، لقد نسينا كل شىء ثم جـــاء هـــذا الـــشخص الكبيـــر الأسود، ومر بنا، وبدأ فى لفت نظرنا إلى أن هذ الممر خطر علينا، وفقـــدت للـــى أعصابها كالمعتاد.

صرخت للى قائلة "يا ابن السفلة، مت بغيظك"، إن للى تعرف حقًا كيف تصبح فتاة سليطة اللسان بنجاح منقطع النظير.

لم تخرج للى كثيرًا بعد ذلك، قالت: "إن الناس هنا مستقيمون أكثر من اللازم "كانت قد اعتادت القيام بالتسوق معنا فى الصيف، ولكننا لم نعد نفعل ذلك كثيرًا الآن.

قمنا أنا وروب ببعض الأعمال التجارية البسيطة هذه الأيام، ليس من أجل المال، لم يكن لدينا أبدًا الكثير من المال، ولكنه كان كافيًا لكى نشترى بعض التبغ والحشيش والقليل من المخدرات من وقت لآخر، وكان يمكننا سرقة أغلب الأشياء، ولكن ليس من الشطارة أن تسرق المخدرات، ذلك لأنها بخلاف أى شىء آخر ملك لأصدقائك.

والتجارة شىء حسن لأنها عمل، أنت تتجول وتزور أصدقاءك، وتشترى القليل وتبيع القليل وتأخذ القليل، ويكون لدينا عادة النقود الكافية لشراء الطعام والمخدرات، لذا لم نكن مجبرين- كثيرًا- على أن نقوم بعمليات سرقة المشتريات، وهذا شىء لطيف لأنه على الرغم من أن السرقة مسألة ظريفة فإنها يمكن أن تضيعنا إذا اضطررنا لأن نفعل ذلك كل يوم.

كان روب فى السادسة عشرة من عمره ويمكنه التوقيع على عقود العمل وما إلى ذلك، وكانت للى ستبلغ السادسة عشرة خلال أشهر قليلة، ولكننا كنا فى هذه الأثناء نحصل على ما نريد بأنفسنا.

حقًا لقد انخرطت- قليلاً- فى عمليات سرقة المحال، وجعلت جيما تحوك لى جيوبًا ضخمة فى معطفى لكى أستطيع إخفاء ما أسرقه فيها، وقد اعتدت الذهاب

إلى السوبر ماركت، أدخل إليه ثم أخرج منه وأنا منتفخ بما سرقت من بضائع، كنت أفعل ذلك- حتى مع روب، وكانت هذه المحاولات خطيرة جدًا لأن روب كان من طبقة اجتماعية أخرى.

كان روب منغمسًا فى ذلك منذ أن كان طفلاً، وكان معتادًا ذلك ومدربًا عليه، فقد نشأ فى مقطورات القطارات والسيارات واللوريات، وقد اعتاد أن يدخل إلى كابينة أى شخص فى المساء منذ أن كان صغيرًا، ثم يبدأ بالزحف فيها، ويختفى خلف المقاعد والطاولات، وكان يحطم الأطباق عندما لا يراه أحد، هل تستطيع تخيل ذلك؟.

كان روب يقول: "تدريب وممارسة فى مجال سرقة المتاجر"، ولم يتم القبض عليه أبدًا طوال حياته.

حقًا كان الصيف جميلاً، لكن الآن جاء الشتاء، إنه بارد، وأنا أرى أنكم لا تتوقعون أنه سيكون شتاءً جيدًا، أنا أتذكر تلك الليالى التى كنا نقضيها فى الحديقة بجانب النيران، لقد كانت- حقًا- هى الصيف بالنسبة لى، نار كبيرة كنا نجعلها مستمرة فى الاشتعال طوال الليل، وعندما تأخذ فى الانطفاء كان يأتى أحد الأشخاص ويغذيها ببعض الأخشاب، وكانت هناك تلك الأرجوحة، هل سمعتم عنها، أنا وروب على الشجرة الكبيرة التى فى نهاية الحديقة، كانت شجرة ضخمة قوية الجذور، تحطم الحوائط فى الجانب الآخر وتحطم الصخور أيضًا...على أية حال، لقد تسلقناها وقطعنا بعض الأغصان لعمل هذه الأرجوحة، وكان ينبغى علينا أن نخوض حربًا مع للى من أجل ذلك؟ لقد أصابها الجنون، وقالت نحن نقتل هذه الشجرة، واستمرت فى قول ذلك، ولكن عندما انتهينا من إقامة الأرجوحة، وكانت مصنوعة من حبل طويل قوى يبلغ حوالى خمس ياردات طولاً مربوطًا بعارضة

من الخشب فى نهايته، وكان ينبغى عليك الذهاب إلى الجانب الآخر من الحديقة لجذب الحبل نحوك إلى أعلى... ثم نتركها لتتأرجح.

كانت أرجوحة مدهشة، ليس فى طولها فقط، ولكن لأنها كانت تذهب بك بعيدًا خلف الحديقة وعبر الطريق، كان الناس يسمعون صوتها فى الهواء، وهم سائرون، أو وهم يقودون سياراتهم أو يجلسون فوق دراجاتهم، وهى تحلق فوق رءوسهم، وكأنها نسر عملاق أو شيء يهبط عليهم من السماء، أو يطير فوق رءوسهم، لقد اعتدنا التأرجح ونحن عرايا بدون أى ملابس، وكان الناس يكادون أن يتصادموا بسياراتهم، كنا مثل الغاز أو الدخان الذى لا يمكن الإمساك به، ولا يمكنك تخيل أنك تقود سيارة لفترة طويلة، ثم تظهر أمامك فجأة هذه الفتاة العارية، وهى طائرة فى الهواء.

كنا جميعًا نحب بعضنا، ومغرمين بحب أنفسنا، لا نزال أنا وجيما كذلك بالطبع، وعندما أعادتنى إليها كنت سعيدًا جدًا، كنت سعيدًا جدًا فعلاً، لقد أحسست- بحق- أننى وصلت إلى مرساى، وأننى أصبحت أنتمى لشيء ما، كنت عصبيًا فى البداية، وكنا أنا وهي نتعالى على بعضنا، لأنها كانت تريد المزيد من الحرية فى الأيام القليلة التالية، ولكن الأمر لم يكن كذلك أبدًا.

كانت تفتقدنى حقًا، وهى لم تدرك ذلك إلا بعد أن ذهبت بعيدًا عنها، لقد أرادتنى بشدة، وعندما عدت إليها كانت مغرمة بى بمقدار حبى لها، كان ذلك معجزة، وفى الصيف كنا نجلس بعضنا إلى جوار بعض ساعات وساعات أمام النار وأيدينا متعانقة معًا، وكنت ممتنًا جدًا وسعيدًا لأن بعدى عنها جعلها تحبنى بذلك القدر المدهش.

لا زلت أحبها، ولكنه حب مختلف الآن، أنا لم أعد أحتاجهـا، وإذا أبعـدتنى عنها فسأكون منزعجًا حقًا، ولكننى أعرف جيدًا أننى سوف أستمر فى حياتى، وإذا عدت بعد ذلك فسوف أحس بأن ذلك هو نهاية العالم.

ربما كان ذلك هو الاختلاف الذى حدث لى هذه الأيام، إننى قد تعودت على الإحساس بهذا الشعور بأن الحياة تندفع أمامى ويجب علـىّ أن أجـذبها إلـىّ وإلا فقدت كل شىء، ولكن عندما انتقلت للعيش هنا أخذت أتذكر أننى قد أصبحت قادرًا على السيطرة على نفسى الآن، وأحسست لأول مرة بأننى أمتلك حياتى فى يـدى، وكنت فى الماضى أكافح مستميتًا لكى أجعلها تظل معـى، ولكنـى الآن تركتهـا تذهب، ولم أكن أنا الذى سقط، ولكنه باقى العالم هو الذى ابتعد إلى أعلى أو إلـى أسفل، لا أعرف، لقد ابتعد فقط.

كانت المشكلة مع تجارة المخدرات أنه كان هناك دائمًا مخدرات، لذا فأنـت تنحنى دائمًا لكى تلتقطها... ولكننى سعيد لأننا لسنا مضطرين للقيام بالسرقة، فقـد كان لدينا عدة أماكن قريبة وزبائن بالفعل، وكان هناك إحـدى المـرات التـى اضطررنا للهروب فيها، لذا صمم روب وكول على الحصول على تـصريح عمل، وذهبت بمفردى بدون أن أعرف لماذا، لقـد فعلـوا ذلـك مـن قبـل عدة مرات، ولكن هذا النوع من الأشياء كان جديدًا علىّ ولم أكن على علـم به من قبل.

وصلنا إلى المكان الذى كنا نقصده، وأوقف روب دراجتـه، وانـدفع إلـى الداخل من خلال النافذة مباشرة، ثم صدر صوت الإنذار وكان مرعبًا، وظننـت أن العالم كله سيكون فوق رءوسنا، فهبطنا جميعًا إلى أسفل وكنت بطيئًا نوعًا ما.

كنت قد انشغلت جدًا بمراقبة الشارع من أوله إلى آخـره، ولكـن رفيقـى الآخرين هبطا إلى أسفل وأمسكا بصفارات الإنذار بأسرع ما يمكن، وكـان ذلـك تصرفًا حسنًا، لكنى كنت بطيئًا نوعًا ما، لأننى رأيت شرطيًا قادمًا نحـوى، وكـان يقطع الطريق ذهابًا وإيابًا بجانب ناصية الطريق، صرخت قائلاً: "خنازير"، فحمـل كل واحد منهما ما استطاع حمله وقفز إلى الشارع وهو يقذف علب البيرة ويحطـم زجاجات النبيذ.

واصلنا سيرنا إلى السكة الحديد قاطعين الطريق، وكـان رجـل الـشرطة ينتظر عند آخر الكوبرى، وسمعنا الشرطة آتية من على طول الطريق، حتى وصلت إلى منتصفه واستمرت الشرطة فى مطاردتنا، وقامـت بقطـع جـانبى الطريق علينا، وكان لديهم رجال منتشرون على طول الشارع، أقصد كأنهم كـانوا فى حملة لمطاردة ما يساوى خمسة جنيهات من الممنوعات لكنهـا تكلفـت آلاف الجنيهات، ولو كانوا قد أعطونى نصف هذا المبلغ، كنت سأكتفى به ولا أقوم بـأى عمليات سرقة لمدة ستة شهور تالية، كان لديهم ميكرفون أيضًا، وأخـذوا يقولـون من خلاله: "نحن نعرف أنكم بالداخل... اخرجوا يا شباب وسنرى ما يمكننا عملـه من أجلكم".

نعم، بالتأكيد.

ظللنا مختبئين خلف الشجيرات ونحن نضحك، كنت قلقـا قلـيلاً بالفعـل، أخذت أفكر فى نقطة ما، حيث إننى كنت أعتقد أنه كان من الأفـضل بـأن نسلم أنفسنا، وأنت تعرف كيف كانوا يستمرون قـائلين :"أنـه مـن الأفـضل أن تستسلموا، أو سوف يرأف القاضى بحالكم وينظـر إلـيكم بطريقـة أفـضل إذا استسلمتم الآن، وإلا سوف نطلق عليكم الكلاب".

ولكن كول وروب كانا يعرفان ماذا سيحدث أفضل منى، لقد كانا يعملان فى ذلك المجال طوال حياتهما، لذا ظللنا ساكنين فقط، وبعد قليل شعر الخنازير (رجال الشرطة) بالملل فذهبوا، وبعدها ذهبنا نحن أيضًا.

كنت خائفًا جدًا- بالفعل، ولكن كان من المضحك إعادة النظر فى الأمر كله، لم نعد نقوم بفعل هذا النوع من الأشياء الآن، لأنه أمر خطير جدًا، إذا أتـوا إلـى منازلنا سيكون ذلك خطيرًا حقًا، وبصرف النظر عن حقيقة أننى كنت أقوم بتجـارة المخدرات على نطاق ضيق، فإنهم كانوا سيضايقون للى أيضًا لأنها تعيش حالة من الضياع التام، على الرغم من أنه لم يوجه لها أى كلام أو حديث عن ذلك.

أنا لا أعرف ماذا كانت تفعل، لكن ربما كانت تعرف ما الذى تفعله، أحيانًـا أكون مؤمنًا جدًا بالاعتقاد بأن لديها قوى خاصة، وهى تعتقد ذلك أيضًا، هل تعرف ذلك الكتاب الذى أحضروه لى، إننا لا نزال نحتفظ به، أنا أحتفظ به فى درج، يوجد به صندوق مغلق جيدًا وجدناه فى برميل القمامة، وهو صندوق خشبى قـديم بـه خيوط حريرية وبداخله هذه القطعة من الحرير، إيشارب أو شىء من هذا القبيـل، وكان قديمًا حقًا، وجدناه فى البرميل أيضًا، إنه مذهل، ربما كان عمره سبعين سنة أو مائة أو أكثر، وقد ارتدت إحداهن هذا الإيشارب عندما كانت صغيرة وجميلة فى التاسعة عشرة أو العشرين من عمرها، ثم أصبحت عجوزًا، واحتفظت بـه بعيـدًا لأنه ملىء بالذكريات، ثم ماتت وألقى به الذين أتوا من بعدها إلى الشارع، ولكننـا وجدناه، لذا لم يذهب هباء، وكان الكتاب ملفوفًا داخل الإيشارب الحرير، وقد أسمته للى "إنجيل السماء" بسبب هذه الملحوظة التى قلتها عندما رأيته لأول مرة، لقد ظل روب يرددها، "أشعر أننى قد امتلكت السماء".

قامت للى بإشعال بعض أعواد البخور والشموع، وملأت الغرفة بالرائحة وبضوء الشموع، ثم أخذت الكتاب وأخرجته ببطء شديد وبعناية شديدة.

- "يا إنجيل السماء ما الذى سنقوم بعمله اليوم؟"، ثم جعلت الكتاب يسقط مفتوحًا، آخر مرة التقيناه فيها ظهرت لنا صورة لامرأة عارية، ليست صغيرة بل مسنة وممتلئة، وكانت جالسة على مقعد ذى أذرع تدخن سيجارة، وتنظر إلى خارج النافذة، وكان الدخان قد ملأ الغرفة وتناثر فى المكان، لم تكن المرأة جميلة أو أى شيء، ولكن الصورة كانت جميلة حقًا، كما أعتقد.

سألت جيما: "ماذا يعنى ذلك يا للى؟".

قال روب: "هل يعنى ممارسة الجنس على مقعد ذى ذراعين؟".

لقد كان يسخر حقًا من هذا الأمر، وقد أغضب ذلك للى كثيرًا، فأدارت عينيها وفكرت بعمق ثم قالت: "لا، إنها تقول أننا سنتعاطى بعض الهيروين اليوم...".

وغرقنا جميعًا من الضحك ولكنها- حقيقة- قصدت ذلك، لذا انزعجت بحق.

قلت: "غريب، لقد كان ذلك ما قلته في آخر مرة".

ربتت للى على الكتاب، وقالت: "أنا أتخيل أن إنجيل السماء يعرف كيف يحظى بوقت جيد".

ولم أستطع أن أنجح أبدًا فى معرفة ما إذا كان ذلك لعبة يلعبونها أم أنه... ولكننى أظن أنه إذا كان بيننا شخص ما ساحر فإنها ستكون للى، إنه شيء غريب، إنها تقاتل أحيانًا بشراسة ضد أى نوع من الشعوذة، وفى أحيان أخرى تتصرف كأنها ملكة السحر، لن تعرف أبدًا ما الذى يدور فى صدر للى وعقلها، كانت تقلقنى

أحيانًا، وكانت تعتقد أن أى شىء تفكر فيه ولو بالصدفة هو شىء مثير ومذهل ويفوق الخيال، أما مشكلة جيما فهى أنها كانت تعتقد أن كل ما تفكر فيه للى هو شىء مثير ومذهل ويفوق الخيال.

حاولت أن أتحدث فى ذلك الأمر مع جيما فى اليوم التالى، ولكنها انزعجت، واعتقدت أننى خفت، وقالت لى ينبغى أن أبتعد عن المخدرات، ولم أكن منزعجًا من ذلك الأمر ولا خائفًا على نفسى، فأنا لم أتعاط أى شىء لمدة يومين لمجرد أن أثبت لنفسى فقط أننى قادر على ذلك، ولكننى بالفعل منزعج من أجل جيما، وأنا يمكننى قبول الأمر أو رفضه، ولكن جيما لن تقول لا أبدًا.

إن إحدى المشكلات أننا جميعًا نقوم بعمل نفس الشىء، ويوجد دائمًا واحد منا يريد الاستمرار فى القيام بهذا الأمر، بالطبع لم نستخدم الإبر فى تعاطى المخدرات، فقد أصبح لدينا إحساس أكبر من ذلك... ولكن ربما كنت أنا فى حاجة للراحة، ولكن جيما كانت تشعر بأنها تريد بعض المخدرات، حتى إذا أردنا أنا وجيما التوقف عن التعاطى، فإن للى ستجعلنا نعود إليها أو روب أو سالى...، إن التعاطى مثل العدوى التى تنتقل من فرد لآخر فى جماعتنا.

ولكن كل شىء سيكون على ما يرام، وينبغى علىَّ فقط أن أتذكر أننى فررت هربًا بعيدًا عن أمى وأبى. وإذا كنت قد استطعت الهروب منهما فإننى أستطيع الهروب من أى شىء آخر مهما كان.

(١٧)

جيما

سيكون لدىَّ أطفال يومًا ما، وسوف أنتقل للعيش فى الريف فى أحد الأيـــام، وأزرع الأزهار والخضراوات، ربما سأمتلك محل زهور صغير، وقد أبيع النباتات التى أزرعها، وفى الصيف عندما أحتاج إلى التخلص من أفكارى فـسأتجول فـــى المهرجانات والاحتفالات وأقابل جميع أصدقائى فى يوم ما، ولكنى فتـــاة حـــضرية الآن، أعيش فى المدينة وكل شىء هنا يقع فى مساحة نصف ميل مربع، ويمكنـــك رؤية ذلك بنفسك، كما يمكنك أن تنحنى وتلتقط أى شىء تريده.

فى المدينة يجب أن يكون لديك نقود، وفى الأشهر الستة الأولى عشنا بدون أى شىء، ولكن بعد ذلك... حسنًا، فإنك تحتاج إلى النقود لعمل أى شـــىء، إنـــك تحتاج النقود من أجل ركوب الأتوبيس وللذهاب إلى الحانات، ولكى تشترى لنفسك الأغـــراض التى تريدها، الشىء الوحيد الذى ينبغى عليك عمله- فقط- هـــو أنـــك يجب أن تجد طريقة سهلة للحصول عليها، مثل العمل فى مـــصنع لمـــدة أربعـــين ساعة أسبوعيًا، لا... شكرًا، أنا أفضل أن أمكث فى المنزل.

علمتنى للى أن الحصول على النقود أمر سهل ويسير، ربما كان ذلـــك فـــى الربيع الماضى، كنا جميعًا مفلسين، وكنا نتعاطى بعض المخـــدرات، وفـــى ذلـــك الأسبوع كنا نتعاطى الكثير منها بالفعل، وكان من الظريف أن نتعاطى الكثير جـــدًا

فى لحظة واحدة، كان لدينا جراماه فى بداية الأسبوع، ثم أتت سالى، وكـان ذلـك تقريبًا فى نفس الوقت الذى أدارت فيه ظهرها لكول وتركته، ولكنها افتقدتـه بعـد ذلك، إلا أنها لم ترد أن تعود إليه، وكانت بعيدة فى زيارة لأخيها بمدينة مانشستر، لذا كان جسمها نظيفًا لأنها لم تتعاط أى مخدرات لمدة أسـبوع، وكانـت تلهـث، اشترت جرامين، وكنا نتشارك دائمًا فـى أى شـىء لـذا تعاطينـا جميعًـا هـذه الكمية معها.

ولم يكن ذلك أمرًا سيئًا جدًا ولكن ديف عاد بعـد ذلك من أمستردام.

كانت الأحداث تتوالى حدثًا تلو الآخر خلال ذلك الأسبوع، وكان لدى ديـف دائمًا بعض المخدرات، وكان يجلب لنا دائمًا كيسًا مملوءًا بالمخدرات فى كل مـرة يأتى فيها إلينا، ولم نكن نعرف كيف كان يجلبها، ولم أكن أعرف إلى متى سـتظل هذه المخدرات متوافرة لدينا، وبعد أن تعاطينا المخدرات شعرنا بالبرد، برد شديد، إنك تحس بالألم إذا أصبت بالأنفلونزا أو شىء آخر، حسنًا، أنـا- إذن- مريـضة، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إن الشعور بالهبوط ليس مـشكلة ولكـن الفـارق بـين الأنفلونزا والتعاطى هو أن كل ما عليك أن تأخذ غفوة، وتنام قليلاً وبـدلاً مـن أن تشعر بأنك مثل أى شىء قذر، فإنك ستشعر بأنك أفضل من أى شخص فى الكون، إن الذى يجعل الأمر صعبًا جدًا هـو أن كـل مـا يمكنـك أن تفكـر فيـه هـو المخدرات...المخدرات والمزيد من المخدرات.

لو كان ديف لا يزال هنا كان سيعتنى بنا، ولكنه ترك التعاطى منـذ ذلـك الصباح، وكان ينبغى أن نطلب منه أن يترك لنا القليل قبل مغادرته لكى نـستطيع تقليل الجرع التى كنا نتعاطاها تدريجيًا، ولكنه غادرنا فى وقت مبكر، ونـسينا أن

نطلب منه ذلك الليلة قبل الماضية، وكان التاجر الذى اعتدنا التعامل معــه يقــضى عطلة نهاية الأسبوع فى مكان بعيد.

وإلا كنا قد استطعنا أن نحصل منه على بعض المخدرات على الحساب، ثم ندفع له فيما بعد، لقد كان ذلك فظيعًا، وكانت هذه أول مرة تنقطع عنا المخــدرات فجأة، ولم أشعر بهذا الشعور السيئ من قبل، ولكن هذه المرة– لا أعــرف لمــاذا– بدت الأسوأ على الإطلاق، وأخذت أتعــاطى الآنــادين Anadin وكــل الأنــواع الأخرى، ولكنى لم أشعر بأى تحسن من أى نوع، ولا يوجد سوى شيء واحد فقط يمكنه أن يجعلك تشعر بأنك أفضل عندما تصاب بالبرد، إنــه المزيــد مــن المخدرات.

وكانت للى أسوأ من أى فرد آخر فينا، وظلت تشكو وتقول: "أنا حقًا مصابة بشدة، ورأسى لا تستطيع تحمل ذلك"، وكانت تكره الشعور بأن أحوالها سيئة، لأن ذلك الشعور كان ضد معتقداتها.

كانت للى جالسة ثم أخذت تقفز إلى أعلى وتذهب إلى الفراش وتعــود مــرة أخرى، وانشغلنا أنا وتار فى فترة بعد الظهر بمشاهدة أحد الأفلام، ولكن للــى لــم تستطع فعل ذلك، لقد انشغلت بلقائها مع سالى، ولم تخبرانى بما يدور بينهما، وأنــا أكره أن يهملنى الآخرون، وأخيرًا سحبت للى روب إلى غرفة النوم، لقد اعتقــدت أنهما قد ذهبا للقيام بما تعرفونه، لكنهما خرجا بعد خمس دقائق فقط، خرجا وارتديا معطفيهما، وعادت للى لارتداء جاكتها الشبيكة، كانت هذه المرة الأولى التى رأيتها ترتديه منذ أسابيع.

سألتهما: "إلى أين أنتما ذاهبان؟".

قالت للى: "عندما أعود سأجعلكم جميعًا تشعرون بأنكم على ما يرام"، وغمزت لى غمزة سريعة قبل أن تخرج، وابتسم روب قليلاً ثم خرجا.

ظلا بالخارج لمدة ساعتين، وسعينا أنا وتار لكى نجعل سالى تشعر بالدفء، ولكنها ظلت صامتة ومغلقة فمها، وكنت مشوقة لأعرف السبب وفى النهاية بدأت فى التفوه بالكلام، لذا ظللت صامتة، ولكننى كنت أحترق شوقًا من الفضول، ثم سمعنا صوتيهما فى الصالة، وعلمت أنهما قد عادا بعد أن نجحا فيما سعيا إليه، لأنهما كانا سعيدين، أتت للى تصيح صاخبة، وهي تمسك بالنقود وتقفز طائرة نحو السقف.

وراحت للى تصرخ "ياه، نقود ببلاش، نقود مجانية"، كان هناك قطعة كبيرة من الطلاء تتساقط من السقف، وأخذت للى ترقص فى الغرفة، وجذبتها سالى واحتضنتها وقبلتها، جذب روب الأوراق النقدية وانطلق ليشترى بعض المخدرات.

وتساءلت: "كيف حصلت على هذه النقود، كيف حصلت عليها؟"، كنت أعتقد أنهما قد سرقا شخصًا ما، ولكنها لم تقل شيئًا، وظلت ترقص فى الغرفة، وتشغل الموسيقى، وتزيد من إضاءة الغرفة، وتجهز المكان فى انتظار روب.

عاد روب بسرعة على غير العادة، فقد خرج منذ برهة قصيرة، خاصة أن المعاملة كانت مع تاجر مخدرات لا نعرفه كثيرًا، وأخذت للى دورها فى التعاطى أولاً ثم ابتسمت لى ابتسامتها العريضة، وقالت: "ستون جنيهًا، ليست سيئة فى مقابل عشرة دقائق عمل فقط، ايه يا جيما؟".

"أخبرينى إذن، استمرى، لقد كدت أجن".

قالت: "لقد تحولت إلى قارب صغير".

سألت سالى "ماذا يعنى ذلك؟ هل سرقت شخصًا ما؟ هل نشلت أحدًا؟".

ضحكت وهزت رأسها، كانت تراقب روب وهو يغرز الإبرة فى ذراعه كما لو أنها لم تشاهد أى شىء مسليًا كهـــذا فى حياتهـــا من قبل، أنا أيضًا لم أســـتطع الانتظار، فقد كنت مشوقة كثيرًا.

قالت لى: "لقد مارست الدعارة لمدة نصف ساعة".

تعجبت فقط، وظللت أسألها الكثير من الأسئلة، كيف فعلت ذلك؟، ما الـــذى كان ينبغى عليها فعله؟ أين فعلت ذلك؟ كم عدد الذين مارست ذلك معهم؟، كم مـــرة فعلت ذلك من قبل؟، كم المبلغ الذى قبضتيه؟، وقد انزعجت جدًا عندما ســـألتها ما إذا كانـــت قد استمتعت بذلك.

قالت وهى تنظر إلى روب: "إنه عمل يا جيما، لا أحد يحب العمل".

وفيما بعد عندما هدأت قالت لقد حدث ذلك بالصدفة، وأكدت أنها لم تـــستمتع بهذا الأمر على النحو الذى كنت أقصده، فقد شعرت بأنها كانت مثـــل المـــساطيل كانت كالمذهولة، وهو نفس الشعور الذى كانت تشعر به عندما كانت تسير وهـــى صغيرة عبر النهر على حافة كوبرى السكة الحديد الخطرة، لقد كانت جرأة منهـــا أن تفعل ذلك، وقد فعلت ما فعلته اليوم بنفس هذه الطريقة، فقد وقفت على ناصـــية الشارع، وهى تنتظر قليلاً على الطريق، ثم جاء الزبون فى سيارة وتوقف ودخـــل فى نقاش، ثم أظهر روب نفسه فعرف الزبون أنها ليست ملك نفسها، وأخـــذا فـــى الاتفاق، لقد اتفقوا على نوع الخدمة وعلى السعر أيضًا.

قالت لى وهى تبتسم: "كلنا نعرف ماذا كانت البضاعة".

ودخلت للى إلى السيارة وانطلقت بها بعيدًا، وأخذ روب يغدو ويروح على الرصيف وهو يقرض أظافره، ثم جاءت السيارة بعد برهة، وألقت بها إلى الخارج، وفى يدها نقود، حيث وجدته واقفًا ينتظرها، ثم عادت إلى مكانها مرة أخرى فى انتظار زبون آخر.

زبونان، عظمة يا بغى، ستون جنيهًا.

نعم، النقود سهلة، يمكنك الحصول عليها بالوقوف على قارعة الطريق والانبطاح على الظهر، أو فى المقعد الخلفى لسيارة شخص ما، إنك تستخدم جسدك كما يفعل الآخرون، نجارون، ميكانيكيون، بستانيون، يمكنك الذهاب إلى العمل والحصول عليه سواء فى محل أو أن تعمل لحسابك الخاص على ناصية الشارع أو فى المنزل، النقود سهلة، مثل أى شىء آخر، سهل متى علمت طريقة الحصول عليه.

أنا أعرف ما الذى تفكرون فيه، أنتم تفكرون، كم هو مرعب، يا له من حلم، يا له من شىء مقرف أو آه يا إلهى آه آه آه...

نعم كما تخرج من بيتك إلى عملك خمسة أيام فى الأسبوع، كما لو كنت تهبط إلى منجم أو تجلس فى مكتب كل حياتك بينما تشرق الشمس على إنسان آخر، كما لو تزوجت وأصبح لديك أطفال ثم اكتشفت أنه لعين ذلك الذى يستخدمك ويستغلك ويريد أن يعطيك أجر الخمس المرات أسبوعيًا مرة واحدة فقط، وأنك لا تستطيع أن تقول لا على الرغم من أنك تكرهه، وذلك كله فى أقل من أسبوع، لقد استطاعت للى أن تحصل على كل شىء فى ساعتين فقط.

من ذلك الذى يمص دماء هؤلاء الناس؟

ظللت مندهشة حتى بعد أن امتلأت بالهيروين، كنــت لا أزال مــشدوهة وأخذت أقول "أنت لم تفعلى ذلك؟ إنك تجرين رجلى وتريدن أن تقودينى إلى فعــل هذا الشىء، أليس كذلك؟".

- "كنت داعرة صغيرة لمدة نصف ساعة فقط، الآن أنا للى مرة أخرى، وأنا الآن أحظى بقضاء وقت طيب...".

استقبلت فونى وريتشارد هنا فى اليوم التالى و... أوه... لم أستطع أن أقاوم ذلك، وأخبرتهم بما حدث من ممارسة للى مع عدة زبائن، لقد أعجبنى ذلك الأمــر، وبدا على وجوههم أنهم يحاولون أن يتفهموا ذلك؛ لأنهم كانوا يكرهــون أن يبــدو عليهم أنهم رافضون لذلك، فقد كانا يعتقدان أنهما كانا يتبادلان القيام بدور "الــسيد والسيدة"، اللذان يراعيان أمورنا؛ لذا كان ذلك الأمر شيئًا مدمرًا حقًا بالنسبة لهمــا مثل كسر أقفال البنوك وتدخين المخدرات.

أنا أبلغ الخامسة عشر من العمر فقط، وقد فعلت أشياءً لا يستطيع أى منهما أن يجرؤ على فعلها، وعندما أخبرتهما أننى كنت أشارك فى تلك اللعبــة، جلــست فونى لبرهة تحاول أن تحدد موقفها من ذلك، ثم قالت: "إن ذلك مقرف يا جيما".

قال ريتشارد: "حسنًا، يمكننى تجربة أى شىء لمرة واحدة فقط، ولكننــى لا أنصح بأن يكون ذلك مهنة ومستقبلاً".

كان ذلك قولاً صائبًا حقًا، وكان ريتشارد يدهشنى أحيانًا بالفعل، أنــا كنــت سأخبركما... لأننى لم أستطع مقاومة ذلك، لقد كانا جالسين هناك وكانا يريــدان أن يعرفا ما الذى أنوى فعله، لذا فكرت أن أعرض عليهما كل شــىء، ثــم شــمرت أكمامى وأظهرت لهما علامات التعاطى ومكان حقن الإبر فى ذراعى.

لن أجعلك تشعر بالملل من التفاصيل، شعرت بالأسف لأننى أزعجتهما، واستمرا وتماديا فى ذلك كثيرًا، وبرغم أننى قلت لهما ذلك بالفعل، فإن ذلك لم يكن يهمنى، وعلى الرغم من أننى أحب الحديث عن الهيروين، فإننى لا أحب التحدث عن ذلك طوال اليوم، إن الهيروين يفتننى، ما الذى يفعله بك؟ كيف يستجيب له الناس؟ ولكنهم كانوا يفزعون كثيرًا عندما أخبرهم بأنى كنت أتعاطى وأعيش تلك المشاعر لعدة ساعات.

قال ريتشارد: "سوف تذرفين الدموع على ذلك".

ضحكت لأنهم لم يكونوا يعرفوننى.

قالت فونى: "كل واحد يعتقد أنه أقوى من الهيروين"، ثم قالت وهى مجروحة: "إن الهيروين يجعلك تشعر بذلك، ولكن سوف تكون هناك حالات وفاة".

قامت فونى وراحت تدور فى الغرفة مثل ملاك يوم الحساب، وقالت: "سيموت بعضكم".

كان هناك رفيقان (شاب وفتاة) من صغار السن، وبعض الفتيات المتسولات الصغيرات اللاتى قمن بعمليات صغيرة لبيع المخدرات، وأخذن يمشين على البساط ويحملقن فى فونى كما لو أنها قد جاءت إلى هنا من أجلهن، وكان ذلك غريبًا.

قال تار: "أنتما تعرفون كل شىء عن ذلك، لقد كنتما مشاركين فيه، أليس كذلك؟".

وبالطبع كان ينبغى على فونى أن تعترف بأنها لم تحاول ذلك، وبدأ كل واحد منا فى الضحك منهما بعد ذلك، لكن فونى وقفت شامخة فى كبرياء وقالت مرة أخرى: "سيكون هناك موتى".

قالت لى بظرف: "نعم. كلكم ستموتون! نعم".

كانت ترقص عبر الغرفة مثل شبح، كانت فى أفضل حالاتها فى ذلك اليوم؟ مثلما كانت فى الحفلة التى قابلتها فيها لأول مرة، رقصت لفونى وغنت لها: "عيشى بسرعة وموتى صغيرة يا صغيرتى قبل أن تصبحى عجوزًا".

نظرت فونى إليها كما لو كان سيغمى عليها، كما لو كان ليس لديها الحق فى التفكير بهذه الطريقة.

استمتعت جدًا بهذا فى ذلك الوقت، لكنهما كانا يحضران أكثر من اللازم، سواء معًا أو كل واحد بمفرده، وكان كل ما يريدانه هو الحديث عن ذلك الأمر، وأصبحت أظن أنهما كانا أكثر إدمانًا منى.

كنا نجد شبابًا صغارًا يشترون المخدرات أحيانًا، كنت فى الرابعة عشرة عندما بدأت، وأنا الآن فى الخامسة عشرة ونصف، لكن بعض هؤلاء الأطفال كان فى الثالثة عشرة، كما رأيت بعض الأطفال ممن يبلغون الثانية عشرة يتجولون طالبين للمخدرات، وكنت أشعر بالذنب لبيع المخدرات لهم، ولكنى كنت أتساءل ماذا يوجد أمامهم غير ذلك لكى يفعلوه؟، إنهم لم يهجروا منازلهم للحصول على فرصة صغيرة للحياة مثلى، لقد غادروا منازلهم لأنهم كانوا يحتاجون للهروب.

إنهم لم يستطيعوا أن يتعاملوا مع حياتهم فى المنزل، لكن المشكلة الحقيقية هى أنهم لا يستطيعون أن يتعاملوا مع الشارع أيضًا، إنهم لا يتعاطون المخدرات لقضاء وقت ممتع، إنهم يتعاطونها لكى يهربوا، إنهم لم يدخلوا اللعبة للحصول على النقود، إنهم يفعلون ذلك من أجل البقاء والحياة فقط، فقد كان يجب عليهم العمل فى

مقهى أو فى مدرسة أو يكونون ناضورجية على الناصية، كان الأمر مختلفًا معهم.

لم يكن عليهم- حقًا- أن يدخلوا فى اللعبة، بعيدًا عن أى شىء آخر، أنا لا أثق فى الرجال الذين يريدون الفتيات الصغيرات، ولكن لا توجد طريقة أخرى للحصول على النقود وهذا الأمر ينطبق علينا نحن أيضًا.

فما الذى كان لدينا غير ذلك لكى نبيعه؟.

إن ذلك هو أقصى ما تستطيع فعله لو كنت أقل من السن القانونى، لا يمكنك إلا الحصول على بعض الأعمال التافهة حيث تعملين ساعتين أسبوعيًا فى أحد محلات الزبدة المستخدمة فى صناعة الحلوى، أو يمكنك قضاء بعض أيام الأسبوع تقعدين مستلقية على ظهرك...

هذه إحدى الفتيات الصغيرات التى أمر بها فى طريقى للعمل، كانت واقفة على ناصية طريق "بروك" تعرض فخذيها، وكان معها فتاها الطويل الذى لا يمكن أن يتعدى الرابعة عشرة، ولكننى لن أصنفها مراهقة، كانت تضع المكياج على وجهها وتلبس الأحذية ذات الكعوب العالية، وأعتقد أنها تظن أنها تبدو محنكة، ولكنها كانت تقوم بالفعل بتجارة جيدة لأنها تبدو كما هى بحق فتاة صغيرة ترتدى ملابسها.

إنها تقوم بعمل حيلة ما ثم يذهبان معًا، وينفقان النقود على الحلوى والهيروين، وعندما أتت إلى هنا حاولت أن أكلمها وأقول لها: "انظرى، يمكنك أن تكونى أى شىء تريدينه، ليس عليك أن تظلى معلقة هنا...".

نظرت إلىّ وتنهدت، إنها تحب أن تتهادى وتمشى بخطى بطيئة هنا، وأعتقد أنها تبحث عن الصحبة، وإذا اقتربت منها كثيرًا فسوف تتنهد وتقول: "هل أستطيع الذهاب الآن؟" كما لو كانت تريد تصريحًا منى لكى تغادر المنزل.

كنت أتساءل أحيانًا ألا يجب علىّ أن أوجهها إلى طريق الصواب؟، ولكن للى تظن أنها قد هربت من منزلها بسبب ما، وربما كان من الأفضل أن تظل حيث هى الآن، ربما كانت الآن تتحكم فى حياتها الآن بنفسها على الأقل، ولكننى أشعر شعورًا سيئًا بالنسبة لهؤلاء الأطفال اليافعين، إنهم يستحقون نوعًا ما من الحياة، أما أنا فقد حددت اختياراتى وأنا سعيدة بها، نعم أنا أسيطر على حياتى وأحبها، وأحب نفسى، وأحب تار، وأحب أصدقائى جميعًا.

المهم أننى أعرف حدودى جيدًا، أنا حساسة تجاه ذلك، تقول للى إننى أفعل أى شىء بحساسية حتى عندما أصل إلى قمة النشوة فى تعاطى المخدرات، حقًا! أنا أعتنى بنفسى، آكل جيدًا، وأجعل الزبائن يرتدون الواقى الذكرى، ولا أعمل فى الشوارع، وأقوم بذلك من خلال رسائل المتحدث الآلى، ولا أتشارك مع أحد فى الإبر، فيما عدا تار، أنا لست مدمنة، ويمكننى التوقف عن ذلك عندما أريد، وقد توقفت عن التعاطى لمدة أسبوع، أو أكثر من ذلك لمجرد أن أثبت لنفسى أننى لا زلت فى القمة، لست مصابة بمرض الإيدز، إننى لم أصب حتى بأى التهابات فى الحالب.

كانت للى تخرج وتعمل فى الشوارع، حتى بالرغم من أنه كان يمكنها الحصول على عمل فى غرف خاصة نظرًا لما كانت تحظى به من مظهر جميل، لكنها كانت تقول إنها لا تريد أن تعمل لحساب أى شخص آخر سواها نفسها، وهى تعتقد أساسًا فى السحر، إن الإيمان بالسحر على طريقتها للى يعنى أنها لن تصاب

بمكروه، بصرف النظر عما تفعله... وإذا فعلت ذلك فإنها تفعله لأنها كانت تقصد ما تفعله.

إنه شيء غريب ذلك الذى تعتقده للى، ولكن يبدو أنه كان فعالاً وله تأثيره الجيد معها، لا شيء يبدو أنه يؤذيها، أنا لا أقصد أنها لم تصب أبدًا، فهناك بعض الأشياء التى تحدث لها، فقد التقت يومًا ما بزبون قام بضربها وأخذ نقودها، وعادت بعين سوداء متورمة تبحث عن روب لأنه كان من المفترض أنه يهتم لهذه الأمور، لم تكن غلطته لأن ذلك الزبون أخذها وانطلق بسيارته قبل أن يتمكن روب من اللحاق بهما.

ولكن المهم أنها تعافت مرة أخرى وأصبحت على ما يرام فى خلال نصف ساعة، وعادت إلى الشارع فى تلك الليلة، كنت خائفة ومرعوبة من أن أخرج هناك مرة أخرى، ولكنها كانت هناك كالمعتاد، وكانت فخورة بذلك، وذلك هو سرها، أنها كانت فخورة بكل شيء يحدث لها، إنها تجعله شيئًا خاصًا ومتميزًا لأنه حدث لها.

اندمجنا أنا وسالى فى ذلك العمل المدهش فى دار "ديو" الصحية، إنه مكان ظريف ونظيف، كما أنه آمن أيضًا، لأنك تكون داخل الدار، والفتيات الأخريات حولنا، والإدارة لا تريد أن يحدث أى شيء وإلا فقدوا أعمالهم، إنك تحصلين على أرقى طبقة من الزبائن بينما كانت للى تضطر لتقبلهم كما هم مباشرة من الشارع، وكان من بينهم بعض سائقى الشاحنات الذين يظلون جالسين فى كبائن القيادة لمدة اثنتى عشرة ساعة، أما فى دار "ديو"، فإنك إن اعتقدت أن الزبون سيغتصبك فما عليك إلا أن تلقى له بالمنشفة، وتقولى له إننى سأعود عندما تنتهى من أخذ الدش.

وبالطبع فإن الإدارة هناك لا تريد أن يبتعد الزبائن عنا، لـذا لا يمكنـك أن تنتقى أو تختارى، ولا يمكنك أن تقولى: "أنا لا أستظرفه وسآخذ هذا بدلاً منـه"، إن ذلك ليس عدلاً بالنسبة لباقى الفتيات، ولكن إذا طلب منك شخص مـا أن تقـومى بفعل شيء شاذ أومؤذ فإنهن يرسلن إلى جو، وهو يقوم بطرده للخارج، والـرئيس جوردون طيب حقا، وإذا كان هناك شخص ما ضخم أو لا يمكنك تحمله فسيحاول أن يجعله يدفع مبلغًا إضافيًا، أو يتم التخلص منه بشكل ما، وإذا ظل الزبون يريـد ذلك، فإنه يقدمه إلى الفتيات الأخريات بمزيد من النقود، إنها عـادة تكـون إلـين لأنها– حقيقة– لا تهتم وتقبل أى شخص.

كنت أريد أن أتناول بعض المخدرات لكى أشعر بغيبوبة وأننى لـست فـى كامل وعيى، إنها خدمة عامة حقًا، وفى إجازة البنوك تجد هذا الصف من الرجال جالسين فى غرفة الانتظار، أقصد أنهم لا يحصلون على ذلك فى المنـزل مـع زوجاتهم، أو أنهم يخجلون لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يجدوا فتاة خاصة بهم، لذا يأتون إلينا، وإذا لم يكونوا قد جاءوا من أجلنا خصيصًا فمن المحتمل أنهم قد خرجوا إلى الشوارع لاصطياد فتيات أصغر منا، وأنا وسالى لدينا نكتة عن ذلـك الموضوع، "آه... أنت اليوم فى مهمة انحراف جنسى خاصة".

كنت أحصل على ثلاثمائة جنيه فى بعض الأسابيع، وإذا استمررت على هذا الحال حتى أصل إلى الخمسين من عمرى، وأنا أكسب ثلاثمائة جنيـه فـى كـل أسبوع، فإننى سأفكر فى العودة إلى أهلى وأجعلهما يريان ذلك، ليس ما أفعلـه ولا ما أكسبه أيضًا، فربما يكونان قد خمنا أو توقعا ذلك، أنا سأجعلهما يروننى فقط، أى سأريهما نفسى فقط، وبذا يمكنهما أن يريا أننى أبلو بلاءً حسنًا.

لكن لن أذهب الآن؟ أحب أن أنتظر حتى يصبح جسمى نظيفًا من المخدرات قبل أن أذهب إليهما، أنا أعرف أننى أعمل كثيرًا جدًا، أنا أعرف ذلك.

أنا أخطط لأن أظل مستقيمة بلا تعاط لعدة أسابيع، سأذهب لأراهما وقتهـــا، كنت أنوى أن أتصل بهما... ولكن ذلك لم يرق لى، لأننى لا أتحمل التحدث إليهما هذه الأيام ولا حتى أمى، أنا أفتقدها ولكننى لا أستطيع التحدث إليهما، سأذهب إليها يومًا ما، ويمكننى الانتظار أعنى أنها لن تموت غدًا، أليس كذلك؟.

(١٨)

تـــــار

منذ أن تحسنت.

أصبحت سعيدًا بهذه الطريقة.

وأفضل هذه الطريقة.

أفضل وأفضل وأفضل.

وسأظل هكذا.

لوركى

عندما أطل من خارج النافذة وأنظر من أعلى إلى طريق المدينة، أرى كـــل المنازل والنوافذ والأبواب التى فيها، وكذلك الحجرات التى خلف النوافذ والأبواب، أنا أشعر كما لو كنت أنظر إلى غابة أو إلى محيط عميق، وخلف الشوارع يوجـــد البلوكات والمكاتب والمبانى والمحلات التجارية، وعلى التل كانت توجد مجموعـــة من البلوكات العالية كالأبراج، إنها تبدو كبلوكات متراصة فى هذا الفضاء.

أنا جزء من مجموعة قبلية كبيرة، نحن نحيا خلف النوافذ والأبواب، وأحيانًا نخرج إلى الشوارع بسرعة للتسوق أو ليزور بعضنا بعضًا، وفى هذا الجزء مـــن المدينة توجد البيوت والشقق المرصوصة واحدة فـــوق الأخـــرى، ويوجـــد عـــدة

مجموعات قبلية ذات أصول عرقية واحدة تعيش جنبًا إلـــى جنـــب، فالآســـيويون يديرون محالهم أو يحرسون منازلهم، والهنود الغربيون والأيرلنديون والبولنـــديون وغيرهم من الناس الذين يحبون هذا ويفعلون ذاك، كل هذه المجموعـــات العرقيـــة اختلطت ببعض وانصهرت معًا، وإذا دخلت فى حياتهم فـــستجد مـــنهم اللـــصوص ورجال الشرطة والتجار، لم أكن أحتك كثيرًا بالآخرين، كنت أراهم فقط لأنه كـــان لدىَّ حياتى الخاصة التى أعيشها، جاء إلينا ريتشارد ذات يوم لكى يودعنـــا، كـــان ذاهبًا فى رحلة إلى جنوب شرق آسيا، إلى تيلاند وبالى ثم سيذهب إلى أســـتراليا، وقد أراد أن أذهب معه، فضحكت وسألت: "لماذا؟ ليس لدىَّ أى نقود".

فقال: "أنا سوف أقرضك".

لكننى هززت كتفى فقط.

إنه يعتقد أننى أستحق أن يعرض علىَّ ألف جنيه بدون أن أفعل أى شـــىء، إننى مستمر فى حياتى، وأقوم ببعض الأعمـــال، بـــدون أن أحـــاول... ومـــا زال ريتشارد يعتقد أننى أستحق أن يعطينى ألف جنيه، أنا أعرف أنه يقول إنها ســـلفة، ولكن أنا وهو كلانا يعرف أننى لا أستطيع أن أرد هذا المبلغ إليه، وذلك بـــصرف النظر عن مدى حسن نواياى، كنت أعرف بالطبع ما الأمور الكامنة خلف كل ذلك، فهو يعتقد أننى كنت سأترك تعاطى المخدرات إذا سافرت معه، وقد اعتـــاد أن يأتى إلى هنا بانتظام لكى يلومنى على تعاطى المخدرات.

كان يقول لى...: "إن هذه المخدرات سوف تقتلك، إنها تقتلك، لقد أصـــبحت مملاً حقًا هذه الأيام".

فقلت له: "وكذلك أنت أيضًا".

فهز رأسه فقط.

قلت له "لا يجب عليَّ أن أهرب إلى قارة آسيا لكى أجعل نفسى أبدو جذابًا يا ريتشارد".

فقال لى "أتمنى أن تشعر أن حياتك أو موتك هو أمر سواء".

وكانت هذه هى المشكلة مع أغلب الناس، إنهم يريدون أن يحيوا إلى الأبـد، ولو أخبرتهم أنهم يحيون حياة واحدة فقط، وأنهم سـوف يموتـون خـلال ثـلاث سنوات، وهو أمر مناسب تمامًا، فإنهم سوف يكرهون هذا القول بـدون أى سـبب واضح، وإذا كنت تريد أن تموت قبل أن تبلغ سن العشرين فلن أناقشك أبـدًا فـى موضوع الهيروين مرة أخرى.

يجب عليك مواجهة الحقائق، كما أن هناك هذا الشيء المخيف حقًا الخـاص بما حدث لألان وهيلين، إننى لم أعرفهما جيدًا بعد، وأسعى للتعرف الجيد عليهمـا برغم أننى لا أتذكر أين قابلتهما لأول مرة، ولكنهما اعتادا أن يأتيا إلى مكاننا هـذا من حين إلى آخر لكى يحصلا على بعض جرع المخدرات، ثم اتجه آلان بعد ذلك إلى التجارة فيها، وكان من أكثر الشباب الذين قابلتهم فى حياتى أناقة، كان أسـمر البشرة، وكان جسمه مشعرًا جدًا، فقد كان صدره ويداه مملوءين بالشعر الأسـمر، وكان يتحتم عليه أن يحلق ذقنه مرتين فى اليوم، ولكنه لم يكن يفعـل ذلـك أبـدًا بالطبع، فقد كان يقوم بحلاقة ذقنه عندما كان يريد أن يبدو أنيقًا فقط، وكانـت لـه عينان جميلتان مثل الذهب السائل، كما كانت قسمات وجهه كلهـا جميلـة، وكـان يمكنه أن يعمل كمنيكان من فرط جماله، بل إنه كان أجمل من أن يعمل منيكانًـا، وكان الناس يعجبون به ويحملقون فى جماله، وكنت أنا أيضًا أفعل ذلـك، ولكنـه عندما كان يرى الناس يفعلون ذلك كان يشيح بوجهه عنهم ويلتفت للجانب الآخر.

كان يضحك دائمًا ويسير مزهوًا بنفسه، وكأنه موديل فى أحد المجلات، وكان يرتدى قميصًا سخيفًا حقًا، لامعًا ومرسومًا عليه صورة لتنين، أما هيلين فقد كانت شقراء وجميلة جدًا وذات أنف صغير، وكانت من مدينة برمنينجهام، وأنا أرى أنها فتاة ممتلئة بالحياة، ولم أكن أعرف لماذا كانت تصاحب ألان دائمًا، لأنه كان غليظًا إلى حد ما، أعتقد أنها كانت تصاحبه لأنه كان وسيمًا وجذابًا ولديه ثروة طائلة ربحها من تجارة المخدرات.

وعلى أى حال فقد كان لروب بعض المصالح معهما فيما يتعلق بتجارة المخدرات، كان لدىَّ بعض المخزون من المخدرات، وكذلك كان يوجد لدى جيما كمية قليلة منها، ولكننا لم نرد أن نشرك الآخرين معنا، لأن هذه الكمية كانت هى كل ما يوجد لدينا.

سارت الأمور على النحو التالى، فقد خرج آلان وهيلين من المدينة لتدبير بعض المخدرات، واتصلا بروب فى المساء ليخبراه بأنهما قد نجحا فى ذلك، وأنه يمكنه الحضور للحصول على نصيبه منها، فأتى مباشرة ورأى الأنوار مضاءة ودق الباب لكن لم يرد عليه أحد، فدق على الباب بقوة، وأخذ ينادى عليهم بصوت عال... ولكنه لم يتلق أى؛ إجابة لأنهما كانا فى طريق بروك الواقع على ناصية الشارع، ولم يكن روب يريد أن يحدث أى ضوضاء؛ لأنه ليس من المناسب إثارة الكثير من الضوضاء خارج بيت لتجارة المخدرات، لذلك قام روب بانتظارهما بالقرب من المنزل.

كانا قد اتصلا به على الهاتف منذ نصف ساعة فقط ولم يخبراه أنهما سوف يخرجان، فقال روب: "لقد أخبرتهما أننى قادم فى الطريق إليهما"، وكان يبدو عليه الاستياء وهو جالس على قارعة الطريق يقضم فى أظافره.

قالت للى: "ربما ذهبا لكى يعربدا قليلاً فى الخارج".

وكانت جالسة على الأرض وهى تلف ذراعيها حول ساقيها وجسمها كله ملفوف بسترة صوفية، وقالت: إنهما كثيرًا ما يتغيبان عن المنزل لبعض الوقت، حتى لو كانا يعرفان أن بعض الزوار سوف يأتون لتحيتهما".

وظل ينتظرهما لمدة نصف ساعة ثم عادا من حيث أتيا، وحدث نفس الشىء بالنسبة لنا حيث لم يجب علينا أحد عندما طرقنا الباب فشعرنا بالقلق عليهما؛ لأن آلان وهيلين لا يتركان المنزل ويخرجان أبدًا، ولو قالا إنهما سوف ينتظران فإنهما يظلان داخل المنزل، والجميع يعرف عنهما ذلك، لذا فإن الأمر لا يمكن أن يكون أنهما قد ذهبا لكى يعربدا قليلاً فى الخارج؛ لأن رجال البوليس كانوا منتشرين فى المنطقة كلها بعد ذلك بنصف ساعة.

وكان روب خائفًا ومفزعًا من أن يكونا قد خرجا، لأن البوليس كان يراقب المنزل، فذهبت ومررت أمام البيت لكى ألقى نظرة عليه، ولكنى لم أجرؤ على أن أطرق الباب، وعندما عدت كانت للى مستاءة حقًا، وأخذت تلوم روب وتلومنى وتلوم جيما لمجرد أنه كان لدينا بعض المخدرات بينما لا يوجد لديها أى شىء منها، وكانت للى تريد أن يأتى أى أحد، ويقفز إلى داخل المنزل الواقع فى الطابق الأول من الشباك الخلفى الذى كان مفتوحًا ويمكن الصعود إليه عن طريق التسلق على المواسير.

قال روب لتار: "تستطيع أن تفعل، فأنت فى حالة جيدة".

- "لا يمكن فعل ذلك".

- "أنت على حق، كيف ستقوم باقتحام مكان شخص ما وتهبط عليه".

وبدأنا فى الجدل حول ما يجب فعله إلى أن فقدت للى أعصابها وصرخت قائلة: "مجرد شخص ما لعين يذهب ويرتب ذلك الأمر، موافقون!".

ثم أخذت فى التجول حول المكان وتركت كل الأشياء، لقد تم جرحها بالفعل، وبدأت فى خبط الأبواب وإثارة الفوضى بيديها، لذا نظرنا أنا وروب لبعضنا وصممنا على الذهاب معًا، لم يكن لازمًا علينا أن نتسلق إلى النافذة وندخل، فقد تذكرت جيما أن صديقنا الآخر الذى يسكن قريبًا من آلان وهيلين كان لديه مفتاح احتياطى لاستخدامه فى حالة إذا أغلقوا الأبواب، لم يرد ذلك الصديق أن يعطينا المفتاح فى البداية ولكن أعطاه لنا عندما شرحنا له الأمر.

قال روب: "يمكنك أن تأتى معنا إذا أردت أن تتأكد أن كل شىء تمام" ولكنه لم يرغب فى ذلك.

فتحنا الباب ودخلنا، وبدت الأمور عادية فى أول الأمر فقد كانا جالسين فى مواجهة بعضهما على الكنبة، كانت هيلين متكئة قليلاً على جنبها وكان هو جالسًا يحدق مباشرة إلى الأمام كما لو كان يفكر فى شىء ما، ثم بدا الأمر غريبًا، فقد بدت كأنها نائمة وكانت عيناها مفتوحتين باتساع.

سأل روب: "هل أنت بخير؟"، واعتقدت فى البداية أنه كان يتحدث إلىّ لكنه لم يكن يفعل، وأدركنا حقيقة الأمر فى الحال، فقد كانت أجسامهم زرقاء، ثم رأيت الإبر مغروسة فى أذرعهما.

نظر روب إلى ثم دخل إلى الحجرة وظل يزحف هنا وهناك فاتحًا الأدراج وناظرًا إلى الأرفف، واقتربت لألقى نظرة عليه ولمست ذراعه فوجدته باردًا فعلاً، وكان روب يندفع خلفى أسرع وأسرع حتى ظننت أنه جن، لكننى لم أهتم للأمر

كثيرًا مثل روب، وكانا يبدوان على طبيعتهما ولكن بدون حركة، كان آلان لا يزال رائع الجمال، أما هى فقد فقدت قليلاً من وزنها مؤخرًا مما جعلها تبدو فى صورة أجمل، أردت أن أقبل خديها لأنى أعرف أنها لن تستطيع أن تستيقظ، لقد كانت مثل الجميلة النائمة.

كان كل ذلك واقعيًا جدًا، وظللت أنتظر أن يتحرك الآن، ثم انتظرت أن تتحرك هى، ثم انتظرت ليتحرك هو ولكنهما لم يفعلا، لمست خده مرة أخرى، وفكرت فى اللحمة الباردة.

همس روب: "اللعنة ابتعدى عنهما وساعدينى".

بدأنا فى إخراج بعض الأشياء من الأدراج وأخذناها وجرينا، ثم وجدنا المخدرات فى النهاية، كانا كيسين مليئين بالمخدرات لا يتعدى وزنهما أوقية واحدة، وكانت هذه كمية كبيرة من المخدرات، وهى أكبر كمية رأيتها فى حياتى.

قال روب: "ربما تكون هذه الكمية نقية أيضًا"، مشيرًا إلى آلان وهيلين فضحكنا... أنت تعرف، نقى جدًا وخام.

- "ما الذى سنفعله بهذه الكمية".

- "حسنًا إنهما لن يحتاجا كل هذا القدر من المخدرات".

أحسست كما لو أننا كنا نسرقهما، حتى بالرغم من أنهما كانا ميتين، وكان لدىَّ إحساس بأنهما كانا ينتظران، وحاولا خداعنا، نظرت إليهما وهززت كيس المخدرات كما لو كنت أقول لهما هل كل شىء على ما يرام؟ ثم لاحظت بعض التفاصيل التى لم أنتبه إليها من قبل، مثل تلك اللزوجة الرطبة الموجودة أسفل

أنفهما وفى عيونهما، ثم رأيت ذبابة تطير عبر هذا الوجـــه فهشــشتها، صـــرخت وجريت، وجرى روب خلفى، وهبطنا هذه الدرجات وخرجنا من المنزل فى ثوان.

عندما عدنا بتلك الأشياء إلى المنزل كنا جميعًا خائفين من اســتخدامها، ثــم سمع أحدهم أن الشرطة أذاعت إنذارًا فى الراديو عن المخدرات التى تحتوى علــى مواد سامة قوية تؤدى إلى وفاة المتعاطين، لقد اعتدت أن تأخذ جرعتك المعتــادة، انظر، إن الناس يموتون من التعاطى، وأقمنا حفلة من أجل تأبين آلان وهيلين، وقد ظل هذا الكيس موجودًا لفترة طويلة، واستغرقت الشرطة أسبوعًا كاملاً لكى يذهبوا إليهم ويدقوا عليهم الباب.

كنت أتصل بوالدتى أحيانًا.

كنت أفعل ذلك عندما أكون وحيدًا، وكان شيئًا خاصًا، ولم أكن أعرف لماذا كنت أفعل ذلك، فلم يعد هناك أى علاقة تربطنى بهما، ولكنى كنت أتصل لمجــرد أن أعرف ما إذا كانت أمى على ما يرام، أو ما الذى سيفعلانه، أو لكى أتأكد فقــط من أنهما لا يزالان موجودين فى ذلك المكان، أو ربما كنت أقوم بذلك لكى أبرهن لنفسى أنى أستطيع أن أتحمل ذلك الأمر، ويمكننى التعامل معهما هذه الأيام، كنــت أعتقد أحيانًا أنه ينبغى علىَّ أن أذكر نفسى أننى أستطيع السير فى هذا الطريق الذى اخترته، وأننى لا أزال مصممًا على فعل ذلك، وكنــت أدخــل الكابينــة وأمــسك السماعة، وأطلب الرقم، وكانت هى لا تزال موجودة هناك دائمًا، كما لــو كانــت قريبة منى كل ذلك الوقت، بدون أن أراها طوال هذه الأشهر.

كان لها طريقتها الخاصة فى الرد على الهاتف، وكانت تتكلم بــبطء، ربمـــا بسبب شرب الجعة، ولكننى أعتقد أنها كانت تنظر إلى نفسها فى المرآة التى فــوق الكنبة فى الطرقة حيث يوجد الهاتف، وهى تعتقد أنها تبدو هادئة بــسيجارتها فـــى

يدها وطلاء الشفا الذى كان يغطى شفتيها، وفستانها يسقط من على كتفيها، حقــا- إنها تظن أنها تبدو هادئة- لقد فقدت شخصيتها كلها بسبب هذا السم، وتظن أن ذلك يجعلها هادئة.

- "مرحبًا" تقولها كما لو كانت تمثل فى فيلم، وكان قلبى يظل يــدق كأنــه موتور سيارة.

- "هاى يا أمى".

وسرعان ما تتغير، كنت أستطيع أن أشعر بها تتحرك بسرعة، وأن أسمعها وهى تترك مشروبها وتقف، ثم سادت لحظة صمت، إنها تنتظرنى وتتركنى معلقًا، لقد اعتادت أن تتعامل معى بهذا الأسلوب المخيف فى تلك الأيام التى كنت أعــيش فيها معها، وكنت أتركها معلقة أيضًا.

انتظرتها حتى تتحدث.

راحت تسأل هل كنت محقًا فى ترك المنزل؟ وكيف جــرؤت علــى عــدم الاتصال بها من قبل؟ وهل أنا فى حاجة إلى أى مساعدة؟، وكم هى تفتقدنى، وهل لدىَّ مكان للإقامة؟، وكيف أنها تسمع دائمًا عن أولاد ينامون فى الشوارع وتــدعو كل ليلة ألا أكون واحدًا منهم.

ما الذى- من المحتمل- أن الرب يريد أن يسمعه منها؟.

- "لا يا أمى لقد نظمت كل شىء، شكرًا".

- "لكن يا عزيزى هل تحتاج لأى شىء؟".

- "أنا أتصل لكى أطمئن على حالك فقط، إنك لم تتركيه إذن؟".

- "إنه والدك يا دافيد". ثم سادت لحظة صمت.

- "يا عزيزى أخبرنى عن أحوالك".

وساد الصمت مرة أخرى.

- "أخبرك عن ماذا؟."

- "عن كل شىء".

تملكتنى الحيرة لمدة دقيقة، ثم سمعت مشروبها يجلجل بين أسنانها، وقلت فى نفسى، أوه، حسنًا، أنا أعرف ماذا ستفعل.

كان ذلك عاطفيًا حقًا، ليس لديها سوى هذه الحيلة الوحيدة، وهى تلعبها دائمًا المرة تلو الأخرى، لكنها لن تنجح أبدًا فى اصطيادى بهذه الحيلة، إنها نفس اللعبة القديمة دائمًا، تتركنى معلقًا، ثم تسألنى بعض الأسئلة الملتوية بطريقة غير مباشرة، أو تذكر بعض الملحوظات التى ليست صحيحة تمامًا، لكى تجعلك متوترًا، ويزداد توترك مع لحظات الصمت الطويلة، وينتهى بك الأمر بالهرب ودماؤك تغلى، وكل ما تستطيع أن تسمعه هو صوتها، وهى تسحب نفسًا من سيجارتها، أو من زجاجة مشروبها، لذا ينتهى بك الأمر بأن تقول أى شىء أو تعدها بأى شىء لكى تجعلها تعرف أخبارك.

وعندما توشك أن تتوصل إليها لكى تقول أى شىء، أى شىء، تقوم هى بإطلاق صاروخ موجه عليك مثل "إنه يضربنى دائمًا يا عزيزى..."، أو: "أعتقد أننى أصبت بالسرطان"، أو: "أريد أن أتركه، ولكنى ينبغى على أولاً أن أجد شخصًا لكى يساعدنى...".

لذا عندما كنت أسمع صوت أسنانها تصطدم بزجاج كأس الخمرة وتمتص سيجارتها، أظل صامتًا تمامًا ثم أقول: "ليس لديَّ أي شيء لأخبرك به".

فتقول: "يا دافيد" في صوت مجروح ثم تطلق عليّ الصاروخ بأي شكل: "إنه يقوم بضربي مرة أخرى".

ربما يكون ذلك صحيحًا، وربما لا، أظل محتفظًا بفمي مغلقًا لأجعلها تدرك بذلك الذي تحاول فعله معي وتشعر به، وقد نجح ذلك الأمر أيضًا، كان ذلك شيئًا مدهشًا، وبدأت الغمغمة ثم الغمغمة ثم الغمغمة ثم تتحول الغمغمة إلى غمغمة.

– "أنا لا أستطيع مساعدتك يا أمي، يجب أن تساعدي نفسك، وينبغي أن تتركي والدي، وكذا شرب الجعة، لن يستطيع أحد آخر مساعدتك بدون أن تساعدي أنت نفسك، ألا ترين ذلك يا أمي؟ ماذا أقول لك؟، أقول سأعود يا أمي إذا فعلت ذلك".

بالطبع أنا أعرف أنها لن تفعل ذلك أبدًا، أحيانًا يكون أبي موجودًا، ويأخذ الهاتف منها ويظل يسأل: "دافيد، دافيد؟ هل أنت بخير يا دافيد؟".

لم يكن لديَّ أي شيء لأقوله له، فقط أزفر في الهاتف "هـررررررر" بنعومة، ولكن بصوت مرتفع كاف ليسمعه، مثلما اعتدت أن أسمع تنفسها عندما تتركني أغلي من الغيظ، وهي تنفث دخان سيجارتها.

– "دافيد؟ هل هذا نوع من المزاح؟".

أستمر في الاستماع قليلاً ولكن حقيقة... ليس لديَّ شيء أقوله لأبي، لذا كنت أضع سماعة الهاتف، وأغلق الخط، وأسير في طريقي، وكنت لا أعرف إذا كنت سأفعل ذلك وأحمل عناء التحدث إليهما مرة أخرى أم لا، كنت أعتقد أنني لن أفعل ذلك مرة أخرى ولكنني كنت أعود لأتصل بها دائمًا.

وأخرجت الإبرة من ذراعها وأمسكتها بعناية ولفتها فـــى المنـــديل الـــورقى ووضعتها جانبًا، إن سالى دائمًا دقيقة ورقيقة.

كنا نستخدم دائمًا إبرًا مختلفة منذ بدأنا فى التعاطى، ينبغى أن تكون حساسًا.

لقد اعتدنا على التشارك بيننا، وهذه الأيام كنت أشارك تار فقط لأنـــه لأنه إذا أصابنى شىء كالإيدز فإنه سيصاب به على أية حال.

ثم قالت للى مباشرة: "سيكون لى طفل".

- "يا إلهى".

- "أوه، يا إلهى، ما الذى ستفعلينه؟".

وقالت سالى بحزن: "آه يا للى".

إن ذلك فظيع جدًا، وقد كانت سالى حاملاً منذ فترة وقامت بعملية إجهاض، وأحست بآلام شديدة لفترة طويلة بعد ذلك.

قلت: "هل أخبرت الطبيب؟ هل حدد لك موعدًا؟".

رمقتنى للى بنظرة حادة فأحسست بنفسى أندفع إلى الخلـــف فـــى الفـــراش، وذلك لأنها كانت عصبية جدًا، وهى لم ترمقنى أبدًا بمثل هذه النظرة من قبل، لأننا كنا أختين بالروح.

مالت للى نحوى قائلة: "اسمعى يا سيدة أخت، أنت تعرفينه ما الـــذى يفعلـــه الأطفال الموتى، إنهم يعودون مرة أخرى ويقومون باصـــطيادك، إنهـــم يمـــلأون المكان، أنا أراهم، نعم الأطفال الموتى يسبحون على السقف، ويبحثون عن أمهاتهم لأن أمهاتهم ألقين بهم، ولم يكن لديهم حياة...". وظلت سالى تنظر إلىَّ كما لو أنها

(١٩)

جيما

عندما يقوم بإغرائك فلا تستطيع أن ترفض.

إنها البرودة تتزايد وأنت تعرف.

إنه ليس لديك أى شىء لتفقده.

إنك تحتاجه.

لا ليس لديك شىء لتفقده.

أنت فى حاجة إليه.

الأشخاص الوحيدون

كانت للى مرتدية بيجامتها، إنها لن تخرج هذه الأيام تقريبًا لذا فهى ليست فى حاجة لترتدى ملابس الخروج، كانت تنظر إلى نفسها فى المرآة ثم تلتفت لتراقب سالى وهى تنزع الإبرة من ذراعها، وابتسمت هذه الابتسامة الكبيرة الخاصة بها، الخاصة بللى.

- "كيف أنت يا سالى".

تنهدت سالى قائلةً: "أفضل".

لم أكن في حاجة إلى قول المزيد، وكانت للى على الفراش، فنزلت وأخـذت تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، وتلطم على صدرها، وتحاول إيجاد الكلمـات المناسـبة، حبست أنفاسي فقط، وعندما تأخـذ في الشجار فلا بد أن تأخذ لك ساترًا، وقد كنت مستعدة لأن أختفي تحت الطاولة.

أخيرًا نطقت للى: "أستطيع إنهاء ذلك في أي وقت أريده...".

ضحكت سالى فقط، أقصد، إن ذلك لم يكن مضحكًا لكنه ربما كان كذلك في ظل ظروف أخرى، لا أستطيع أن أذكر عدد المحاولات التي حاولنا فيها التوقـف عن الضحك، فقدت الرقم، لا أعرف لماذا، لقد تعودنا أن يكون ترك التعاطي أمـرًا سهلاً، ربما لأن أعراض الانسحاب والكف عن التعاطي تصبح أسوأ بعد الاستمرار في تناول المخدرات لبعض الوقت، أولا تحدث لك ارتعاشات ثم تحـسين بـبعض الآلام، ثم تشنجات، تبدأ التشنجات والانقباضات في أحشائك ثم الـشعور بالإغمـاء والإحساس بأنك تغوصين في مستنقع كل خمس دقائق، ثم تأخـذ أسـنانك تؤلمـك وتليها عظامك، ثم تشعرين بأنك مريضة بألم في تجويف المعدة وتتقيئين مـا فـي معدتك، وكل ما يستلزمه الأمر هو مجـرد إبـرة صـغيرة والـسيدة/ هيـروين وسيجعلونك تشعرين... ممم، وظلت للى تقول ذلك فترة طويلة.

شعرت كأنني قد تلقيت صدمة عنيفة لأنه لم يحدث أبدًا من قبل أن ذكـرت للى أنها كانت تريد طفلاً، أقصد، بغض النظر عن المخدرات، فإن الطفل يمكن أن يكون طفلاً لأي شخص آخر.

رمقت للى سالى بهذه النظرة، لقد نظرت... وكانت سـالى جالـسة علـى السرير ولكنها بدأت في النهوض لأن للى بدت كما لو أنها كانت ستجثم فوقها...

قالت كل ذلك، بدأت أتذكر كيف أن للى كانت هادئة عندما قامت سالى بالإجهاض، لقد ابتسمت فقط ولم تقل شيئًا، الآن بدت سالى غاضبة وقلت فى نفسى أو اه...

- "أنا أقوم بقتل طفلى، إنه طفلى، لن يقوم أى أحد بقتل طفلى".

- "أنا لم أقل اقتليه".

- "أنا قلت سأحظى بطفل، سأحظى به، سيكون هناك طفل.

طفل يا جيما...".

نظرت إلى سالى، وقد بدت خائفة وقالت: "أنت فى اللعبة وأنت مدمنة يا للى، يجب أن تقومى بالإجهاض".

- "هل تقولين لى إننى يجب أن أقتل طفلى؟ هل تقولين لى... ؟".

- "ينبغى أن تقومى بالإجهاض من أجل طفلك".

- "أنت تريدين أن تقتلى طفلى؟ أنت تريدين؟ أنت تريدين قتله؟ هيا افعلى هيا إذن أنت ستقتلينه، افعلى ذلك الآن".

- "طفلك مدمن، طفلك بداخلك وأنت مدمنة وهو ملىء بالمخدرات مثلك، هل تريدين أن تلدى مدمنًا؟ هل ذلك كل ما تريدينه؟ هل ذلك مقدار محبتك له هذا اللعين؟".

كادت عين للى تخرج من رأسها: "أنا مدمنة لعينة. أنت تخبريننى أنه من الأفضل أن أموت لأننى أنا مدمنة؟ هل تقولين لى ذلك؟".

- "أنا أخبرك أنه ليس عدلاً لطفلك أن تحملى به بينما جسمك ملىء بالمخدرات، أىّ أم هذه...؟".

ثم التفتت للى فقط وخرجت من الغرفة.

كان ذلك فظيعًا.

جلست سالى وأشعلت سيجارة، لقد وقفت هنـاك فقـط، وقلـت: "فلنـدخن سيجارة"، وأعطتنى سيجارة، راحت تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا وأنا أدخن، وأحـاول أن أهدئ من روعى وتعاطت سالى القليل من المخدرات ثم قالت: "أعتقد أنه مـن الأفضل أن أذهب".

قلت: "لا تذهبى، لا تذهبى، سيكون الحال على ما يرام، سيكون كل شـىء على ما يرام".

أصبح وجهها شاحبا، ثم أصبح مزاجها أسوأ من مزاج للى، إنها لم تجر هنا وهناك وهي تصرخ، ولكنها كانت فى نفس حالة للى السيئة، وشغلت للـى بعـض الموسيقى فى الحجرة المجاورة، وأخذت ترقص عليها، وتشعر بجمال الموسـيقى، كانت أغنيتنا المفضلة "ترصدوا"، وأصبح صوت الموسيقى يملأ المنزل، إلا أن تلك الموسيقى لم تستطع أن تضفى علينا أى مشاعر ولم يستطع الـشعور بالراحـة أن يتسلل إلينا من خلال باب الغرفة بعد، ولكننى استطعت أن أتخيل للى وهى ترقص فى الغرفة الأمامية وهى تحاول استعادة نفسها.

قلت: "انظرى! ستكون بخير".

وكنا مستغرقتين فى الحديث عندما نفتح الباب ودخلت منـه للـى، كانـت ترقص وتحدق فىَّ وفى سالى، ولكنها كانت ترقص كأنهـا تحلـق فـى عالمهـا وفضائها الخاص، وكانت تغنى: "ترصدوا، ترصدوا واختبئوا...".

وأخذت للى بعض الأشياء من على الطاولة الخاصة بها، وبدأت فى ابتسامتها المعهودة... ثم جاءت وجلست على السرير وأحاطت سالى بذراعيها.

- "حسنا يا سالى؟ حسنا؟".

- "حسنا، أنا بخير".

- "حسنا، يا سالى، سنعود أصدقاء مرة أخرى، أختان بالروح...".

- "نعم، أختان بالروح... هه ؟" على الرغم من أنه كان يبدو على سالى أنها غير مقتنعة تمامًا.

استيقظت للى وبدأت فى السير ذهابًا وإيابًا فى المساحة الموجودة بين السرير والحائط، وقالت: "سيكون هناك طفل، حقًا إنها حقيقة بالفعل، إن كل ذلك كان من أجله. حقًا... طفل، حقًا؟. فكرى فى ذلك، سأكون أمًا، كل شىء سيتغير حقًا، وكما قالت سالى لا يمكننى التعاطى إذا كنت سأصبح أمًا. انظرى؟ لا أستطيع، لا يمكنك القدوم هنا للتعاطى عندما أصبح أمًا. انظرى؟".

قلت: "نعم، نعم، يجب أن تحتفظى بهدوئك".

- "سيكون هناك طفل، يا سالى، سأحصل على طفل، سأكون أمه وستكونين أمه، وكذا جيما وسنكون كلنا قد كففنا عن الإدمان لنحيا الحياة الحقيقية...".

نظرت إلينا وهى تتمنى أن نفكر مثلها وقالت: "إنكما لن تأتيا هنا للتعاطى، إنكما لن تقوما بإعطائى مخدرات عندما أكون حاملاً... ".

قلت: "لا، حقًا، لا"، حتى سالى كان تومئ برأسها.

- "انظرى"، كانت للى ترسم ابتسامتها العريضة على وجهها، عندما بدأت فى الشعور بتحرك الطفل فى أحشائها.

- "سيتم تغيير كل شيء، لن تدخنوا ولن تتعاطوا أى مخدرات عندما يكون هناك أطفال، ذلك جيد لكن الآن يجب أن نتحول إلى شيء آخر...".

بدأت أرى ما الذى كانت عليه، وأخذنا فى الحديث، لقد تغيرت بالفعل لمدة أكثر من شهر، سيكون لدينا جميعًا طفل فى المنزل من أجل الاحتفال بالكريسماس.

طفل؟

ذلك يعنى أنه ينبغى عليك أن تعيش حياة أخرى...

يمكنكم رؤية ذلك، أليس كذلك؟ للى لا تستطيع أن تتعاطى ولن نستطيع ذلك أثناء وجود طفل ينمو فى أحشائها. إن ذلك لن يكون عدلاً، وليس عدلاً أن تفعل كل هذا بمفردها دون مساندتنا لها، لذا فسنقوم بهذا العمل معًا، تمامًا مثلما كنا نقوم بفعل كل شيء معًا منذ أن تقابلنا، بصرف النظر عن اتحادنا مع للى، بصرف النظر عن اتحادنا مع الطفل.

وكانت هذه هى الطريقة التى حدث بها ذلك التغيير فى حياتنا. لأن كل ذلك بدأ فى أن يكون له معنى، وبعد عدة أيام لم يستطع أحد أن يتكلم عن أى شيء آخر.

بدأت للى وروب بالفعل فى وضع الخطط، وكان يجب على روب أن يجد عملاً، وينبغى علينا أن نرحل من طريق المدينة، يجب أن نواجه ذلك، إنه أمر جميل، وبدأت للى تدخل فى اللعبة بجدية، وستبدأ فى زراعة الخضر فى الحديقة، وفى تربية الدجاج وعمل كل شيء.

للى ستكون أمًا- بالطبع- بالطبع، لا أحد يمكنه أن يكون أمًا وأبًا سوى هى وروب، ولكن الطفل سينتمى إلينا جميعًا، سيقوم روب وتار بعمل أرجوحة فى الحديقة، أرجوحة واحدة صغيرة من أجل الطفل، حسنًا، وذلك بعد فترة طويلة عندما يكبر الطفل بما فيه الكفاية، ولكنه لا يزال صغيرًا، وسيذهبون بالخارج ليبحثوا فى الصناديق والبراميل عن جاكت وكل مستلزمات الطفل الأخرى، وسنقوم أنا وسالى بشغل خيوط الصوف- تخيلّ! أنا أشتغل تريكو؟ وأول شىء- الشىء الأكبر- هو أننا سنتوقف جميعًا عن التعاطى، هكذا، كان ذلك الأمر جيدًا لفترة ما. لا، أنا غير نادمة على ذلك. لماذا يجب أن أندم؟ حسنًا وهناك دائمًا ضحايا ومصابون، دائمًا يوجد عند عبور الطريق ضحايا ومصابون ولكن ذلك لن يدوم طويلاً، إنه وقت... وكلنا نعرف ذلك منذ فترة طويلة، كانت مسألة وقت فقط لمعرفة الشىء الصحيح والوقت المناسب، والآن قد حان ذلك الوقت، خصوصًا بالنسبة لللى.

إن الطريقة التى أنظر بها إلى الأمر هى أنه كان لدىَّ مشروع حب، لكنه انتهى الآن، مشروع حب بينى وبين المخدرات وقد انتهى ذلك. كان ذلك أمرًا صائبًا جدًا ويجب أن نتخلص جميعًا من ذلك الأمر عن طريق هذا الطفل الصغير، أنتم تعرفون؟ إنه مخلص مثل المسيح الطفل.

لكن هذا الطفل شىء مختلف، أليس كذلك؟.

أنا أتطلع إلى الإقلاع عن الإدمان، وأن يصبح جسمى نظيفًا مرة أخرى، والشىء المحبط بالنسبة للمخدرات هو أن الامتناع عنها يجعلك تشعر بالتحسن أولاً، ولكن بعد قليل، بعدما يعتاد جسدك على استخدامها تبدأ فى الاحتياج إليها لكى تظل طبيعيًا، أنت تعرف؟ لذا فإنك تستيقظ وتشعر بالقرف لأنك تتهاوى، مما

يجعلك تعود لتتناول بعض المخدرات لكى تشعر بأنك على ما يرام، وذلك هو كل ما ستشعر به، إنها مثل الدواء، وستصبح مثل سيدة عجوز يجب عليها أن تتناول أقراصها فى الصبح كى تستطيع أن تعيش يومها.

لذا فإن ما تفعله حينئذ هو أن تتناول المزيد والمزيد من المخدرات لمطاردة هذا التنين، مطاردة تلك القذائف والخبطات التى تدق فى رأسك، والجرى وراء ذلك الإحساس بأنك على ما يرام، وغالبًا ما تتناول المزيد والمزيد والمزيد.. ثم تمرض وتتوقف لعدة أيام.

ذلك هو الشىء السيئ حقًا، لكن عندما يكون جسمك نظيفًا خاليًا من المخدر فإنه سوف يعمل بكفاءة وعند ذلك تستطيع تلقى الخبطات وتحمل الألم... مممم.

كنا جميعًا نتحدث عن هذا الأمر وأدركنا أننا كنا- جميعًا- نشعر ونفكر بنفس الطريقة، وأخذت أشعر بالفزع، وكان روب وللى يقومان بالكثير من الأعمال كل يوم وقد قضينا أنا وتار أيامًا مليئة بالراحة على الأقل.

لكن تار كان يفزعنى بالفعل، لقد أصبح مولعًا بالانتقاد والسخرية، أنتم تعرفون تار، كان دائمًا فرحًا بالأشياء وعاطفيًا جدًا معى، كان يحضر لى زهرة، أو نخرج معًا لمشاهدة النجوم ليلاً، وكان كل شىء مدهشًا بالنسبة له، لكنه لم يعد يهتم لمثل هذه الأشياء الآن، وقد أصبحت لا أفهمه هذه الأيام.

أنا لا أشعر بأننى قد تغيرت، فيما عدا ذلك الشعور بالتعفن والفساد فى كثير من الأوقات، ولكنه كان كذلك.

أعتقد أحيانًا أننى كنت أفضل تار القديم كما كان من قبل، لكن ذلك لم يكن صحيحًا طبعًا، لأنه كان مقلقًا ومزعجًا ومشوش الذهن، لكن...

أما الشيء الآخر فهو أنه يكذب حتى بشأن المخدرات، أنتم تعرفون؟ فمثلاً كان يقول لي من وقت لآخر أنه لم يعد يوجد لديه أيَّ مخدرات، وأنا أعتقد، اللعنة، إن ذلك يعنى السقوط، كان يتسلل خارجًا، وعندما يعود كانت عيونه تلمع مثل الزجاج، فأقول له: "لقد تعاطيت بعض المخدرات"، فيعترف بذلك.

وهذا ما حدث فعلاً فى اليوم التالى، فقد جلس يبتسم ويومئ فقط ثم قال: "نعم، نعم لقد تناولت القليل..."، وأخذ فى الشرح وأنه لم يكن لديه الكمية الكافية لاثنين، وأننا إذا كنا قد تشاركنا معًا فيها كان كلانا سيشعر بالاستياء، لذا فقد فكر فى أن يوفر علينا المشكلات وتناولها بمفرده، وكان جادًا فى ذلك. وقد أقنع نفسه فعلاً بأن ذلك كان سلوكًا حساسًا، وغضب حقًا عندما لم أوافقه على ذلك.

قلت له: "كان يمكنك إعطائى هذه الكمية".

فرد علىّ: "كان يمكننى أن أفعل، ولكننى لم أفعل"، وابتسم لى كثعبان، ثم استمر فى الحديث عن أنه كان فى حاجة لتلك الجرعة أكثر منى، ثم ذهبت إلى صالة البغاء لتدليك الرجال المسنين فى الصالة، هل تار يظن أن ذلك العمل كان ممتعًا؟ هل يعتقد أننى كنت أحب فعل ذلك؟ ألا يعرف أننى كنت أفضل أن أكون بعيدة عن هذا الأمر، وأننى كنت أتمنى التوقف عن فعل ذلك، حتى عندما كنت أمارس ذلك العمل مع زبائن صالة البغاء كنت أتمنى أن أتوقف عن ذلك.

ولكن ذلك لم يكن مهمًا لأنه كان يصدق أى شيء تحدثه به نفسه، وهو يقول: "أنا كنت أحتاج لتلك الجرعة يا جيما"... آه.

تصوروا! طفل... بالفعل، لقد جعلنى ذلك مشتتة تمامًا، ماذا لو أصبحت حاملاً؟.

يمكننا أنا وللى أن نلد الطفلين ونربيهما معًا، وسيكونان صديقين جيدين بحق، كما كنت أنا وللى دائمًا، أنا أعرف أنه لا يمكن التنبؤ بالحال التى سوف يصبح عليها أبناؤنا، ولكننى أعتقد حقيقة أننا سنعيش جميعًا بالقرب من بعضنا، وأنهما سيرتبطان معًا ليكونا صديقين، أنا الآن فى السادسة عشرة ويمكننى الاستمرار فى العيش معتمدة على الإعانات التي كنت أتلقاها من الآخرين، كما يمكننى أيضًا الاستمرار فى عملى الحالى...

سيكون ذلك ظريفًا، وسأستمر فى القيام بذلك العمل، وقد ظللت أقول لنفسى إن هذا العمل مجرد مهنة مثل غيرها من المهن، إنها نقود سهلة، إنه ليس أسوأ من أى عمل آخر، لكن يوجد لدى الناس بعض التحامل ضد الجنس، إلا أنه مجرد شيء تفعلينه بجسدك، وأنا أبهج نفسى به، وأفكر أحيانًا أننى موجودة هنا لكى أجعل هؤلاء الناس سعداء، وأنا أفعل ذلك، وفي الأيام التى كان يسير فيها العمل سيرًا حسنًا كنت أرى هؤلاء الأشخاص وهم يدخلون إلى هذا المكان مثل الكلاب ويخرجون منه كالأمراء، دعنا نواجه ذلك الأمر، إنهم لن يستطيعوا أبدًا الحصول على فتاة مثلى إذا لم يتمكنوا من أن يدفعوا لها مقابل ذلك، لكن... حسنًا، إنه لا يزال عملاً، أتعرفون؟ أستطيع أن أفكر فى طرق أفضل لقضاء وقتى، لكنها نقود سهلة، هذا هو كل ما فى الأمر.

أنا أفكر فى التوقف عن التحايل والخداع فى العمل، أقصد أننى أفكر فى القيام بالجنس بصورة كاملة، سيكون ذلك أسوأ بالنسبة لى، قد تجنى الكثير من

المال، لكنك تظل تؤدى عملك بشكل جيد، ربما عندما نكون جميعًا قد تخلصنا من تعاطى المخدرات كلية، فسأكف عن فعل كل ذلك وأحظى أنا أيضًا بطفل.

هل أخبرتكم أن جسم للى قد تحول إلى اللون الأزرق فى اليوم التالى؟

كان ذلك مخيفًا حقًا، وكنا جميعًا موجودين فى الخلف، فى حجرة النوم نتعاطى المخدرات، ونأخذ أدوارنا فى التعاطى، كما كان يوجد أيضًا بعض أصدقائنا فى الغرفة الأمامية، وعندما كنا ننتهى من التعاطى، كنا نذهب لرؤيتهم، وكان دور للى هو الأخير، لذا كانت لا تزال مستمرة فى التعاطى، وأعتقد أن ذلك كان غريبًا بالنسبة لها فى ذلك الوقت لأن للى لم تكن تنتظر أبدًا الدور الأخير فى تعاطى المخدرات.

ذهبت إلى الداخل لأننى تركت سجائرى هناك، وكانت للى راقدة على السرير فظننت أنها نائمة، ولكنها بدت فى ذلك اللون الأزرق الغريب، حملقت فيها بدون أن أعى ما الذى أنظر إليه حتى رأيت الإبرة مغروسة فى ذراعها، ثم تذكرت ما قاله لى تار عن آلان وهيلين، كانت الإبرة لا تزال مغروسة فى جسمها، أترون، وكان هناك قليل من الدم...

صرخت: "تار، روب، تار، روب"، كنت أعتقد أنها ماتت، فقفزت فوق السرير، ثم تذكرت الدم، من المفترض أن يكون ذلك خطرًا، يمكن الإصابة بالهواء فى مجرى الدم وإذا التفت هذه الفقاقيع حول مخك... لذا نزعت الإبرة بسرعة من مكانها مما جعل الدم الأزرق يخرج من هذا الثقب، كنت أفكر فى آلان وهيلين، ولم أفكر – أبدًا– أن ذلك يمكن أن يحدث لأى واحد منا، دخل روب ثم تار، وأخذت الزرقة تزداد وتزداد وبسرعة.

دفع تار ذراعها للخلف على السرير؛ لأنه كان يريد الضغط على قلبها ولكن روب كان يجذبها لأنه كان يرى أنها يجب أن تعتدل، وأخذت فى لطم وجهها بشدة فاهتز جسمها فجاءة.

أخذت للى نفسين من الهواء خلال ذلك الصمت الذى ساد بعد ذلك، وقد استطعت سماعهما، كان النفسان ضعيفين جدًا.

كنا قد توقفنا جميعًا عن التنفس وقتها، وكذلك هى، لطمتها على وجهها مرة ثم مرات عديدة فأخذت نفسًا آخر عميقًا هذه المرة، وتحول خداها إلى اللون الوردى.

ثم أوقفناها على قدميها، وبدأنا فى تمشيتها داخل الغرفة، وبدأت فى المشى، كانت تحاول أن تقول شيئًا ما لقد كنت مرعوبة لأن ذلك كان غريبًا، وأعتقد أنها تلقت رسالة ما من العالم الآخر، لأنها كانت قد ماتت بالفعل حين توقفت عن التنفس، كما توقف قلبها كذلك، لقد أصابنى ذلك الشعور الفظيع بأنها عائدة من الموت برسالة رهيبة إلينا كما فى قصص الرعب، لقد أرادتهم أن يدعوها وشأنها ويتركوها تموت فعلاً... ثم بدأت الكلمات تتضح أكثر وكل ما قالته هو: "اتركونى بمفردى، دعونى وحدى...".

تعافت للى بعد ذلك، وبدأت تعود إلى وعيها، وكان ذلك مقلقًا حقًا لأنها كانت تبدو طبيعية، أقصد، لو لم نسارع بإنقاذها لعدة دقائق قليلة أخرى كانت ستموت، وها هى الآن تبدو مثلما كانت للى دائمًا، عادية.

وعندما تخلصت من تأثير المخدرات قليلاً فيما بعد، حاولت أن تجعل من ذلك مجرد نكتة قائلة: "عش بسرعة ومت صغيرًا"، وقد ظلت للى تقول ذلك، لم

يكن ذلك مضحكًا ولكنه كان مزعجًا بالفعل لأنها كانت تضحك، فقد وجـدت ذلـك مضحكًا، كنت أعتقد بأمانة أنها لا تهتم للموت واعتبرت ذلك الأمر كما لـو كـان مغامرة أخرى من مغامراتها الكثيرة.

جلست للى فى الخلف وأخذت جرعة أخرى قليلة ولكن ذلك النوع كان أقوى من المعتاد، وكنا جميعًا نعلق على ذلك فى الغرفة الأمامية بينما كانت هى تمـوت فى الغرفة الخلفية.

الشىء الفظيع حقيقة كان... أقصد الشىء الفظيع الآخر كان... انظروا، كان ذلك تقريبًا منذ أسبوعين مضت. لم يقل أحد أى شىء، أنا أعرف، أنا أعرف، لقـد كان الحمل مجرد قطعة من الهلام فقط فى ذلك الوقت، لـم يكـن شخـصًا أو أى شىء. ولكننى ظللت أفكر فيما إذا كان داخل جسدها قد أصبح أزرق أيضًا، سيكون من المؤلم إذا لم يكن الطفل بخير، أنا أعرف أننى غبية، فهى فـى أيـام حملهـا الأولى، وإذا حدث أى شىء خطأ فمن المحتمل أن تفقد ذلك الحمل، وسيكون ذلـك مؤلمًا جدًا، وإذا حدث وفقدت للى حملها فسأظل أفكر فى ذلك طوال الوقت.

تخيلوا... طفل.

(٢٠)

روب

كنا ذاهبين إلى ديف ليقود السيارة بنا ولكن ذلك كان مخاطرة منا؛ لأنه لم يكن يتخلى عن أى شىء، لماذا يجب عليه ذلك؟.

لم أحصل على رخصة قيادة بعد ولكننى كنت أقود السيارات منذ أن كنت طفلاً، لقد أصبحت فى السابعة عشرة الآن، وكان يجب أن أدخل اختبار القيادة، لكن كان لدىَّ أشياء أهم من ذلك.

كان الكوخ الذى سنذهب إليه ملكًا لأحد أصدقاء ونيدى، ونيدى هى أمى، كان ذلك الكوخ مكانًا لقضاء الإجازات، وكانت الإجازات تبدأ فى أبريل، لكن الوقت الآن كان لا يزال مبكرًا قليلاً، وكان ذلك فرصة وضربة حظ بالنسبة لنا، لأن الكوخ كان مجانًا هذا الأسبوع، طوال الأسبوع، وقد اعتادت ندى أخذى إلى هناك فى الشتاء عندما كنت صغيرًا، كنت أشعر بالملل من البقاء فى هذا الكوخ فى ذلك الوقت، ولكن عندما أخذت أفكر فى ذلك الآن رأيت أنه من الأفضل أن أذهب بعيدًا لعدة أميال إلى حيث الريف الجميل بلا أشخاص ولا مشاجرات ولا مشكلات، وقد أحببنا جميعًا ذلك المكان، وكنت أنا نفسى أتطلع إلى الذهاب إلى هناك حقًا، وكنا نقود السيارة على طول الطريق، وأنا أحس كما لو أننى آخذهم إلى عالم آخر.

كنا قد تعاطينا آخر كمية مخدرات معنا قبل انطلاقنا، ولم يبق لدينا إلا كمية ضئيلة فقط، كمية لا تكفى إلا للذهاب إلى فراش النوم فى تلك الليلة، لذا ففى الصباح كنا نبدأ من الصفر مباشرة، وكانت للى تسمى تلك الحالة ركوب المخ العارى، ركوب الحياة بلا شيء...

كان تار جالسًا بجانبى يطالع الخريطة، أما للى وجيما وسالى فقد كن يعبثن فى المقعد الخلفى للسيارة، وكان ذلك شعورًا عظيما، مشاهدة بريستول وهي تمرق بسرعة أمام أنظارنا والوصول إلى منطقة م٤، ورؤية الريف، لا أعتقد أن أيًا منا قد رأى الريف منذ سنتين أو ثلاث سنوات مضت على الأقل، تلك الحقول الخضراء، وذلك الفضاء الفسيح الممتد أمامنا بلا أحد وبدون بشر، إنها الأشجار، والأشجار فقط، لقد تركنا كل شيء خلفنا ومضينا، كل التعب والعناء، كانت كلمة الطفل هى التعويذة السحرية، وكانت للى هى الساحرة التى تطلقها، ما الذى فعله ذلك بى؟ ساحرة؟ أعتقد أنها ساحرة حقًا، وكذلك كنت أنا وأبى ومعى عصاتى السحرية.

وقد اندمجت جيما وسالى فى الموضوع أيضًا، وكان لدى سالى قليل من الشك فى البداية، لكنها الآن أصبحت مثلنا جميعًا، لقد كانت فرصة حقيقية، وكانت هى وجيما تتحدثان عن رغبتهما هما أيضًا فى الحصول على أطفال.

قلت: "سيصبح الأمر مثل مزرعة الأطفال بهذا الشكل..."، ثم انفجرنا جميعًا فى الضحك، لم أكن أدرى، لكننى كنت أعرف للى أكثر من أى فرد آخر، انظروا، هذا الطفل الذى يتحدثون عنه، حسنًا، إنه جزء من الحياة، أليس كذلك؟ وسواء كان ذلك شيئًا جيدًا أو سيئًا فإن الأطفال يأتون إلى الحياة، ولكننى لم أكن متأكدًا من مدى عظمة الحصول على طفل فى ذلك الوقت، لذا احتفظت بفمى مغلقًا، ولم أعلق

على الأمر على أية حال، أنت لا تعرف ما الذى سيكون عليه الأمر، خاصة مع للى، فهناك الكثير من الحقائق بالنسبة لها، وكانت الفتيات جالسات فى المقعد الخلفى ينشدن أغنية:

لا مزيد من الإبر.

لا مزيد لأجلي.

لا مزيد من الإبر.

أنا الآن حرة.

ثم أخذن فى القهقهة والتضارب وتبادل اللكزات، واحدة تلو الأخرى، ثم بدأن فى ترتيل أنشودة أخرى:

لا مزيد من الزبائن.

لا مزيد من أجلى.

لا مزيد من الزبائن.

لأننى الآن حرة.

وبعد أن انتهين من مزاحهن استسلمن للسكون، فقلت لهن: "أنتن يا جماعة هل ستتوقفن طوال حياتكن".

قالت للى: "لا، إن ذلك أحد الأشياء التى سأستمر فى فعلها لأننى ثمينة وغالية جدًا، أنا...".

لم يكن تار منتعشًا أو مرحًا مثل الآخرين، ولا أعرف لماذا كان فـي هـذه الحالة، وكنت منزعجًا هل لأنه ليس طفله؟، كان يمكنه أن يكون أكثر دعمًا لهـا، وكانت للى تسلط نظرها عليه، وكنت أعتقد أنها ستذهب إليه فيما بعد إذا لم يـأت هو إليها، كان منهمكًا فى ذكر عدة أشـياء مـن التـى يقـدمونها للمواليـد فـى المستشفيات، أنتم تعرفون، عندما يحين موعد الولادة فإنهم يعطون الـسيدات تلـك الأشياء لوقف الألم وللمساعدة على بدء عملية الولادة، وأحيانًا أشياء أخـرى لكـى يظل الطفل يتنفس، أقصد أنهم يبنجون نصف السيدات أثناء عملية الولادة.

قلت: "لا أعتقد أن الوقت قد حان الآن للذهاب للمستشفى، لأن ذلك سـيجعل من الصعب على للى تعاطى المخدرات، خاصة إذا أخبروها عن تلك الآلام التـى ستشعر بها هى وطفلها فى المستشفى".

نظر إلىّ تار فى لمحة خاطفة، لكن فمه ظل مغلقًا بعد ذلك، لم يكـن لديـه سوى القليل من اللفافات... وبدا لى أنه كان قلقًا قليلاً، وقضينا أغلب الوقـت فـى التحدث عن الطريق.

لا مزيد من الأعمال اليدوية.

لا مزيد لأجلى.

لا مزيد من المهن.

أنا الآن حرة.

تحدثنا جميعًا عن مدى عظمة توقفنا عن تعاطى المخدرات، كنـت أراقـب وأفكر من الذى سيقوم بذلك، من الذى سيقوم بذلك؟.

لا مزيد من الإدمان.

لا مزيد لأجلى.

لا مزيد من الإدمان.

أنا الآن حرة.

وكان الظلام قد حل عندما وصلنا إلى هناك، إلى كوخ "جـريفين"، وعنـدما نزلنا من السيارة ظللنا فترة واقفين على النجيل الأخضر، كان الظـلام والـسكون شديدين جدًا، مثل الوقوف على تل فى الفضاء الخارجى، لم نتمكن من رؤيـة أى شىء ولكن كان يمكنك الشعور بذلك الاستمرار وتلك الأبدية التى من حولك.

قال تار: "إن ظلام الدنيا هنا مثل ظلام الطريق إلى النجم المجاور".

حقًا. لقد كانت الدنيا مظلمة مثل الظلام نفسه، ولم يكـن يوجـد أى شـىء يتحرك، لا صوت، وإذا كتمت أنفاسك فلن يوجد أى شىء، لقد كان ذلك مدهشًا حقًا بعد البقاء فى بريستول طوال هذه السنوات؛ ففى بريستول كان يمكنك سـماع كـل ذلك الضجيج؛ أبواق السيارات أو أصوات الناس وهم يقومون بأعمالهم، أما هنا فلم يكن هناك أى شخص يقوم بأى عمل على الإطلاق على بعد عـشرين مـيلاً مـن هذا المكان.

فكرت أننى فى الغد سأكون قادرًا على عمل أى شىء، أظن أنه كان نفـس شعورنا جميعًا، كان داخل الكوخ أصغر كثيرًا مما كنت أتذكر، وكانت هذه الغرفة الصغيرة هى غرفة الجلوس أما غرفتا النوم والمطبخ فكانت ملتصقة بخلفية الكوخ، وكانت دورة المياه خارج الكوخ، وبدا الكوخ مثلما كان دائمًا وكأنه بلا زمن، وكان الجو باردًا، أبرد فى الداخل من الخارج، كان هناك القليـل مـن جـذوع الـشجر متروكة فى الطريق بجوار المدفأة، فذهبنا أنا وتار للخارج وجلبنا المزيد من الخشب

وتبادلنا قطعها بينما أعدت الفتيات بعض الشاي، وأخرجن الأغراض من السيارة ورتبنها قليلاً.

وفى كل مرة كنا نضرب فيها على الخشب بالبلطة كان يمكنك سماع الصدى يأتى بعد عدة ثوان.

قلت: "إنها الجبال".

واشتركنا معًا فى الظلام، وأشعلنا الضوء فى الخارج على التل، ولكن لم نستطع رؤية أى شيء ، لقد كانت الجبال بعيدة جدًا.

قلت: "إنها موجودة فى الخارج هناك فى مكان ما".

فقال: "هل يقفون حولنا ويشاهدوننا؟".

قلت: "لا إنهم لا يلاحقوننا".

قال: "هل تعتقد أنهم ودودون؟".

قلت: "نعم إنهم حقًا ودودون".

كانت كل الجبال بلا أى ضوء، وكان هناك النجوم أيضًا، كانت ليلة صافية حقًا، ولكن لم يكن هناك قمر، أطفأنا المصباح، ووقفنا على النجيل الرطب ننتظر أن تتعود عيوننا على الظلام، ولكن الظلام كان شديدًا ولم تستطع عيوننا أن تتعود عليه أبدا، واستعنا بالثقوب التى فى السماء حيث لم يكن هناك أى نجوم لمحاولة التعرف على مكان الجبال، ولكننا لم نتمكن أبدا من ذلك، لقد نجحت هذه الجبال فى إخفاء نفسها تمامًا.

قلت: "ما الذى تعتقده بالنسبة لها؟".

قال: "لقد استطعت أنت العيش هنا من قبل".

ضحكت: "سوف تمل فقد كانت هذه العيشة تصيبني بالجنون عندما كنت صغيرًا".

قال: "لا... لا لقد أحببت هذا المكان فعلاً".

قلت: "كن صادقًا مع نفسك، إنك لم تفكر كثيرًا فى هذه الفكرة، هل فعلت؟".

كنا واقفين بجانب بعضنا، وكل ما استطعت أن أخرجه فقط كان هو هذا الصوت الشجى.

قال: "لا أعتقد أن أى شخص يريد أن يعيش هنا حقًا".

انتظرت.

أعتقد أنه يمكن ذلك الآن... ربما يمكننا فعل ذلك، فيما استطعت أن أشعر به ينظر إلىّ، كان غريبًا، لم أستطع رؤية أى شىء ولكننى استطعت أن أشعر به.

تساءل قائلاً: "وماذا عنك أنت؟".

ضحكت "أوه، نعم، حسنًا، سنفعل، ألا يجب علينا فعل ذلك من أجل للى؟".

أنا شخصيًا كنت مصممًا على الاستمرار فى ذلك، وكان لدىَّ كمية صغيرة من المخدر فى جيبى لا يعلم بها أحد، وكدت أفكر فى إلقائها بعيدًا، ولكننى لم أرد إتلاف الأشياء، أنا فاشل قليلاً فى ذلك، وأصبحت على ما يرام بعد ذلك، ولكننى كنت في حاجة إلى شىء يجعلنى أهدأ، يلزمك أن تجد أفضل طريقة للاستمرار فيما أنت فيه، وكانت هذه الكمية الصغيرة هى الشىء الصحيح والمناسب لى.

وقفنا برهة لنأخذ أنفاسًا عميقة من الهواء، كان الهواء باردا ونقيًا، يمكنك الإحساس به وهو ينساب إلى رئتيك، ويجعلك الشعور به، وهو يسرى فى داخلك، فى حالة من السعادة والنشوة، ثم توجهنا للداخل لإشعال النار، كان لدينا جميعًا بعض الجرعات القليلة من المخدرات، وقليلا من الشراب فى تلك الليلة، ليس الشيء الكثير، علبتان من البيرة، لأن آخر شيء تريده عندما تهدأ هو أن تستيقظ وأنت تشعر بتلك الآلام البغيضة الناتجة عن الإسراف فى شرب الكحوليات.

استيقظت مبكرًا فى الصباح، وسألت للى: "هل تريدين قدحًا من الشاي؟".

ابتسمت بنعم، بدت جميلة جدًا وهى راقدة فى الفراش، قبلتها وخرجت إلى المطبخ.

كان تار وجيما قد استيقظا توًا، وكانا جالسين فى الخارج يشربان قهوة، وناديا علىَّ لآتى وأرهما فخرجت لهما.

كان ذلك مدهشًا، ذلك الهواء الناعم النقى، الآن أستطيع أن أرى كل ذلك، أميال وأميال من الجبال والتلال والغابة، كان يوجد دبور يدور فى الهواء، وطيور صغيرة تطير حول النيران قريبًا منا، لم يقل أحد أى شيء، حملقنا فقط وارتشفنا مشروباتنا، ثم ذهبت لأوقظ للى، وجلست على كومة من جذوع الشجر، وأخذنا ننظر وننظر فقط في تلك الأشياء، وكأنك ترص أشياءً فوق بعضها، كنت أعتقد أنه يمكننى رص تلك الأشياء فوق بعضها إلى الأبد بدون أن يمتلئ المكان.

ربتت للى على بطنها قائلة: "إن ذلك كله من أجلك أيها الطفل الآتى، نعم".

وضحكنا جميعًا، كنت أعتقد أنها فتاة محظوظة.

أعددنا إفطارًا كبيرًا، لحم وبيض وكل ذلك، ثم ذهبنا للتمشية، كنا جميعنا نشعر بالقليل من الهبوط، ذلك الشعور الذى تشعر به فى بداية ترك التعاطى، وبدت سالى في هذه الأثناء كما لو أنها كانت فى بريستول، حيث شعرت ببعض التوعك ولكنها أصبحت على ما يرام بالخارج، وقد ساعدنا شعورنا بأن الهواء كان جيدًا جدًا ونقيًا على التحسن والإحساس بأننا لا نعانى من أى شىء، على الإطلاق، وكان من الخطأ حقًا النظر للوراء.

سرنا فى هذا المساء هابطين من على التل، وبعد قليل أصبحنا فى الغابة، شجر كبير طويل يتخلله الكثير من الضوء، ورأينا سناجب وطيورًا، لقد كان ذلك جميلاً حقًا، ثم كان الصعود إلى أحد التلال مرة أخرى، ولم يكن أى واحد منا قد سار فى مثل هذه التلال منذ سنوات، على ما أعتقد، ثم هبطنا تلاً آخر، وفى هذه المرة أصبحنا فى مزرعة بها أشجار مربوطة معًا، لم يكن ذلك جيدًا لأنه من صنع البشر، وكانت المزرعة مظلمة تمامًا، قد ربطوا هذه الشجيرات معًا واستمررنا فى السير.

إنها بعض الغابات على ما أعتقد، كانت كلها ميتة، أشجار صغيرة ميتة مرصوصة فى صفوف صغيرة، مثل مصنع شجر، ولم يكن هناك شىء ينمو أسفلها، ولا فيما بينها أيضًا، كما لو كانت هذه الشجيرات الصغيرة قد سممت الأرض، وكنت على ما يرام حقًا، نظرًا لوجود كمية صغيرة من المخدرات فى جيبى، أنتم تعرفون، كنت أبلل أطراف أصابعى فقط وألصقها بها، لأن الكمية كانت قليلة لا يمكن استنشاقها، ولم أستطع حتى ملاحظة الآخرين من حولى، كنت أفكر في أننى ربما لم أتعاطى المقدار الكافى، وربما كان ينبغى علىَّ أن أتسلل بعيدًا وأتعاطى المزيد عندما قالت للى فجأة: "اللعنة على هذا، اللعنة على هذا".

قفزنا جميعًا مباشرة خارجين إلى منتصف المكان، وكانت للى واقفة هنـــاك وقدماها إلى الكاحل مغروستين فى ماء بحيرة صغيرة، كانت غاضبة جدًا، وكانت ترتدى حذاءً أسود رقيقًا طوال الوقت، ولم يكن ذلك الحذاء مناســبًا بــالطبع لهــذه الرحلة فى الريفية.

نظرت حولى واستطعت أن أرى أن كل واحد منا كان يبدو منهكًـا وكأنــه أصيب بالدوار، وفكرت فى نفسى أولاً، واستدارت للى وقفزت إلى الخلف صاعدة نحو الكوخ، وكنا قد خططنا فعلاً لهذه التمشية على التلال منذ فترة طويلة محاولين إخراج سموم المخدرات من أجسامنا، ونجحت في الاستمرار في الابتعــاد لفتــرة وأنت تستطيع من أول نظرة ملاحظة أن الآخرين قد نجحوا فى فعل ذلك أيضًا.

لم نتحدث كثيرًا أثناء العودة ولكننى تحدثت مع سالى، ولم تبد هى- أيــضًا- أن أحوالها كانت سيئة، وفكرت فى أنه ربما كان لديها قدر ضئيل من المخــدرات، وكنت على وشك أن أسألها عن ذلك، ولكن كان فى ذلك بعض المخاطرة، وعنــد نصف الطريق تقريبًا التفتت جيما وقالت: "يا الله، لم أتوقع أن أشــعر أننــى بهــذا السوء، هذا فظيع...".

ضحكنا أنا وسالى، كان ذلك غريبًا، ماذا كانت تتوقع، لم يتوقع أحــد مــنهم ذلك، وكما قلت من قبل إننى قد اتخذت احتياطاتى، ولكن عندما نظرت للــى إلــىّ توقفنا عن الضحك؛ لأنها كانت تبدو فظيعة حقًا، كانت تتعــاطى كثيــرًا مــؤخرًا، حسنًا، لنكن أمناء مع أنفسنا، كنا نفعل ذلك، فكرت فى إعطائها قدرًا ضــئيلاً مــن المخدرات التى معى، لكنها كانت ستضخم الأمر وتؤلب علىَّ الجميع، ولم أكن أريد أن أجعل أحوالها تسوء أكثر من ذلك، أنتم تعرفون، أنكم تهيئون أنفسكم لعمل شيء ما ثم تفشلون، إن ذلك لا يجدى، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك يوجد طفل، وهــذا

هو السبب فى وجودنا جميعًا هنا، ليس لأجل للى فقط بل لأجل الطفل أيضًا، وهذا الطفل هو طفلى أنا أيضًا.

قلت: "سيكون الأمر أسهل غدًا".

رمقتنى للى بتلك النظرة القذرة، وأخذت أفكر وأتساءل ما إذا كانت تعرف.

عدنا إلى الكوخ وأشعلنا نارًا كبيرة لجعل المكان دافئًا ومريحًا، وبدأنا فى تدخين اللفافات فى محاولة لإبعاد العصبية والإحباط بعيدًا، كان تار وللى يعيشان أسوأ أوقات حياتهما، وكانت سالى وجيما جالستين معًا تستندان بعضهما، قالت جيما: "أنا لا أهتم لما أشعر به، أنا لن أتحطم" .

كانت قوية فعلاً، وكانت تقصد ما تقوله، فقد كانت هى وسالى فتاتين صلبتين.

لم تتحدث للى عن ذلك: "نعم، أنا بخير، اهتموا أنتم لرءوسكم". ولكنها لم تنظر إلى عين أى واحد منا.

أما بالنسبة لتار فقد بدا باردًا جدًا، وأعتقد أن تناوله للمخدرات كان خطأً كبيرًا لأن تار من الأشخاص الذين لا يستطيعون تعاطى الحشيش، وبدأت عليه تلك النظرة القلقة التى اعتاد أن يرسمها على وجهه، وخرج يتمشى بمفرده، الأمر الذى جعل للى تسأله ما إذا كان يخبئ بعض المخدرات لنفسه، ولكنه أنكر ذلك، أنا متأكد فعلاً أنه ليس لديه أى مخدرات لأنه كان فى حالة ضياع تام، واقترح أن نتناول بعض البيرة.

سألته جيما: إنك لا تعانى الآن سوى من بعض الآلام البسيطة فقط، وماذا عن الغد؟".

فقال لها: "أنا أحتاجه، أنا أحتاجه يا جيما، أنت لا تفهمين".

قالت له سالى: "لا يمكن أن تتهاوى، حاول الشعور بأنك على ما يرام، يلزمك- فقط- أن تصبر".

ومنذ ذلك الحين كنا أنا وسالى نبتسم لبعض من حين إلى آخر عندما يقول أى واحد منا شيئًا كهذا، وكأننا كنا نقول لبعضنا إننى أعرف أنكم تعرفون، وإنكم تعرفون أننى أعرف أنه يوجد لدى كل واحد منا قدر قليل من المخدرات، ولكن لن يذكر أى واحد منا أى شىء عن ذلك للآخرين، وكانت التقلصات قد أصابت لى الآن، وكذلك جيما.

لم يصب تار بالتقلصات كثيرًا فى أول الأمر، ولكن بعد قليل بدأ شعوره بالتقلصات يتزايد، بينما أنا وسالى... حسنًا، لقد بدأت فى التأوه والحديث عن الشعور بالامتلاء، وهى كذلك، لكن... حسنًا.

أخيرًا، عندما أوشكت الساعة على حوالى الرابعة بعد الظهر قال تار: "يكفى ذلك سأذهب لإحضار بعض البيرة بسرعة".

قلت له: "سأوصلك"، كان هناك قرية قريبة، ولكنهم لا يبيعون شيئًا هناك، وكان أقرب متجر على بعد خمسة أميال، وكان تار فى السادسة عشرة فقط، وربما يرفضون التعامل معه أو بيع مثل هذه الأشياء له.

لم يكن يرغب أن أوصله فى البداية، قال إنه يريد أن يذهب بمفرده، لكن بالطبع عندما أقوم بقيادة السيارة فسوف يذهب معى، وكان كل واحد يريد شيئًا ليشربه، لذا انتهى بنا الأمر بأن قمت بالقيادة وذهبنا معًا.

حسنًا لقد وصلنا بسلام واشترينا بعض مشروب التفاح والبيــرة، ثــم قــال: "سأعود سيرًا على الأقدام".

نظرت إليه فقط.

فقال: "لا... أنا أريد أن أسير على قدمى".

- "إنها خمسة أميال يا تار؟".

- "أنا أريد تصفية ذهنى فقط".

فكرت، أه نعم، لم أقل له فيم كنت أفكر، ولكننا كنا نفكر فى نفس الشىء معًا، راقبته فى المرآة أثناء قيادتى للسيارة، وقف هناك ينظر إلىَّ من الخلــف ولكنه لم يتحرك حتى ابتعدت عن مرمى بصره.

هدأت الأمور أسفل التل أثناء غيابى، كان يبدو عليهن أنهن كن يتشاجرن أو أن مناقشة حادة قد دارت بينهن، أو شىء حاسم بدا يلوح فى الجو، كانــت جيمــا تعانى من تقلصات عنيفة فى المعدة. فكرت، واو، لا بد أن تكون قد تعاطت الكثير لكى تظهر عليها مثل هذه النوعية من الأعراض، ناولتهم علــب البيــرة، وأثنـــاء فتحهم لها، ذهبت إلى غرفة النوم للحصول على جرعة أخرى قليلــة، واكتــشفت- حسنًا- أنه من الأفضل أن يكون أحدنا صافى الذهن، ولكن للى تبعتنى ونظرت إلىَّ فقط وقالت: "جيمى".

نفضت يدى وقلت: "ماذا تقصدين يا للى"؟.

- "لا تخدعنى، أنا أعرف ماذا يجرى، الآن أعطنى حقــى، أريـد حقــى، حسنًا...؟"

فتشت في جيوبي وقلت: "ماذا عن الطفل؟".

– "لا تؤلمني، هل تريدني أن أصبح مثل جيما؟ نعم. ذلك سيجعل الطفل كله ملوثًا، حقًا نعم..." ثم قامت بجذب اللفافة من يدي وأخرجت قطعة من الورق المفضض من جيبها.

قلت: "لديَّ كمية قليلة فقط".

– "نعم؟ كم؟ إنك لن تستخدمها كلها".

لم تكن غاضبة إلى درجة كبيرة وأدركت أنها كانت مسرورة فعلاً، وذلك لأنني لو لم أكن قد أحضرت بعض المخدرات فماذا كانت ستفعل؟.

لا تخطئ الفهم، لم نكن عائدين للتعاطي لكن... للذهاب بعيدًا، هل تتوقع أن تتخلص منه ونلقي به بعيدًا دفعة واحدة، إن ذلك أمر غير واقعي، ينبغي أن نقوم بعمل مثل هذه الأشياء على مهل ورويدًا رويدًا.

لم يكن لدينا أي إبر، وكان ينبغي علينا أخذ جرعة، فبقينا في السرير وسمعنا جيما وهي تعاني وكانت سالي تشاركها في المعاناة، ولكنها لم تكن تفعل ذلك بطريقة مقنعة، لذا خمنت للى أنها تناولت بعض المخدرات، فقد تناقشنا في ذلك عندما كنت بعيدًا، وكن يصرخن ويتأوهن، ثم بدأن في الضحك بعد قليل، أقصد أن جيما المسكينة كانت تتمزق، وكانت سالي تتأوه حفاظًا على شراكتها ومؤازرتها لجيما، ولكنها في الحقيقة كانت مثلي ومثل للي، وكل ما أخذته كان جرعات صغيرة مما كان في جيبي وانهمرت الدموع كالمطر،... لا، ولكنني عرفت أن ذلك لم يكن غريبًا، وأنه كان فظيعًا ولكنكم تعرفون...

حسنًا، استمر الأمر على هذا الحال، لا أعرف إلى متى، ربما إلى العاشرة، وكانت جيما مضطربة حقًا؛ لأن تار لم يعد من القرية التى كانت على بعد خمسة أميال فقط، وقد مضت خمس ساعات.

قالت جيما: "لا بد أن شيئًا ما قد حدث له، لقد قام بفعل شيء غبى".

كانت تعتقد أنه تعاطى، أو شيء ما من هذا القبيل، وقد حاولت ألا أنظر إلى للى، ولكننى لم أستطع، وبدأنا فى الضحك، لم يعد هناك فائدة، ولم أستطع الاحتفاظ بمظهر الجدية على وجهى وللى تنظر إلىَّ بهذه الطريقة، لم تلحظ جيما أننا كنا جميعًا بخير وعلى ما يرام بالنسبة لتار...

كان من الواضح جدًا أنه لم يكن يجب على تار أن يقتل نفسه، وإذا كان قد وصل إلى هذه الدرجة من اليأس فإنه توجد طرق كثيرة أيسر من ذلك ولا أتخيل أنه قد سار فى الطريق عائدًا إلى بريستول، لأنه لم يكن يرتدى ملابس صوفية ولا جاكتة، ولا أعتقد أنه- يمتلك- حتى جاكتة واحدة.

أما المسكينة جيما فقد كانت قلقة جدًا عليه، وكانت اضطرابات معدتها شديدة وسيئة حقًا... وأخذ الأمر يبدو سخيفًا، ثم بدأت سالى فى تأنيبنا لأننا كنا نضحك على ذلك.

كان ينبغى علينا كشف الحقيقة، جاءت للى وقالت: "انظرى يا جيما، إن ذلك واضح تمامًا..."

أخبرتها أنه لا بد أن يكون تار قد عاد بالتأكيد إلى المنزل لأجل الحصول على المزيد من المخدرات، وكان ذلك أسوأ ما فى الأمر، فقد كانت جيما ثائرة جدا ولم تتقبل ذلك فى البداية، واتهمت للى بالكذب، وكان ذلك شيئًا سيئًا، وأخذنا فى

الشجار والصراخ والزعيق، عندما انفجرت جيما معلنة أننى أنا وللى لدينا بعض المخدرات.

ثم كانت هناك وقفة كبرى حقيقية.

قالت جيما: "لكن ماذا عن طفلك، أنت لا تهتمين له أليس كذلك؟ هل تفعلين ذلك بطفلك؟...".

فكرت، أوه، وأسرعت بالخروج إلى الغرفة الأخرى لأنه يمكن إخبار للى بأى شىء، إلا أن تقول لها إنها تؤذى طفلها...، كان ذلك رهيبًا، كانتا تصرخان وتزعقان، وكانت سالى صامتة فعلاً طوال ذلك الوقت لأنها كانت على حق.

جلست على السرير بجانب الباب وأخذت أستمع إليهما، كانت الألفاظ القذرة والسباب تخرج من فم كل واحدة تجاه الأخرى، وأخيرًا أتت جيما إلى غرفتنا وعيناها تملؤها الدموع، لم يكن لديها القدرة على مواجهة مثل هذا النوع من الشجار وأخذت فى البكاء، وبدا أن سال وللى ستستمران فى هذا إلى الأبد، فقد سمعناهما تصرخان فى مواجهة بعضهما، وقالت لى جيما: "أعطنى قليلاً من المخدرات فقط... أعطنى، هل ستفعل؟".

أخرجت اللفة من جيبى، وانزعجت قليلاً لأنه لم يتبق الكثير من المخدرات، ولكنى لم أستطع أن أقول لا لجيما، هل أستطيع؟، هدأت جيما، وجاءت للى بعد فترة وقالت: "هل أنت بخير الآن يا جيم؟".

قالت جيما: "لقد فعلتها وأخذت المخدرات حتى لو كانت أى منكما أيتها الملعونتان قد تشاجرت معى".

ثم بدأت كل الأمور فى الهدوء مرة أخرى، وفكرت فى أن ذلك لم يكن أمرًا غريبًا.

(٢١)

جيما

لم نقض أى ليلة أخرى معًا، وفى طريق عودتنا لم يقل أحـــدنا أى شـــيء، حاولت مرتين أن أقول له كم كان ذلك الأمر مقرفًا، ولكنى كنت أقول لنفسى المرة القادمة، المرة القادمة، المرة القادمة... كنا جميعًا أغبياء وخائفين.

حاولت التوقف حوالى ست مرات، ولكنى لم أكن خائفة بهذا الشكل من قبل، أقصد أننى كان يجب أن أتحمل المخاطر، كنا جميعًا خائفين من الإدمـــان أو مـــن التورط فى تعاطى المخدرات إلى الأبد، أو أن نلوث من داخلنا بهـــذا النـــوع مـــن المواد، ولكن ذلك كان أمرًا طبيعيًا، كانت هذه المرة مختلفة، عرفت أننـــى كنـــت مدمنة حقًا؛ لأن الذى يخشاه المدمن، ليس الإيدز ولا التلوث كما تظنون، لكن الذى نخافه هو ألا يكون هناك المزيد من المخدرات فى العالم الآخـــر، إنهـــا أول مـــرة أشعر فيها بذلك، إنها أول مرة أعرف أننى لن أستطيع الاستمرار بدونه.

ذهب روب إلى ديف للتعاطى، ولكننى كنت بخير، لأن تار كـــان بـــالمنزل عندما ذهبت إلى هناك، وبالطبع كان قد تعاطى بعض المخدرات بالفعل.

كان جالسًا على المقعد وقال: "إلى المنزل توا يا جيما؟" وكان على وجهـــه هذه الابتسامة الغبية، لقد أخبرتك بذلك.

ذهبت إلى المطبخ ووجدت المخدرات فى مخبئها المعتاد، وأخذت حاجتى منها، وشغلت الغلاية، وجلست على المقعد، وتعاطيت المخدرات.

ليس لديكم أى فكرة عن ذلك الشعور، ليس لديكم أى فكرة.

استطعت أن أشعر به وهو يراقبنى ويقول: "لقد كنت تعانين حقًا طوال الطريق أثناء عودتك".

وعبس تار بوجهه وقال: "كان يجب علىَّ أن آخذ بعض المخدرات معى".

- "لقد فعل روب ذلك".

- "نعم أعتقد ذلك".

- "لماذا لم تطلبى منه بعض المخدرات بدلاً من المعاناة طوال طريق العودة؟".

- "لا أعرف".

عبس بوجهه وأخبرنى أنه لم يكن ينبغى علىَّ أن أعتمد عليه، وعدت بالشاى، وتناولناه معًا، ونحن جالسان على مقعدين فى الطرفين المتقابلين من الطاولة، وبدأ فى الكلام مرة أخرى، قال إنه لم يعد يهتم لذلك بأى شكل من الأشكال لأنه لم يكن ينوى التوقف عن التعاطى بالفعل، ولكنه ذهب معه فقط لأن باقى الثلة كانوا مهتمين جدًا لذلك، وكان يريد تنظيف دمه من المخدرات لأنه لم يرد إغراءنا بالتراجع عن ذلك.

قال: "أنا أحب ما أفعله، لماذا يجب علىَّ التوقف؟" وماذا سيحدث لو تحول لون جسمى إلى اللون الأزرق مثلما فعلت للى؟

وابتسم تار لى ابتسامة عريضة قائلاً: "عش بسرعة ومت صغيرًا، أنت تعرفين يا جيما...".

قلت: "إنك حقًا لا تفكر كذلك بالفعل؟...".

قال: "إنك لا تدركين معنى أن يصبح الإنسان ميتًا ".

قلت وأنا أريد أن أغيظه: " نعم، ولكن لا مزيد من المخدرات للموتى...".

حدث ذلك للحظة قصيرة، ثم نهض تار لتشغيل بعض الموسيقى، وبدأ في الحديث... كيف أنه يشعر– الآن– بتحسن، وأنه أقوى، وكيف كان سيتعرض لنوبة أخرى خلال أسبوع أو ما شابه ذلك، وأنه سوف يكون بخير، ولكنه عرف أن روب تعاطى بعض المخدرات لذا فإن الأمر سوف يفشل على أية حال، ولكنه أصبح الآن مختلفًا، لأنه عرف ما الذى كان يستعد لمواجهته...

جلست وأخذت أراقبه، لم أكن أستمع إليه فعلاً، فقد كنت أفكر فى كيف أنه كان أفضل كثيرًا فى السنوات القليلة الماضية، كنت أظن فعلاً أنه كان أفضل، ولكنى فجأة أردت أن يعود تار القديم، أردت أن يعود تار الذى عرفته فيما مضى والذى كان ملكى.

أخذت فى البكاء، ووضعت رأسى بين يدىّ وقلت: "إنك لن تفعل أى شىء أبدًا لهذه الهندباء الباكية"، حاولت اعتصار دموعى.

جاء تار ولف ذراعيه حولى وقال: "أنا لم أقصد ذلك، يا جيما... أنا كنت أقول له فقط "إننى أريد أن أحيا وأعيش بجانبك".

لم أستطع فعل أى شىء سوى البكاء.

قال: "هندباء".

التفت ودفنت رأسي في حضنه.

قال: "هندباء... هندباء... هندباء".

قلت: "أنا أحبك" ويا للعنة كنت أقصد ذلك فعلاً.

قال تار في صوت صادق: "لقد كنت في انتظارك وانتظار أن تقولي لي ذلك كل هذه السنوات".

ثم ربت على وجهي، ونظرت إلى أعلى، إليه، فقال: "أنا أحبك أيضًا".

قلت: "أنا أحبك أيضًا. هندباء، هندباء، هندباء، تار".

(٢٢)

سكولي

كانت هذه المنطقة جميلة جدًا، وإذا نظرت إلى المنـــازل فـــستجدها كبيـــرة وحجرية ذات طراز فيكتورى أو جريجورى، ويعد هذا المكان جزءًا جمـــيلاً مـــن البلدة، صدق أو لا تصدق.

إننى أتذكر عندما كنت صغيرًا أترعرع فى هذا المكان، كان هناك وفرة من المال فى هذه المنطقة، وكان أولئك الذين لا يمتلكون أى أموال يشاركون الأغنيـــاء فيها أيضًا، قد تكون قد سمعت عن ذلك من قبل، قد كان ذلك حقيقيًا فعـــلاً، وكـــان هناك إحساس بالاشتراكية.

لكننى أشعر بالأسى لبعض الأفراد، فهناك هذه السيدة العجوز التى أعرفهـــا، تبدو أنها فى التسعينيات من عمرها، لقد عاشت فى سان بول طوال حياتهـــا، انظـــر إلى ذلك الشارع الآن، إنه ملىء بالسود، يرقص فيـــه الزنـــوج طـــوال الوقـــت، وطعام الكارى فى كل مكان، والمخدرات والتعاطى والدعارة، أقـــصد عـــش ودع الحياة تمضى.

حسنًا...، ولكنها لا تزال تذكر تلك الأيام التى كانت فيها هذه المنطقة رائعة، إنها لم تكن ترى أبدًا أى زنجى فى هذه المنطقة عندما كانت فتاة، وكانت تحظـــى

هنا ببعض الشكولاته من وقت لآخر، ثم تذهب، ومتى أرادت الذهاب فلم يكن أحد يستطيع إيقافها أبدًا، وقد كان ذلك مثيرًا حقًا.

وبالطبع إنها كانت تصعب الأمور على نفسها، فهي لا تخرج أبدًا ولا تتحدث مع الجيران، ولا يمكن لومها على ذلك، فربما يكونون قد علموها منذ أن كانت طفلة أن الزنوج يمكن أن يأكلوها، ربما كانت تظن أن المكان لا زال مليئًا بالعجائز الأعزاء من أمثالها. ومن جهة أخرى ربما كانت إنسانة متغطرسة ومتكبرة حتى عندما كانت صغيرة، لقد كان لدينا بعض الاضطرابات والمتمردين منذ فترة مضت، وكان أكثرهم من السود، وكالمعتاد فقد قاموا بتحطيم متجرى، هل تصدق ذلك، وأنت تعرف ما قاموا بكتابته ورسمه وتلوينه على واجهة المحل.

يهودى سمين.

أنا أسألك: "هل أنا... يهودى؟"، سمين حسنًا... أيضًا، ولكننى لست يهوديًا، فأنا ابن مدينة بريستول وربيبها، وكان أبى كذلك، وكان أبوه من قبله، لقد عشنا هنا منذ سنوات، أعترف أن جدى الأكبر كان يهوديًا، وذلك هو الأصل الذى جاء منه اسم العائلة، ويمكننى أن أغيره إذا أردت، لكننى ارتبطت بهذا الاسم قليلاً، ولم أتوقع أن شخصًا ما سوف يحطم متجرى لأنى اسم عائلتى يهودى.

حتى لو كنت يهوديًا، لماذا يفعلون بى ذلك؟ سوف يستمرون فى فعل ذلك بسبب أصولى العرقية، كيف لهم أن يعرفوا إحساس اليهودى؟ هؤلاء السود لا يعرفون معنى الاضطهاد العرقى، لكن أسرتى قد تعرضت لهذا الاضطهاد فعلاً، لقد كنا نعيش هنا عندما كان الجميع يذهبون، لكننا لا نزال نعيش هنا.

لقد جاءوا إلى هنا منذ حوالى جيلين فقط، وأنا قلق جدًا على متجرى، أقــول ذلك لأننى كنت سائرًا فى طريقى فى ذلك اليوم إلى أحد المحلات عنــدما رأيــت سيارة الشرطة واقفة ونصفها أعلى الرصيف وأنوارها الفلاشــية كانــت تــضىء باستمرار، كما كانت هناك سيارة إسعاف أيضًا، وقد أوقفت حركــة الــسير فــى الطريق، وكان كل شىء يبدو مزدحمًا ومليئًا بالحركة، ولكن لــم يكــن هنــاك أى شخص على مرمى البصر...

يبدو أن أحدهم قد تورط فى مشكلة، ويمكن أن يصبح الأمر مسليًا إذا كــان هذا الشخص هو أحد آخر غيرك، فسيارة الإسعاف يمكن أن تكون حاملة شخــصًا ما غيرك قد أصيب من جراء سقوطه من على درج السلم، أو فى معركــة، أو أى حادث منزلى آخر، والآن إذا كانت هناك سرقة مسلحة أو تسليم بضائع مــسروقة، وهو ما يمكن تسميته بجريمة تقليدية، قريبة من هذا المنزل، فسوف تكــون هــذه حكاية مسلية أقصها على الشباب، وكنت قد توجهت إلى ذلك المكان لمجرد العلــم وحشر أنفى فى الموضوع، فقد كنت أعرف ذلك المنزل جيدًا منذ سنوات عديــدة، وفى الركن كانت توجد حديقة جميلة جدًا، وكنت أراقــب الأمــور علــى طريــق المدينة، وكان يوجد دائمًا أناس يتحركون ذهابًا وإيابًا، ولن تستطيع أبدًا أن تتواصل معهم جميعًا، إننى لم ألاحظ- حتى- سكانه الجدد..

عندما كنت سائرًا فى الطريق المعاكس انفتح باب وخرج منــه اثنــان مــن رجال الإسعاف، نصف حاملين ونصف ساحبين هذا الشاب بينهما، وكانت ســيارة الشرطة تضىء بالفلاش، لم أكن أعرف من هو، ولا أذكر أننى قد رأيته من قبــل، وخمنت أنها المخدرات، يجب أن تكون هى، وهذا الشخص الذى كانت رأسه ملقاة

على صدره وكان يترنح، لا بد أنه قد تعاطى جرعة زائدة من المخدرات، وخـــاف رفاقه أن يموت فاستدعوا الإسعاف، وقد أحسنوا الفعل.

قلت لا، ليس لى دخل بذلك الأمر، فأنا لا أتعاطى المخدرات ولا أتاجر فيها أيضًا، على الرغم من أننى أعرف أن بعض الفتيان قد جنوا الكثير من المال عــن طريق هذه التجارة، ورحت أراقبهم وهم يحملون هذا الفتـــى إلـــى داخـــل ســـيارة الإسعاف، كنت على وشك الوصول إلى الباب عندما انفتح مرة أخرى، وفى هـــذه المرة خرج منه رجال الشرطة وكانوا يقبضون على فتى وفتاة، كان الفتى طـــويلاً ورفيعًا ورأسه حليقًا كالكشافة، ولم أتعرف عليه، وكانت الفتاة صـــغيرة وجميلـــة، كانت صغيرة بالفعل ولكن... لقد كنت أعرفها منذ فترة مضت، انظروا... كانـــت تعمل فى أحد بيوت الدعارة فى طريق جلوشستر.

وهى الآن لا تلتفت إلىّ، وإذا كنت تعرف زوجتى فإنها كانت ستستمر فـــى مراقبة ذلك الأمر، أقصد، حسنًا، لقد كنا نحن الاثنين– أنا وزوجتى– مـــن الحجـــم الكبير، ولكن ذلك الأمر يكون مختلفًا بالنسبة للذكر عنه بالنسبة للأنثى، نعـــم، لقـــد مارست الجنس مع هؤلاء الفتيات فى ذلك المكان عدة مرات منذ فترة طويلة عندما كنت أشعر بالرغبة، أو أحيانًا عندما كان يحضر أخى من أسبانيا، وكنا نفعل ذلـــك قبل أن نشرب البيرة، أو حتى فى طريق العودة، وكان يتحتم على هـــؤلاء الفتيـــات أن يعملن من أجل الحصول على المال فى ذلك الوقت.

لقد عرفت هذه الفتاة لأن... كانت أولاً وقبل أى شيء صغيرة جدًا فى ذلـــك الوقت، أصغر من أغلب الفتيات الأخريات، وقد أحببت ذلك، ثم إنها كانت لطيفـــة أيضًا، ولها شخصية جذابة، وهو أمر مهم بالنسبة لي، فأنا أحب أن أرتـــبط بفتـــاة

معينة، على الرغم من أن أغلب الفتيات لا يحببن العميل كثير الكلام عادة، فإنها أحبتنى، أو أعطتنى ذلك الانطباع على الأقل.

كانت الأمور تسير على النحو التالى: تدخل إلى ذلك المكان من أجل طلب عادى، ثم ينبغى عليك أن تفاصل فى السعر إذا أردت أن تحصل على خدمة مخصوصة، لأن السعر غالبًا ما يكون مرتفعًا فى هذه الحالة، وهو سعر غال على مثل هؤلاء الفتيات، وهذه الفتاة "نيكي"، كما تسمى نفسها، وهي ليست تلك الفتاة التى تقبل بأى شىء، فهى تدخل معك فى مساومة طويلة حول السعر، ولكنها كانت دائمًا تعطينى ما أريد فى نهاية الأمر.

وكنت أقول لها: "لا أستطيع أن أتحمل ذلك يا حبى"، فتقول: "أوه، حسنًا، إنك ستحظى بشىء آخر"، ثم تقول فى منتصف الطريق: "أوه، حسنًا، هذا من أجلك..." ثم تعطينى ما أريد على أية حال.

وعلى الرغم من أنه ليس لديها قلب، فقد أحبتنى عندما شعرت أننى أبدو منكسرًا خائب الأمل، ثم... ذلك هو الذى أحببته فيها... إنها عندما أنهت عملها معى وأعطيتها ما طلبته فى أول المقابلة، أخذت تضحك وتهز رأسها كما لو كنا أصدقاء، أقصد أن ذلك كان مثيرًا بالنسبة لى، فأنا أحب أن أعتقد أنها أحبتنى، كما أن عملها كان ممتازًا، ودائمًا كنت أرحل من عندها بعد لقائى معها ولدىَّ إحساس يساوى مليون جنيه.

نعم، لقد كانت عظيمة، نيكى، وكنا قد اعتدنا على الحديث فى كل المواضيع، بينما تميل الفتيات الأخريات إلى الصمت ثم الدخول إلى العمل مباشرة، ويسرعن بإنهاء العمل للحصول على أجرهن، ولكنها لم تكن كذلك، إنها- حقيقة- غير ذلك، فهى تجتهد وتبذل نفسها، وتشاركك فى آرائها، وقد اعتدنا التحدث معًا

فى السياسة، ولكن ليس كثيرًا لأننا كنا مختلفين- نوعًا ما- فى الأصول العرقيـــة، وكان لديها بعض الآراء الغريبة لكونها عاهرة، وكانت ترى أن كـــل الأشـــخاص التعساء الذين لم يلقوا إشباعا كافيًا مع زوجاتهم أو لم يكن لديهم صديقة أو ما إلـــى ذلك، فإنهم سيصابون بالإحباط مما يجعلهم يرتكبون جرائم جنسية.

قالت: "لا... لا... لست أنت، لست أنت الذى يفعل ذلك".

أذهلنى ذلك قليلاً بالفعل، وكانت نيكى منفتحة كثيرًا لأنها استطاعت أن تدع ما تعتقده عن باقى الزبائن وتنظر لى نظرة أخرى خاصة، على عكـــس الفتيـــات الأخريات اللاتى لا يحترمن الزبون، وتلك هى المشكلة مع الداعرات المحترفـــات، فعلى عكس المهن الأخرى، كبائع للسجائر مثلاً، يمكنك التدخين واحترام صـــديقك المدخن، أما بائعات الهوى فكن يمارسن الجنس مع الزبائن، لكنهن- لـــسبب مـــا- يحتقرن الشخص الذى يدفع من أجل ذلك، وأنا أعتقد أن ذلك الشخص الذى يـــدفع من أجل ذلك كان ينظر أيضًا باحتقار إلى هؤلاء الفتيات اللاتى يدفع لهن.

حسنًا، كنت أعرف ذلك، وكانت هي أيضًا تعرف ذلك، ولكنها لم تكن تفعـــل أى شىء....، ولم تكن تنظر إلىَّ باحتقار كما تفعل الأخريات.

لكنى وجدت بعض الصعوبات فى التعامل معها بعد ذلك، وكان بعض منهن يفعل ذلك دائمًا، وهو تعاطى المخدرات، فقد تعاطت المخدرات فى نهايـــة الأمـــر، ورأيت علامات التعاطى والحقن فى ذراعيها، وأخبرت جوردن (صاحب الـــصالة) أننى لم أعد أريد نيكى بعد ذلك، لأنه يجب على المرء أن يكون حذرًا من الإيـــدز، ومن مثل هذه الأشياء، إن التشارك فى الإبر يمكن أن يصيب بالتلوث والعدوى عند التعاطى، وبجانب ذلك كان لدىَّ كبريائى، أقصد أننى رجل كبيـــر الـــسن وســـمين ومقطوع النفس، وإذا أردت امرأة لتنام معى فينبغى أن أدفع لها، ولكننى لـــست

مضطرًا لفعل ذلك مع مدمنة، فأنا لست محبطًا لهذه الدرجة، وكان من الأفضل أن أمارس ذلك مع زوجتي.

لا أعرف إذا كانت لا تزال تعمل في تلك الصالة أم لا، فأنا لم أرها منذ فترة، ولم أسأل عنها، لقد بدت جميلة، ربما كان ذلك بسبب الأضواء الزرقاء أو ما كان يحدث لها، لا أعرف، وقد بدت في حوالي الأربعين، برغم أنها لا تزال تعتقد أنها في السابعة عشرة، وأظن أنها كانت تكذب على نفسها حينئذ.

ثم حدث هذا الشيء الغريب، كان هناك فترة توقف أثناء فتح الشرطة لباب السيارة، وكنت واقفًا أحملق في نيكي، وكان الشخص الذي معها يراقبني ويراقبها، وقد أومأ لي، اعتقدت في البداية أنه كان يومئ لشخص آخر خلفي، لكن عندما نظرت من فوق كتفي إلى الخلف لم يكن هناك أحد ورائي، لذا لا بد أنني كنت أنا المقصود بهذه الإيماءة، ولم أستطع أن أتعرف عليه أو أتذكره، فكرت لماذا أومأ إليّ؟ ولكنني تذكرت أنني رأيته من قبل يذرع الطريق ذهابًا وإيابًا، إنه كان أحد الوجوه التي تمر خلال عدة أشهر ثم تختفي في أحد الأيام، وبدون أن تلحظ غيابهم أو تحس بوجودهم، حملقت فيه بشدة ثم تذكرت، كان دافيد، إنه ذلك الفتى الذي عرفته بريتشارد منذ عدة سنوات مضت، وقد أصبح اليوم يقلل من شأني، لقد جاء من ذلك المكان البعيد إلى هنا لكي يهزأ بي، فأنا أتذكر يوم أعاد لي سجائري، وقال إنها تحول لون جلده إلى الرمادي، كان لديّ علبة "بنسون" في جيبي، فلما أغضبني لوحت بها أمامه وصرخت فيه قائلاً: "أراهن أنك لن تقول لا".

ولكن برغم أن رجال الشرطة كانوا منتشرين في كل مكان، فإنهم لم يكونوا بهذه المهارة لكي يلمحوا لفافة المخدرات عندما يكونون مشغولين بعملهم، ولما رأيت الشرطي الذي كان واقفًا معهم ينظر إليّ ويراقبني، فعلت ما أفعله دائمًا عندما أرى شرطيًا يراقبني، مضيت بعيدًا عن المكان.

(٢٣)

تـــــار

عندما تريد أن تكون صديقى.

دق على بابى.

أنا لن أقوم بفتحه.

أنا أعرف.

لماذا أنت هنا.

أنا أعرف بالضبط لماذا جئت.

"لوركى"

كنت عند "ديف" عندما جاء هذا الصديق وقال: "لقد تم تهيئة مكانك..."

ذهبت مباشرة إلى هناك، لم أفهم لماذا كانوا يفعلــون ذلــك فــى هــذا الوقت، بدلاً من الساعة الثانية صباحًا كما اعتادوا دائمًا أن يفعلوا عندما يعرفون أن الجميع قد حضروا، وكانت السيارة تضوى بالضوء الأزرق، كان ذلك الأمر مثــل الحلم، لم أفزع وكنت مرتاحًا لذلك، وبدا الأمر غريبًا بالنسبة لى، كنــت مندهــشًا لكونى مرتاحًا، وكنت أظن أن هذا الضياع اللعين سينتهى إلى الأبد، لكنه لم ينته.

سرت ذهابًا وإيابًا عدة مرات، وكان روب وللى قد رجعا إلى مكانهما القديم منذ عدة أشهر بعد أن تمت ولادة الطفل، ولم أعرف ما إذا كانت جيما هناك أم لا، ولكنى كنت أظن أنه من المحتمل أن تكون هناك، لم أعرف ما الذى كـان ينبغـى على فعله، أقصد أنه إذا كانت عربة الإسعاف قد جاءت من أجلها فـلا يوجـد أى شىء أستطيع فعله، ولكننى أردت بشدة أن أكتشف ما إذا كانت عربة الإسعاف قـد جاءت من أجلها وما إذا كانت بخير، أو أنها ماتت أو مـاذا؟... إذا كانـت بخيـر فسأذهب وأتحمل التوبيخ بسعادة ولكن إذا كانت قد ذهبت فإن هذا سـيكون أسـوأ شىء على وجه الأرض.

إن الموضوع هو أن لدينا هذا الصديق كول الذى اعتاد الخروج مع سـالى، وكان بعيدًا فى أمستردام منذ حوالى ستة أشهر، وعندما عاد جاء إلى مجلسنا فإنـه يمكن أن يكون هو صاحب هذه المشكلة، لكننى فى النهاية يجب أن أكتشف الأمر، ولم أستطع أن أظل هكذا بدون أن أفعل أى شىء، لذا دخلت.

كانت الشرطة فى الصالة، وكان هناك شرطيان، أحدهما كبير والآخر عادى الحجم، أقول عادى ولكنه كان شخصًا ضخمًا أيضًا، جذبانى كل واحـد مـن ذراع بمجرد أن دخلت من الباب.

- "ماذا تريد يا بنى؟".

- " أين جيما؟".

- " لا تهتم لجيما، ما الذى تفعله هنا؟".

- "أنا أسكن هنا... "، فنظر كل منهما إلى الآخر.

- "هل هى بخير؟ لمن سيارة الإسعاف هذه... ؟"، وحاولت تحرير نفسى منهما، واندفعت إلى باب غرفة المعيشة، ولكنهما أحكما القبض علىَّ وأرقدانى على الأرض برفق، وكنت أحاول المرور من بين أيديهما على طريقة كينج كونج.

لكنهما لم يخبرانى بأى شىء بالطبع... وما إذا كانت هناك، أو كيف حالها، أو أى شىء من هذا القبيل، وسحبانى إلى مؤخرة الصالة وفتشانى، وكنت طوال ذلك الوقت أسأل: "أين جيما؟ أين جيما؟".

ظلا يقولان: "لا تهتم لجيما؟"، وكانا يعاملاننى كما لو كنت ولدًا غير مهذب.

قلت: "أى شىء تجدونه هنا هو ملكى".

سادت لحظة من الصمت.

وسأل الشرطى الضخم: "ما الذى يمكن أن نجده هنا؟".

- "أنا أعيش هنا، وأى شىء هنا هو ملكى".

- "هل تريد تقديم بلاغ؟".

- "نعم".

قال الشرطى الآخر: "اقبض عليه أولاً".

فقال الشرطى الضخم: "ارفع يديك"، ثم ذهب إلى الغرفة الأمامية وفتح الباب وأغلقه بسرعة، لذا لم أستطع أن أرى ما يحدث هناك.

قلت: "أريد أن أعرف فقط هل هى بخير؟".

قال الشرطى: "إذا كان هو بخير؟"، وكأننى لم أقل جيما عشر مرات بالفعل... ثم انفتح الباب، وخرج الشرطى الضخم بكيس من البلاستيك كان به كل

ما لدينا من مخدرات، ربما كان ربعه أو نصفه من الهيروين، وكمية قليلة من الحشيش.

سألنى: "هل هذا ملكك؟".

ألقيت نظرة ورأيت أنها ليست مثل أشيائنا، ربما كان بعضها يخص كول لكن...

قلت: "نعم، إنها ملكى، كلها ملكى".

قال الشرطى: "أنا ألقى القبض عليك بتهمة حيازة عقاقير سامة لغرض البيع لشخص أو أشخاص غير معروفين... يجب أن أحذرك...".

كنت نصف مستمع، وكان ذلك الشرطى فظيعًا، وظللت أنظر إلى الباب طوال الوقت وأتساءل أين يمكن أن تكون جيما.

تجول أحد رجال الشرطة خارج الصالة ليبعث نداء من جهازه الجوال، ثم انفتح الباب وخرج اثنان من رجال الإسعاف، كانا يحملان كول الذى كان فى حالة قىء وهم يسحبانه، أقصد أنه كان فاقد الوعى تمامًا وكانت رأسه تسقط وترتفع كلما سارا به ثم تسقط إلى الوراء مرة أخرى.

سأل الشرطى الواقف لحراستى: "كيف هو؟".

قال أحد المسعفين: "سيعيش".

سأل الشرطى: "وماذا عن الشخص الآخر؟"، نظر المسعف إليه ثم إلىّ، وأخذت أفكر فى أسوأ الأمور...

صرخت: "أين جيما؟ أين جيما؟ جيما، جيما!"، وأخذت أكافح لأدخل من خلال الباب، فجذبني الشرطى إلى الحائط وعلقنى إلى أعلى وقدماى لا تلمسان الأرض، ولكننى استمررت فى الصراخ والدفع بعدها سمعتها تقول..."أنا بخير يا تار، أنا على ما يرام".

وسمعت صوتًا يقول بشكل مباشر: "أغلقى فمك"، وكان صوتًا قاسيًا لامرأة، لا بد أن تكون عاهرة فعلاً.

صرخت جيما، ولكننى كنت قد اطمأننت عليها، وعرفت أنها كانت هناك، وأنها بخير، استطعت أن أبكى كما شئت بعد رؤية كول...

كان ذلك الشرطى قويًا حقًا، وقد ألصقنى فى مواجهة الحائط بقسوة، ولكنها كانت غلطته فقط أنه سأل مثل هذا السؤال: "كيف الآخر؟".

لقد سأل هذا السؤال ليريحنى فقط.

قلت: "كان يمكنك أن تخبرنى أنها بخير فذلك لن يصيبك بأى أذى".

سخر الشرطى منى وقال: "يا أيها الغبى".

ثم وانتنى فكرة، وصرخت بأعلى صوتى: "هذه الأشياء ملكى، يا جيما، اتفقنا؟".

وكان الشرطى غاضبًا، فجذبنى بقوة وهزنى بعنف، وصرخت المرأة التى فى الجانب الآخر من الباب: "أغلق ذلك الفم اللعين!".

همس الشرطى: "ماهر أيها الشهم الصغير".

وظهرت على وجهه نظرة شديدة السوء كانت تطل من عينيه، وأراد أن يسخر منى، وظننت أن السبب الوحيد الذى منعه من القيام بذلك أن رجال الإسعاف كانوا واقفين بالخارج عند الباب الأمامى يستمعون إلى كل ما يقال.

اقتادونا أنا وجيما بعد ذلك مباشرة إلى الخارج فى الصالة، وأخذونا معًا فى سيارة الشرطة، ورأيت المرأة التى تتحدث إلينا، كان وجهها مثل القناع الأبيض، مربع، بشع المنظر، وجعلونا نسير إلى السيارة، وحدث أمر غريب، خمن من الذى رأيته يراقبنا من على الرصيف المقابل؟، لقد كان سكولى... أول شخص عطف علىَّ وعرفنى بريتشارد.

أحسست بالحرج الشديد، لم أتبادل أى كلمة معه، لم أقل له حتى شكرًا منذ أن تركت الساحة منذ ثلاث سنوات مضت تقريبًا، لقد فعلت ذلك ذات مرة عندما كنا عائدين ليلاً إلى المنزل فى ساعة متأخرة من تلك الحفلة، وأقبلت عليه مع بعض الأشخاص، وكان واقفًا خارج الباب وعرفته من مظهره، وكان يسير فى الممر، فتعرفت عليه فى الحال، أعتقد أنه كان على وشك أن يتجه إلينا ليسلم علينا، ولكنها كانت غلطته حقًا، فقد رأى للى فى ضوء اللمبة، وكانت مرتدية رداءها المعتاد الخاص بالحفلات، جاكتة الخيوط الكروشيه، فتراجع وكتم فى فمه كل ما كان يريد قوله.

كنت على وشك أن أقول له أهلاً، ولكن للى ألقت عليه نظرة وبدأت فى الصراخ قائلة: "وحش البار... وحش البار!"، فابتعدنا كلنا وأخذنا نجرى كما لو كنا قد رأينا شيئًا مرعبًا، ونحن نصرخ: "وحش البار!"، كنت أتذكر ذلك وكلى أمل فى ألا يتعرف علىَّ.

كان الوضع أفضل فى قسم الشرطة، وكان شرطى الاستقبال طيبًا حقًا، وكان أعلى رتبة ولكن ذلك لم يشكل أى فرق لأنه تم استجوابى بواسطة الشرطيين الضخمين اللذين قبضا علىَّ، كانا فظيعين، وظل أضخمهما يصيح ويصرخ فى وجهى، أتذكر أنه بصق على وجهى عندما اتجه ناحية اليمين نحو الطاولة صارخًا، وأشرت له أطلب الإذن بالذهاب، فعلت ذلك بأصبعى، وفكرت فى إهانة الشرطى، ولكننى لم أجرؤ على فعل ذلك.

ثم خرج الشرطى الأول ودخل الشرطى الآخر، وتظاهر معى بالطيبة والألفة ونادانى دافيد، وجلس بجانبى قائلاً: "إن ذلك مجرد دردشة بسيطة قبل أن يأتى صديقى من استراحة الشاى... "، كانا يحاولان معرفة الأسماء وعناوين الأماكن التى اشترينا منها المخدرات، وممن، وما إلى ذلك، وقد احتفظت بفمى مغلقًا بالطبع.

كنت أعرف أين نحن الآن، ومن المفترض أن تخاف جدًا من هذا الشخص السيئ الذى يقول كل شىء للشخص الطيب، والشىء الغريب أن ذلك الشخص الطيب كان من الغباء بحيث تصرف تصرفًا جيدًا، إن ذلك الشرطى لم يستطع أن يجعل من نفسه طيبًا، وفى النهاية كان هو الذى قال لى أيها الغبى، وقد ظللت أطلب سيجارة، وكان يقول لى: "ستأتى فى خلال دقيقة يا دافيد، فى خلال دقيقية..." ولكن السيجارة لم تأت، وقد بدا من الواضح أنها لن تأتى أبدًا، وأنه لن يتمكن من ذلك، فهو شىء صعب عليه ولا يستطيع فعله، وقد علموه كيف يتصرف، ولكنهم نسوا أن يعلموه كيف يكون طيبًا بالفعل.

كان ذلك كله لا يزال غريبا بالنسبة لى، أليس كذلك؟، وكان ينبغى علىَّ أن أتماسك، خصوصًا عندما كان الشرطى الطيب يخبرنى أن الأمور ستسير

بصورة أفضل بالنسبة لجيما إذا قلت الحقيقة، لأن الحكم سيكون مخففًا إذا تعاونت معهم... وكان ذلك مجرد أكاذيب بالطبع، عرفت ذلك، ولكن ما زال... وقد أخبرني الشرطي أنها ستقول كل شيء، وينبغي عليّ أن أفعل مثلها، وقد صدقته تقريبًا، وعندما خرجت فيما بعد اكتشفت أن ذلك كله كان مجرد أكاذيب بالطبع.

أطلقوا سراح جيما في تلك الليلة، وظللت بعيدًا عنها لمدة ثلاث ليال، وقد أفهموني أنهم قد حولوني إلى المحكمة العليا، وتم التحفظ عليّ من قبل هيئة الخدمات الاجتماعية، ووضعوني تحت رعايتها بأمر من المحكمة، ولم أخبرهم بأي شيء، ولا بكلمة واحدة، وأخرجوني من قسم البوليس وأودعوني مؤسسة الأحداث، وكان مبنى المؤسسة مظلمًا، والحوائط مدهونة بطلاء تنبعث منه رائحة الكرنب المغلي الكريهة، لكن الأرضية كانت جميلة، كلها شجيرات ونباتات برية وأشجار كبيرة، لا بد أن يكون قد تم زراعتها منذ مائة سنة أو مائتين على الأقل، عبرت هذه الأدغال المملوءة بالتوت الأحمر، كانت رائحة أوراق الشجر والأرض الزراعية تفوح في الهواء، وكان لونها متوهجًا لدرجة أنه آذى عينيّ، فأحيانا تكون الألوان الفاقعة غير مبهجة حقًا، أنا نظيف من الإدمان الآن وجسمي خال من المخدرات، وكنت أشعر كأنني أنظر إلى شيء ما جديد أراه لأول مرة منذ ثلاث سنوات، وفكرت في أن المخدرات كانت تقف حائلاً بيني وبين العالم من حولي طوال ذلك الوقت، مثل ستارة سميكة تمنعك من الرؤية أو سماع أي شيء أو لمسه من خلالها، وبدا الأمر وكأن الثلاث السنوات الماضية لم تكن موجودة أبدًا في حياتي، وكأنني قد وضعت نفسي في مستشفى للمجانين، غائب الوعي طول هذه المدة، وأعتقد أن ذلك هو ما قد حدث لي بالفعل.

لا، إنه ليس السجن، فالحكم فى قضيتى لم يتجاوز الثلاثة الشهر، لا، إنه مركز الرعاية فى ويستون– سوبر ميلير، وكان المختص الاجتماعى المسئول عنى بى يقول لى إننى إذا أتممت الكورس العلاجى فى ويستون، فسوف أحصل على تقرير جيد، وذلك إذا ظللت بدون تعاط وسويت الأمور مع جيما، وحصلت على عمل، وكل ما إلى ذلك من أمور، فسيكون لدىّ فرصة للخروج تحت الإفراج المشروط، ربما نتزوج أنا وجيما، لكن المختص الاجتماعى كان يقول إن هذه الخطوة قد تكون مبكرة جدًا فى هذه المرحلة من عمرنا.

أنا هنا فى الحجز، وكان ينبغى على أن أواجه ذلك لأننى كنت مرعوبًا جدًا من الدخول إلى هنا، وأعرف أشخاصًا قضوا مدتهم كاملة وكلهم يقولون نفس الشىء، وظللت أفكر فى الحرس، وكيف أنهم قساة وغلاظ القلوب، وأننى لن أستطيع التعامل معهم، أنا أعرف أننى لن أستطيع التعامل معهم أو مواجهة الحياة هنا، وما يرتبط بها من أمور.

الشىء الغريب، هو أن الأمر لم يكن كذلك عندما تم القبض علىّ، قد كنت جالسًا فى الزنزانة أفكر، وأنا أحمد الله الآن على أن كل شىء قد انتهى، كان ذلك شيئًا خارجًا عن إرادتى، وقد فكرت فى أن أذهب مباشرة إلى مؤسسة الأحداث لمجرد أن أبتعد عن كل شىء لمدة سنتين، لا مزيد من القرارات، لا مزيد من الإخفاقات، لا مزيد من الوعود والأكاذيب، لا مزيد من الهيروين، لقد فقدت كل شىء، جيما، أصدقائى، الشقة والبضاعة، لكننى كنت مسرورًا بذلك وكنت أفكر، يا لها من راحة، لم يعد لدىّ أى حياة، الحمد لله على ذلك.

لقد تركنى هؤلاء الملاعين لأذهب، ثم، عندما صرت بالخارج أصبحت خائفًا بالطبع من ذلك كله، وبدأت الاختيارات والبدائل المختلفة فى الظهور أمامى،

لذا عندما قال لى المختص الاجتماعى إن هناك فرصة، قفزت إليها وكان هذا هو الأسلوب الأفضل، أنا هنا لأننى أريد التوقف عن كل شىء، أريد أن يكون جسمى نظيفًا من الإدمان وخاليًا من المخدرات، أريد أن أتحكم فى حياتى بنفسى لا أن أتركها للشرطة، يا للمسيح- الشرطة علاج- من يحتاج إلى ذلك؟

كان من أهم الأشياء التى أدركتها منذ أن أتيت إلى هنا حقيقة أن حبى لجيما كان هو أهم شىء فى حياتى، تخيل لقد نسيت أننى كنت واقعًا فى الحب.

أنا أكتب لها كل يوم، وأرسم لها نبتة هندباء صغيرة فى كل خطاب، وكنا دائمًا نوقع فى آخر خطاباتنا بالكلمات التالية: "هندباء... أنا أحبك".

وكان كثير من الناس يرون أننا يجب أن نفترق لأن كلاً منا كان يسحب الآخر إلى الهاوية، أنا ضعيف، كنت أعرف ذلك تمامًا، وكان هذا هو أول شىء يعلمونك إياه هنا، يجب أن تتذكر أنك ضعيف، وأنك دائمًا ضعيف، وكل تعاطٍ تتناوله يجعلك أضعف، كانت جيما ضعيفة أيضًا، ولا يوجد أى شىء قوى مثل الإدمان، لذا فنحن نسحب بعضنا إلى الهاوية، أستطيع أن أرى ذلك بوضوح، ولكن لا يمكننى التوقف عن حبها، إنها كل ما لدىَّ فى الحياة.

كان يمكننى أن أتركها منذ شهر مضى، ولكن ليس الآن، منذ شهر لم أكن أحبها مثل الآن، لم أكن أهتم لأى شخص آخر، سواء والداى أو أصدقائى أو جيما، لم أكن أشعر بأى شىء، وكنت أعتقد أننى على القمة، قمة الأشياء، كنت أعتقد أن عدم الشعور بأى شىء هو الأفضل، كان ذلك بسبب المخدرات، كانت المشاعر موجودة، حسنا... لكننى كنت مخدرًا بدون أى مشاعر.

كانت جيما تواصل العلاج وقد أقسمت أن يكون جسمها نظيفًا من أى مخدر أثناء وجودى بالحجز، وقد ظللنا بدون تعاط لمدة أسبوعين قبل أن آتى إلى هنا، حسنا... لقد انقطعنا عن التعاطى لأننا أردنا الحصول على أطفال أصحاء جسمهم خال من أى مخدرات، وقد ظلت للى تتعاط حتى عندما كانت حاملاً، وكانت تقول باستمرار إنها ستصبح أما جيدة، وكذلك فعل كل من كانوا حولها، ولكن كيف يمكنك أن تكونى أمًا جيدة فى نفس الوقت الذى تتعاطين فيه المخدرات؟، وظلت كذلك حتى أثناء الرضاعة أيضا، لقد رأيت كيف كانت كل العروق التى فى ذراعيها وخلف ركبتيها قد اختفت من كثرة الحقن، لذا كانت مضطرة أن تحقن نفسها فى أماكن بين ثدييها، لقد رأيتها وهى جالسة والطفل على صدرها تبحث عن وريد.

قالت: "تكون العروق كبيرة وجميلة عندما يكون ثدياك كبيرتين ومملوءتين باللبن". لم يعلق أحد على ذلك بأى كلمة.

إنها المخدرات التى تجعلك تظن، أنك إذا لم تقل الحقيقة وتعترف بها، فإن الحقيقة تختفى وتصبح غير موجودة بشكل ما، لكنك تكون أحمق تغش نفسك، وإذا أشار أى شخص للى أو قال لها أنها تسىء إلى طفلها، فإنها ستجن، ولكنها كانت تعرف تمامًا أنها تفعل ذلك، إنها المخدرات التى تجعل الناس جميعًا بعيدين عن الحقيقة، ولا يهمهم أى شىء، لأن ذلك الشىء لم يعد حقيقة بالنسبة لهم.

لكنه يظل كذلك وموجودًا فى الواقع.

تقول جيما إننا إذا لم نستطع التوقف عن المخدرات معًا فى هذا الوقت فيجب علينا أن نفترق، لقد فعلتها أنا أيضًا، ونجحت هذه المرة، وهذا هو سبب أهمية نجاحى فى التخلص من التعاطى هذه المرة.

كانت جيما قوية جدًا، واستطاعت التوقف عن الذهاب إلى صالة البغاء، وتوقفت أيضًا عن الهيروين، وكان ذلك أمرًا صعبًا بحق، لذلك فقد بذلت مجهودًا جبارًا معها، ولكنها كانت خارج السجن مع للى وروب وسالى وبقية الشلة، وكانت تكتب لى مرتين أسبوعيًا، وقد كانت مخلصة فى ذلك فعلاً، لكنها حطمت كل شىء الآن وفيما بعد، أستطيع أن أفهم ذلك، أنا أقدر الصدق أكثر من أى شىء آخر، وعندما أخرج من السجن فسوف نرحل بعيدًا عن بريستول، وسيكون لنا منزلنا الخاص، وسيكون جسمى قد أصبح نظيفًا من الإدمان لمدة شهر، كانت جيما تتناول كميات قليلة من المخدرات، وأنا أعرف أنها تستطيع أن تكف عن التعاطى لأنها لا تكذب مثلى، كنت أتظاهر دائمًا بأننى لا أتعاطى أى مخدرات، ولكننى لم أكن كذلك، إلا أننى أصبحت أكثر صدقًا مع نفسى، حتى وأنا أتعاطى مرتين أو ثلاث مرات أو أربعًا يوميًا لعدة أسابيع وأسابيع، وكان أول شىء حدث عندما جئت إلى هنا أنهم أخذوا منا الأصناف الجديدة التى كانت معنا وقالو لنا ما قالوه، وكان هناك حوالى عشرة أفراد منا نحن المحتجزين هنا، وفجأة أخذ هذا الشخص فى الكلام قائلاً: "لا يوجد أحد يمكنه أن يحتفظ بك هنا، وفى أى وقت تحس أنك قد اكتفيت فهناك الباب"، وأشار إلى علامة خروج كبيرة خضراء فى الركن، واستمر يقول: "لكن أثناء إقامتك هنا غير مسموح لك بتناول أى نوع من المخدرات أو العقاقير أو حتى الأسبرين".

فضحكنا جميعًا فى عصبية.

ابتسم وأضاف: "ولا حتى الحشيش"، استمر قائلاً: أنا أحب التدخين، ولكننى تركته عندما أصبح ينبغى علىّ الاستمرار بدونه، فهل تستطيع أنت الاستمرار بدون مخدر كذلك؟".

أخذ الجميع يتحركون وهم جالسون فى مقاعدهم، وضحكوا بصورة أكثر يسرًا.

أكمل يقول: "إذا تم إلقاء القبض على أى شخص معه مخدرات من أى نوع ستكون أنت خارج الموضوع، لا أسئلة لا مناقشات، وذلك ينطبق على أنا أيضًا، وهكذا إذا وجد أى شخص يشعر بأنه ليس باستطاعته أن يفعل ذلك فمن الأفضل له أن يرحل الآن، حقًا، اذهب الآن، ويمكنك الحضور فى وقت آخر، انتظر حتى يتم إلقاء القبض عليك، وسوف يجعلونك تترك التعاطى إلى الأبد، أما إذا تم إلقاء القبض عليك وأنت تتعاطى المخدرات هنا فلن تعود إلينا مرة أخرى أبدًا".

وبالفعل قام شخصان من الموجودين وخرجا، وقد أغريت نفسى بالخروج، ولكننى كنت أعرف أن ذلك اختيار بين البقاء هنا أو الذهاب إلى مؤسسة الأحداث.

بدأت أعراض سحب المخدرات تبدو علىَّ بعد ذلك، لم أشعر بمثل هذه الحال السيئة من قبل، كنت أقوم فى الحقيقة بتعاطى مقدار قليل من المخدرات لمساعدتى مثل الميثادون أو أى شىء آخر، كان ذلك فظيعًا، وكنت قد تحطمت تقريبًا، وكنت مستعدًا لفعل أى شىء لو كان الأمر بيدى، جلست فى مقعدى أتأوه، وشعرت بمنتهى السوء، وكان الجميع يقولون لى: "هيا يا تار يمكنك فعلها، فقط بضعة أيام أخرى وسيكون جسمك نظيفًا خاليًا من المخدرات، ولكن كل ما كنت أريده فى نهاية الأمر هو الحقن، أخبرتهم أننى لن أستطيع الاستمرار، وطلبت منهم أن يستدعوا أحد المستشارين لأخبره برغبتى فى الرحيل، وكان المستشار هو ذلك الفتى الحالم– ستيف الذى جلس وراقبنى قليلاً ثم قال: "هل تريد شيئًا يساعدك؟".

– "ماذا تعنى؟"

- "لا أستطيع أن أعطيك هيروين، ولكن لدىَّ بعض الميثادون للحالات الصعبة ويمكننى كتابة روشتة"، وقام بإخراج مفتاح قائلا: "هذا مفتاح كابينة الأدوية، ويمكنك الحصول على الميثادون فى دقيقتين إذا أردت".

الميثادون هو بديل الهيروين الذى يعطونه للمدمنين لعلاجهم فعلاً، إنه أسوأ من الإبر فى بعض الحالات، إن علامات انسحاب المخدرات من الجسم والتخلص من السموم كانت سيئة، بل أسوأ من الإدمان نفسه، ولكن الهيروين غير قانونى أما الميثادون فهو قانونى، لذا... أخذت ألهث وقلت له: "نعم من فضلك، أعطنى أى شىء".

- "اتفقنا، سأذهب وأحضره، احزم حقيبتك".

- "ماذا"؟.

- "احزم حقيبتك، إذا أردت بعضًا من المخدرات، يمكنك الحصول عليها ولكن ينبغى عليك الرحيل من هنا فى هذه الحالة"، وأخرج المفتاح قائلا، "أمامك دقيقتان للاختيار يا تار".

أخذت أحملق فى ذلك المفتاح ثم حملقت فابتسم... قلت له: "فقط... اللعنة".

لقد كانت المخدرات قريبة جدًا منى.

كنت غاضبًا وقتها، ولكنهم كانوا يعرفون ما الذى يفعلونه، لقد كانوا معاونين ومدعمين حقًا، ولكنهم كانوا يجعلونك تضطر لأن تقاتل فى كل خطوة فى طريقك، لقد اكتشفت فيما بعد أن ستيف هذا كان مدمنًا لمدة خمسة عشر عامًا، خمسة عشر عامًا كاملة ثم استطاع التخلص من الإدمان، إذن التخلص من الإدمان أمر ممكن وليس مستحيلاً.

كان يوجد أحد المستشارين هنا ممن كانوا من مدمنى الكحوليات فيما سبق، كان شخصًا سيئًا حقًا، اعتاد أن يتناول الكحوليات منذ الصباح ولم يكن يفارق الجعة المعتقة أبدًا، كان يتناولها بمجرد أن يستيقظ، وكان دائمًا يتأكد أن لديه قليلاً من الجعة المعتقة بجانبه لكى يستطيع تناول مشروبه بمجرد أن يستيقظ، وعندما يشربها كانت معدته ترفضها فتخرجها قيئًا فى الحال، ولم يكن يستطيع الحصول على كمية أخرى من الجعة لأن ذلك كان هو كل ما لديه منها، لذا كان يقيء فى يده، ثم يعود ليشربها من جديد...

لكنك لو رأيته الآن لوجدت أنه قد أصبح شخصًا عادى المظهر تمامًا، فقد توقف عن الشرب منذ عشر سنوات، عشر سنوات كاملة، ثم رأى فى إحدى الليالى أنه قد تغلب على إدمانه وتجاوزه تمامًا، وأنه يستطيع الآن أن يرتاح قليلاً، لذا تناول شرابًا وكانت هذه هى النهاية، فقد استيقظ فى الصباح التالى، ورأى أنه لا يوجد سوى شيء واحد فقط يمكن أن يجعله يحس بأنه أفضل مرة أخرى، وقد فعله، لقد عاد إلى الجعة المعتقة مرة أخرى لمدة أربع سنوات.

أتذكر ديف ورفيقته عندما عزما على التوقف عن التعاطى، وقاما بحجز مكان لقضاء إجازة فى جزر الكنارى، هل تعرفون ما الذى حدث؟ لقد قابلا على الطائرة شخصًا ما وكان تاجر مخدرات ومعه كمية منها.

إن ذلك هو أحد الأشياء التى يعلمونك إياها، إنك تستطيع ألا تمس تلك الأشياء مرة أخرى، مهما كانت، سجائر، بيرة، إبر، لا يهم ما حدث لى، لا يهم ما أفعله أو ما لا أفعله، أستطيع ألا ألمس الهيروين مرة أخرى، ليس بسرعة ولا دفعة واحدة لأننى لست قويًا بشكل كاف، وهو أقوى منى، وذلك شيء مهم يجب أن أتذكره دائمًا...

إنهم يعلمونك أشياءً مثل ذلك، ولكن التركيز هنا يكون دائمًا علـــى العــلاج، نحن نجلس، نتحدث بعضنا إلى بعض ويجب عليك أن تتذكر كل شيء، والناس هنا يستمعون إليك دائمًا، إنهم لا يحاكمونك، ولا يوجهون إليك السباب الــذى يوجهــه إليك، عادة أولئك الناس الذين ليس لديهم أى مشكلات أبدًا، والشيء الآخر، والــذى ربما يكون هو الشيء الرئيسى أنهم ليسوا مثل كل المدمنين الذين أعرفهم، لأنهــم يريدون التخلص من الإدمان فعلاً.

لدينا هنا جميع أنواع المدمنين، مدمنى السرعة، ومدمنى الهيروين، ومدمنى مشتقات حمض البربتيوريك المنوم، وأناس آخرون من مدمنى الفــاليوم، وتوجــد سيدة فى مثل عمر أمى تقريبًا كانت تتعاطى الفاليوم لمدة ثلاثين عامًا، تخيــل لقــد كانت مدمنة الفاليوم طوال هذه السنوات، كان اسمها نانــسى، ويبــدو أنــه يوجــد الكثيرون من أمثال هذه السيدات، وقد جعلنى ذلك أفكر فى أمى بطريقــة أفــضل، فلقد وجدت أمى على الأقل عقارًا أكثر تسلية من الفاليوم.

كان لدى نانسى ابن فى مثل سنى لم تره منذ فترة طويلة، فقد أخذوه منهــا عندما كان فى الثامنة، وبالطبع أنا كذلك لدىَّ أم لم أرها منذ فترة طويلــة، وهكــذا شعرت بأنه كان يوجد شيء مشترك بيننا نحن الاثنين.

ذهبنا معًا للتجول حول المكان وسألتنى كيف يكون ابن المدمنــة، وســألتها ماذا عن كونها أمًا، لم تذكرنى كثيرًا بوالدتى من الناحية الفعلية، ولكنهــا جعلتنــى أشعر بتحسن لأنى كنت أعتقد أن ذلك كان يساعدها، وإذا لم يكن قد تم إبعاد ابنهــا عنها، فربما يكون قد انتهى به الأمر بأن يصبح مثلى، انظروا، لقد كنت مفيــدًا لهــا بطريقة ما.

ارتبطت نانسى بى جدًا، وكان الآخرون يلومونني أحيانًا من أجل جيما، فقد حكيت قصتنا للجميع، وأصبحوا يعرفون أنها هربت من منزلها بسببى، إنها لم تكن لتهرب من منزلها أبدًا لو لم أكن موجودًا، وبهذا المعنى فإن الغلطة كانت غلطتى، أنا المسئول عن أنها قد أصبحت مدمنة، وقد رأى أغلب الناس هنا أنه ينبغى علىَّ أن أتركها، لأنه يوجد شيء ما مشترك بين المدمنين يجعلهم يشجعون بعضهم بعضًا على التعاطى حتى يصبح من الصعب عليهم، حتى ستيف قال لى عدة مرات إنه يجب علينا أن نفترق.

ولكننا نحب بعضنا... وهذا لا يمكن أن يكون أبدًا شيئًا سيئًا، هل يمكن ذلك؟، كيف يمكن أن يكون الحب سيئًا؟.

تقول نانسى: "ارتبط بها يا تار إذا كنت تحبها".

كانت نانسى قد انفصلت عن زوجها منذ إدمانها، ولكن ذلك لم يجعلها تتحسن، بل إنها ازدادت ضياعًا، وأصبحت أسوأ، إن المسألة ليست هى العلاج نفسه، فهو ليس ضروريًا كما يقول الجميع، ولكن الشيء المهم هو أنه يجعلك تفكر، إنه يجعلك تتحدى نفسك، وكل هذه الأشياء عن جيما قد جعلتنى حقيقة أفكر فى نفسى وفيها، وكنت كلما فكرت فيها تأكدت أننى أحبها.

وكان يوجد أيضًا هذا الشخص، رون، وهو أسكتلاندى كان متورطا فى كل شيء، ويبدو عنيفًا أحيانًا، ولكن فعليًا كان شخصًا من النوع الدافئ، أدمن الجعة مع الهيروين، وكان يخلطهما معًا لأنه... أقصد، إنه شخص ضعيف، كلنا كنا كذلك، وهذا هو سبب وجودنا هنا، ولكنه ساعد الكثير من الناس لكى يستبصروا بأشياء كثيرة عن أنفسهم، إنه فطن جدًا، لكن عندما يقول الناس عنه أى شيء فإنه لم يكن يستطيع التعامل معهم.

وعلى أية حال، فقد مضى على وجودى هنا أسبوع كامل، وكنا تحت العلاج، وجاء دورى فى الحديث، كنا نتحدث دائمًا عن أمى، وكنا دائمًا ننهى الحديث بأمى أيضًا، وكان سبب ذلك واضحًا لأنها كانت مدمنة مثلى، ولأنها كانت ضحية مثلى، فقد كان أبى يضربها ويطرحها أرضًا دائمًا، ثم جلس رون فجأة وقال: "حسنًا، نحن نتحدث عن أمك وكيف أنها ضحية، وكيف أنها جعلتك أنت أيضًا ضحية، وكل تلك الأشياء المشتركة الموجودة بينك وبين أمك، لكن ماذا عن أبيك؟ ما الشىء المشترك بينك وبينه؟ ماذا عن القليل من التعاطف مع هذا الرجل العجوز؟".

نسف ذلك كل شىء وفجره، أطاره فى الهواء، ودارت مناقشة حقيقية فى ذلك اليوم، جلست أستمع فقط لكى أنهى ما بدأته، وكانت بعض السيدات مستاءات من ذلك، وقلن: "نحن نتحدث عن رجل يضرب النساء، نحن نتحدث عن رجل يضرب زوجته وابنه الوحيد".

- "آه، لكن ما الذى فعلته هى له؟ لا بد أن لها يدًا فى ذلك الذنب القديم، أراهن... أراهن أنها تعرف كيف تلفه حول إصبعها الصغير، لأننى سأخبركم، لقد قابلت سيدة مثلها من قبل، أقول لكم إنهن لسن عاجزات قليلات الحيلة، فى الحقيقة، أراهن على أنها هى التى تدير الأمور بالفعل فى ذلك المنزل".

فصرخت هذه السيدة: "ليس ذلك هو نفس الشىء"،

أصبحت غاضبًا بحق، وقد حاول المرشد أن يعيد الحديث إلىَّ مرة أخرى، ولكننى لم أستطع الإجابة، لقد كان ذلك حقيقًا، لكنى لم أفكر أبدًا فى ذلك الأمر من قبل، فقد كانت أمى هى الرئيس فعلاً، وهى التى كانت تتحكم فى البيت، وعلى الرغم من أن أبى اعتاد أن يضربنى، واعتادت هى أن تعيش فى رعب من عودته

إلى البيت، ولكنها كانت الرئيس حقًا، حسنًا، لقد اعتادت أن تلفنى حول أصبعها الصغير وتلفه هو حول الأصبع الآخر.

قال رون: "ماذا عن ذلك يا دافيد"، ومال نحوى وابتسم قائلاً: "هل تحب أن تعود إلى هناك وتعطى المرأة العجوز ضربة جيدة... مثل أبيك؟".

- "إيه؟ ربما كان على حق... إيه؟".

سمعت الآخرين يتذمرون عندما قال ذلك، وقالوا: "لا يوجد طريقة لحل مشكلاته".

- "أنا لم أقل إنه كان ينبغى عليه أن يفعل ذلك فى الماضى، لكن أقول إنه يجب عليه أن يفعل ذلك الآن... حقًا، اسمعوا... لقد ضربت امرأة من قبل، وقد أفعل ذلك مرة أخرى".

- "هل تهدونى؟ هل تهدونى؟".

- "لا، اسمعي... لا، لن أفعل...، أنا أقول..."، بدأت الأصوات تعلو فى القاعة وأخذوا فى الصياح والتذمر: "لا، انظرى، أنا أتوقع وجود عواطف جياشة، فلماذا لا يكون لوالد تار مثل هذه العواطف، إنه لا يحصل إلا على القليل من العاطفة، أقصد أنه يستحق السؤال عنه، ألا يستحق ذلك؟ أقصد لا تتوقف عن كونك آدميًا لمجرد أنك ضربت امرأة، أليس كذلك؟ أم أنه ليس مسموحًا لى بإلقاء الأسئلة؟ لقد فهمت أنه لقاء علاجى حر..."

هذه السيدة، كان اسمها سو، وقد أحست بالغضب فعلاً، لقد قام زوجها بضربها أكثر من مرة، وشعرت بالأسى نحوها؛ لأنها تعلمت أن تساعد وتدعم نفسها بنفسها فقط وها هو رون يقول كل ذلك فيذكرها بآلامها.

وقال رون إنه ينبغي عليَّ أن أتصل بأبي وأسأل عن حاله وعن مشاعره، لقد فجر رون رأسي تمامًا.

- "حسنًا"، كان لأبي بعض العضلات، لكنه فقدها الآن، فبدأ في الضرب بالسوط، ولكن لماذا؟ كيف أصبح يقهر غيره هكذا؟ هاى... لديَّ فكرة، ربما كانت هى التى تريده أن يضربها. ربما ذلك كان يروق لها....

وقد أغضب ذلك بعض الناس حقًا، وأنا منهم، وكنت جالسًا بجانب نانسي، ونظرت إليها لأرى ما الذى تظنه، ولكنها هزت رأسها فقط ثم قالت بعد ذلك إنها تعتقد أن رون كان يستنتج الأشياء فقط.

لا أعرف إذا كان ما قاله هو الحقيقة، ولكنه أوضح لى شيئًا واحدًا، وهو أننى لم أفكر فى علاقتى بأبى أبدًا من قبل، وقد أستطيع أن أتصل به أو أذهب لزيارته فى أحد الأيام عندما ينتهى كل ذلك... ربما، وكذلك أمى أيضًا، ولكن ليس الآن لأن كل هذا كان يمكن أن ينتظر، لكنى أحتاج فى هذه اللحظة إلى الاحتفاظ بكل قواى لجيما.

لم أعد أثق بأى شيء، لم أعد أثق بنفسى ولا بأصدقائى ولا أثق بجيما أيضا، ولكنى لا أقصد ذلك بشكل فظ، إن الشيء الذى يجب أن أتذكره هو أننى ضعيف وأنهم ضعاف ولا أستطيع أن أقوم بذلك بمفردى، وإذا كنت شخصًا مدمنًا فلا بد أن تحصل على مساعدة خارجية، ليس من شخص ولا من منظمة بالضرورة، لا بد أن يكون أعمق من ذلك، قوة ما خارجة عنك أقوى منك بحيث يمكنها توجيهك عندما تحس بالضعف.

لا أعرف ما الذى كانوا يقصدونه عندما قالوا ذلك، ولكن ربما حصلت على فكرة عن ذلك الشيء الخارجي، لا بد أنه شيء مختلف بالنسبة لكل شخص، أنا أعرف ذلك، إننى لا أستطيع الثقة بنفسى مرة أخرى، وأعرف أننى لا أستطيع أن أثق فى جيما أيضًا، على الرغم من أنها أقوى منى فإنها لا تزال ضعيفة، ولكن ماذا عن الحب؟.

كنت أنظر إلى خطاب كتبته لى فى اليوم التالى، وإلى تلك الكلمات المكتوبة فيه: "يا هندباء أنا أحبك..." وفكرت أن ذلك كان سحرًا، حب شخص ما، إنه ليس أنت وليس هم.

إنه ليس فى داخلك، إنه بينك وبين طرف آخر، إنه أكبر وأقوى منك.

إن ذلك هو ما لدىّ، ذلك هو كل ما لدىّ، عندما تفكر فيه، لقد تلاشت شخصيتى تقريبًا، عندما أدمنت الهيروين، بالرغم من أننى قد ابتعدت عن الإدمان الآن فإننى لا أزال لا أعرف من أنا، أنا أعرف فقط أننى ضعيف وجيما ضعيفة، وأنى أحب جيما، وأنها تحبنى كذلك.

هندباء. هندباء. ذلك ما أؤمن به، إنها الشيء الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنى الآن.

قال لى ستيف: "عندما تعود إلى المنزل فستعرف من أول يوم ما إذا كنت ستستطيع أن تصمد خلال ذلك الأسبوع؟".

قلت: "سوف".

لقد قلت ذلك من قبل، والآن أنا أعرف أنه لم يكن لدىَّ أى شيء لكى أصرح به.

(٢٤)

سالى

كانت كل تصرفات جيما تنبئ بأنه سيكون هناك حفل زواج، وشهر عسل، وكانت جيما تقفز، وتعلو وتهبط وتقبل تار وتحتضنه، فكان وجهه يحمر خجلاً، لقد تغير تمامًا... تمامًا، وبدا أفضل بكثير، وقد كنت فطة تجاه ذلك الموضوع كله، ولكن يجب على المرء أن يحتفظ بفكره مفتوحًا وإلا فلن يتغير شيء أبدًا.

وفيما بعد، أخذ تار فى التصرف كما علموه، وكان يحتاج إلى مساعدتهم، ولم يكن هناك ما يستطيع فعله بدونهم، أو ما يقوم به بمفرده، لأنه كان يحتاج إلى مساعدة خارجية، كانت للى تبدو ساخرة، قالت: "غسيل مخ. نعم، يا له من علاج، لقد عالجوه من إدمان أحد المخدرات وورطوه فى مخدر آخر، لقد عملوا عملاً جيدًا فيك يا صديقى...".

حسنًا. كانت للى على حق، ولكن لم يكن يحق لها أن تقول ذلك، ربما كان فى حاجة إلى غسيل مخ، مسكين تار.

لكزتها بكوعى وقلت: "اتركيه وشأنه، إنه يقوم بدوره على ما يرام".

- "نعم، لقد وضعوك فى السجن، وأغلقوا رأسك ثم أعطوك المفتاح، فكيف يمكن أن تخرج من هذا السجن؟ لقد صنعوا لك سجنك الخاص، فذلك الأسلوب أرخص بالنسبة لهم...".

اختلفت معها فعلاً لأنها كانت سيئة، وكان يحتاج لهذا الشيء، وجلس تار يشرب كوبًا من النبيذ وقال: "يمكنك التفكير كما تشائين يا للى، إنك مخدرة الآن، وأنا غير مخدر".

كرهت للى ذلك، وذهبت فيما بعد إلى الحمام وأحضرت بعض قطع الصابون التى كسرتها إلى قطع صغيرة وأخذت تدفع بها إلى أذنه وأنفه.

أصبح تار منزعجًا الآن مما تفعله للى، وقال لها: "توقفى عن ذلك يا للى".

فقالت له: "ذلك كى يظل عقلك نظيفًا".

يجب أن تضحك يا تار المسكين، فقد كانت للى تقوم بإلقاء بعض المواعظ؛ لأنها كانت لا تحب أى عقيدة أو معتقد سوى عقيدتها ومعتقداتها الخاصة.

كانت جبما قد استعادت شخصيتها القديمة فى ذلك الوقت، تذكر ذلك، لقد أرادت أن تجعل العالم يرى مدى سعادتها بأن تضع يدها فى يده مرة أخرى، وتبدو مسيطرة عليه تمامًا، لكن الأمر كان مختلفًا فى اليوم السابق، ذهبت إليها لكى أساعدها فى إعداد الحفلة، وكانت تعد سلطة أرز وتبدو فظيعة فعلاً، لم أقل شيئًا، أنتم تعرفون، أن فتاها سيتخلص من سموم المخدرات التى فى جسمه اليوم، ودخل شخص آخر قائلاً: "يا للمسيح، أنت تبدين قبيحة فعلاً هذه الظهيرة...".

كان يوجد بعض الخلاف بيننا؛ لأننى اعتقدت أنها قد تحتاج إلى بعض المخدرات لكى تستطيع الاستمرار، وعرضت عليها أن أساعدها قليلاً، ولكنها

رفضت، كانت تضخم الأشياء وتصنع شيئًا كبيرًا من لا شيء، ولكننا جميعًا كنا نعرف أنها كانت تنهار من وقت لآخر، إن الموضوع هو...، يقول الناس إن أصدقاءك يمنعونك من التخلص من الإدمان، ولكنك سوف تعود إلى التعاطى فى الوقت المناسب، وإذا أردت مقاومة المخدرات فى الوقت الخطأ فإنك تحرج نفسك وتجعل الأمر أكثر سوءًا، لكنى لم أقل أى شيء، وأحضرت سكينًا وساعدتها فى تقطيع ثمار الفلفل.

كنت أراقبها وقد احتفظت بفمي مغلقًا بقدر استطاعتى، وأخيرًا رفعت ذراعيها فوق رأسها وأخذت فى البكاء، لففت ذراعى حولها وقلت لها: "ماذا هناك يا جيم؟"، فأخرجت كل ما بداخلها وقالت: "لقد خذلت تار حقًا، وقلت كل هذه الوعود و... ولكنى حطمت كل شيء".

لقد فوجئت بذلك حقًا، أنتم تعرفون، كانت تؤدى دورها بامتياز وتحولت إلى حياة جديدة، توقفت عن الذهاب إلى صالة البغاء، وكانت تحلق شعر جسمها من أجل تار، وكفت عن استخدام الإبر.

قالت: "أنا آخذ المزيد من الإبر، وقد تعاطيت بعضها اليوم، وهو يحتفظ بجسمه نظيفًا من المخدرات لكن انظروا إلىّ... ".

ثم ذهبت للخارج، فلحقت بها وسألتها: "ما مقدار الكمية التى تعاطيتها اليوم؟".

- "قمت بتناول بعض المخدرات اليوم، عندما أحسست بالضعف والانهيار...".

- "ومتى فعلت ذلك من قبل؟".

دعكت عينيها وقالت: "قبل أمس".

أى أنها اعتادت على ذلك كل يوم، مرتين أو ثلاث مرات، اعتادت أن تفعل ذلك أكثر منى، لكنها توقفت الآن، وأصبحت تأخذ كمية قليلة عندما تحس أنها ليست على ما يرام، ولكنها أخذت تلوم نفسها بعد ذلك وتحول المجهود العبقرى الذى بذلته إلى فشل وضياع؛ لأنها لم تستطع أن تكون سوبر امرأة أو امرأة حديدية.

قالت وهى تئن: "لكن تار لم يفعل أى شىء".

- "حسنًا، إنه لم يفعل ذلك بالطبع، لأنه محاط بكل هؤلاء الناس الذين يحرصون على التأكد من أن جسمه نظيف وخال من المخدرات، وأينما كان تار فيجب أن تكونى قوية كالجحيم"، ثم أضفت: "لقد فعلت ذلك كله وأنت بمفردك، إنك حقًا تبلين بلاءً حسنًا".

- " لكن جسمه لا يزال نظيفًا من المخدرات، وأنا لست كذلك، ولا أظن أننى كنت قوية بالقدر الكافى للابتعاد عن التعاطى، فأنا أحبه بالفعل، أنا أحبه كثيرًا يا سالى، وأعتقد أننى سأسحبه معى إلى الهاوية...".

- "اسمعى...".

وأخذت أحاصرها قائلة:" أنت محظوظة حقًا وأتمنى أن أشعر بمثل هذه المشاعر تجاه أى شخص، أنت تعرفين كم أنت محظوظة يا جيم... ".

ابتسمت لى من خلال دموعها.

- "ستكونين بخير".

- "ينبغى أن أذهب بعيدًا، لقد كنت أفكر ما إذا كنت قوية بالقدر الكافى، ينبغى أن أرحل وأتركه لأنه ربما يجد فرصة أفضل بدونى".

بدأت أشعر بالغضب منها قليلا فقلت لها: "أنت مجنونة، إنك لا تتركين شخصًا ما؛ لأنك تحبينه، أنت مجنونة...".

وأخذت أضحك، وبدأت هى أيضًا فى الضحك قليلاً من خلال دموعها؛ لأن ذلك كان غباءً شديدًا منها، وأخذنا جرعة أخرى صغيرة، كانت منزعجة من ذلك جدًا، ولكنك لا تستطيعين أن تحولى نفسك إلى سيدة سوبر أو حديدية، لقد تعاطت جرعة، لكن تار لم يتمكن من رؤية أى علامات إبر عليها؛ لأنها لم تأخذ أى إبر منذ أسابيع، وكانت تلك حركة عبقرية منها، لكنها كانت تتمزق فعلاً وتتساءل ما الذى سيجده تار فى انتظاره عند عودته إليها مرة أخرى؟.

قلت لها إنها لا تستطيع أن تكون قوية إلى الأبد، وينبغى عليها أن تتعلم أن تستمد منه بعض القوة، وأخبرتها أنه يستمد قواه منها منذ وقت طويل، وربما يكون قد حان دورها الآن، ولو كان للسجن الذى دخله أى فائدة؛ فهى أنه جعل جسمه يظل نظيفًا وخاليًا من المخدرات لمدة شهر، وها هو يعود من السجن ولديه القوة الكافية لهما هما الاثنين ليتوقفا عن التعاطى.

كانت جيما خائفة من ألا تكون قادرة على مواجهة الموقف عندما يحين وقت الحفلة، فلا تستطيع التعامل معه، ولكنها كانت عبقرية، كانت تعرف كيف تخلق الفرصة المناسبة، وكانت تغمغم بينها وبين نفسها، بينما كان تار باردًا مثل الخيار على الرغم من أنه كان فى الماضى يبدو كأنه مجرد شىء صغير.

لاحظت غياب روب فيما بعد، ثم أدركت الدافع الذى يمكن أن يكون قد اضطره لذلك، وعندما صعدت إلى الطابق العلوى وجدته يتعاطى فى غرفة النوم، ويمكنكم أن تخمنوا من الذى كان معه.

حسنًا... لم يستغرق ذلك الأمر زمنًا طويلاً، أليس كذلك، وقد تشاجرت مع تار بسبب ذلك، وأستطيع أن أقول إن جيما قد حاولت جهدها وقامت بدورها جيدًا، وكان تار يقول لها: "يا لها من حفلة رائعة"، وقد تناول جرعة صغيرة لأنه كان يومًا حافلاً، وكان يشعر بأنه تافه وضئيل أمام كل هؤلاء الناس، وفكرت فى أن ذلك لم يكن يعنى أى شىء، ولكن بالطبع أنا أعرف ما الذى كان يقصده بالضبط.

جلست على السرير وأخذت الجرعة، وأخذنا نتحدث حديثًا تافهًا عن لا شىء، ثم دخلت للى... ووقفت تنظر إلى تار وتشير إليه وتردد: "نعم... نعم... ".

ابتسم تار بمكر، ويمكنك أن ترى أن كل فرد كان يتصرف بطريقته الخاصة، ثم أخذت للى تلف وتدور فى الغرفة وهى تنظر خلف الدولاب، وفى الأدراج، وتحت السرير وهى تقول: "أنتم تعرفون ماذا أفعل؟ أنا أبحث عن الله فى كل مكان ولا أستطيع أن أجده فى أى مكان".

الله موجود بالطبع، ونحن نعتقد بموجوده، وقد كان تار يعنى ذلك عندما كان يتحدث عن شىء ما موجودًا خارج نفسه يساعده ويدعمه، وقالت للى لتار: "إن ذلك لم يجعلك تتوقف لفترة طويلة، أليس كذلك؟".

فقال تار: "إنها ليست مشكلة بالنسبة لى يا للى، أنا آسف إذا أزعجك ذلك".

قال ذلك وهو يبتسم إليها كما لو كان طفلاً يشرب كوبًا من اللبن.

رجعت للرقاد على السرير مرة أخرى، وأغلقت عيونى، بـــدون أن أزعـــج نفسى، وقلت شيئًا ما ولكنه لم يبد مهتمًا أيضًا، لا أفترض أنه قد اهتم فعلاً، فهو لم يتعاط أي مخدرات منذ أكثر من شهر، إنه محظوظ، ويمكنكم ملاحظة ذلك بالنظر إلى وجهه، لقد شعر بالراحة، وحتى للى ظلت تحملق فيه إلى أن أخذ يتململ فـــى مقعده، ثم قال أخيرًا: "لقد تناولت جيما بعض المخدرات".

قالت للي: "أوه، إن ذلك حسن إذن"، ثم أكملت موجهة كلامها لروب: "لقـــد كنت شريكًا لها فى ذلك".

قال روب: "لقد طلبت منى ذلك، فما الذى يفترض أنه يجب علىَّ أن أفعله".

قلت: "أوه، اتركيه لحاله، يا للى، من أجل الله، من المفترض أنها حفلة".

- "انظرى إليه، إنه مستيقظ فعلاً...".

قال: "لقد تناولت جرعة، لكنى لم أستخدم الإبرة".

قلت: "إنك تضخمين الموضوع يا للى، إنها حفلته".

قال تار: "لكن ذلك لا يعنى أننى لم أتوقف عن التعاطى".

قلت: "يا إلهى، لقد تعاطى لأنه كان يتشوق للمخدرات".

تدخلت للي مباشرة: "أوه، نعم، إنك كنت تتعاطى، ولكنك لم تزل ممتنعًا عن التعاطى بالتأكيد".

- "... إنها حفلة، على أية حال، وقد تعاطت جيما بعض المخدرات الليلـــة، لقد أخبرتنى بذلك وسألتنى إذا ما كان كل شيء على ما يرام".

- "وأنت قلت نعم".

ابتسم، فأخذت أفكر... آه... أيها الداهية الماكر، يمكن لجيما تعاطى بعض المخدرات لأنها تستطيع بعد ذلك أن...

حسنًا، أنتم تعرفون، إنها المخدرات، كلنا نسير على نفس الوتيرة، ودائمًا يوجد سبب ما عندما نريد فعل أى شيء.

ثم قال: "لا تخبريها من فضلك، هل ستفعلين ذلك يا للى؟ إن ذلك لن يفيدها فى شيء، إنك لن تقدمى لها أى معروف بذلك".

اعترضت للى: "نعم، أنت تريدنى أن ألعب لعبتك، بماذا ستشعر غدًا؟".

- "أتوقع أننى سأفكر فى شم بعض الهيروين يا للى".

دارت للى فى الغرفة قليلاً ثم هجمت على روب، الذى كان جالسًا فى هدوء، وهو يعرف أنه لا يمكن أن ينطق بأى كلمة عندما تصمت للى، كان يحضر لها بعض المخدرات، وهو الآن يسلمها لها، وقد جلست للى على حافة السرير، وبدأت تبحث عن وريد خلف ركبتها.

كنت قد سمعت ما فيه الكفاية، ونهضت واتجهت نحو الباب.

قالت: "ماذا بك؟".

التفت إليها وقلت: "أنت تحذرينه من المخدرات بمحاضرة طويلة بينما توجد إبرة مخدرة مغروسة فى جسمك"، ثم صفعت الباب وخرجت.

أتت للى تعدو إلى الباب وانحنت على الدرابزين وهى تصرخ فىّ: "أيتها القذرة اللعينة هل تسميننى مدمنة؟ هل تقولين إننى منافقة؟".

تجاهلتها فقط واستمررت فى النزول، لم أنظر حولى، أنا أعرف أنها لن تنزل من أجلى، لقد كان لديها أعباؤها الخاصة فى غرفة النوم، ولم يكن من المحتمل أبدًا أن تترك غرفة فيها مدمنون يتعاطون.

وصلت إلى أسفل السلم وأنا أتخيل أننى إحدى نجمات السينما فى أفلام الخمسينيات وهى تهبط الدرج الطويل بجونلة منفوشة، واستدارت كل الرءوس، وكانت كل الرءوس تستدير ليس لأننى كنت أبدو جميلة جدًا بالطبع، وقفزت من على آخر درجة فى السلم وفكرت، إذن هى ليست مدمنة، هل تفرط هذه الفتاة فى قرش واحد من أجل شراء أى شىء؟.

(٢٥)

ريتشارد

ساعدنى... ساعدنى... ساعدنى... ساعدنى

ألق إلى بسطر من الهيروين وسوف أرده إليك

ساعدنى... ساعدنى... ساعدنى... ساعدنى

ولكن ما أحتاجه حقًا هو النقود.

لوركى

قلت: "هل جسمك نظيف من المخدرات؟".

- "نوعًا ما".

- "أنا لا أريد أى إبر فى هذا المنزل بعد ذلك".

رد "أنا لست بهذا السوء".

بدأ تار مستاءً قليلاً، لم أسأله أى سؤال بعد ذلك، كنت أعتقد أنها مجرد زيارة، وتناقشنا حول عطلة نهاية الأسبوع، ثم أغلقت الهاتف.

كنت أعيش مع ساندرا فى ذلك الوقت، وقد قضيت معها وقتًا رائعًا فى أستراليا، وفى جنوب شرق آسيا، سافرت إلى هناك بالدراجة البخارية، وقد تعودت

على الذهاب إلى الغابة الجديدة بانتظام، وعندما نزلت الدراجات البخارية الجديدة التي تصعد إلى الجبال في الأسواق وعلمت بذلك، وعرفت أنها أفضل بكثير من الدراجات العادية اشتريتها، وكان ذهابي إلى جنوب شرق آسيا هو الخطوة الأولى فقط في رحلتي وسأزور الهند في الخطوة التالية.

نمت على الشاطئ، وسبحت، ثم ركبت الدراجة مخترقًا الغابة لمسافة خمسة عشر ميلاً، وكان هناك فراشات ضخمة في كل مكان، كبيرة كالطيور، وأخذت أفكر، أنا أعرف أفضل مكان يمكن أن أعيش فيه، من الأفضل... لذا عندما عدت، ذهبت للعيش مع أصدقائي في برمنجهام لفترة، ولكنها مدينة لم أعش فيها أبدًا من قبل، وهناك قابلت ساندرا، وكانت تسكن في نفس المنزل الذي يعيش فيه أصدقائي، ووقعنا في الحب الأفلاطوني، لكنني لسوء الحظ لم أكن بارعًا في ذلك النوع من الحب، ثم حصلت على مكان في الكلية في "ريدنج"، ريدنج، لا بد أنني مجنون، وذهبت وأجريت مقابلة للعمل في محل لبيع الدراجات هناك ومنحوني الوظيفة.

هذه هي الحياة، فقد عدت أفكر في الحصول على نقود كافية لأنطلق إلى الهند سريعًا، وبدلاً من تحقيق ذلك انتهيت بالعيش مع ساندرا في شقة في وودلي، وكان أسوأ ما في الأمر هو أن ساندرا قد أحبت تلك الشقة كثيرًا، واستمرت واقعًا في الحب، ولكن ذلك كان يجعلني دائمًا غير سعيد بدون أن أعرف السبب في ذلك، وعندما أخبرت ساندرا عن تار رفضته بشدة، وحاولت أن أخبرها كم هو شخص حبوب، وعن طفولته البائسة، وما إلى ذلك، لكنها لم تتعاطف معه أبدًا، وكان تخصصها هو العمل مع الأطفال المعاقين، وبتقديم التدريب العملي للتعامل مع

هؤلاء الأطفال، وقد أدى ذلك إلى معاناتها من مستوى عال من الإرهاق والاحتراق النفسى، وكانت الأعمال المنزلية هى آخر شيء تود القيام به فى عطلة نهاية الأسبوع، وقالت معلنة عن رأيها: "إن المدمنين أناس سيئون".

أعتقد أنه بعد تعاملها مع أولئك الأشخاص من ذوى الاحتياجات الخاصة الذين لديهم كل هذا الكم من المشكلات والإعاقات فإن الإدمان سوف يبدو صناعة ذاتية نابعة من الفرد نفسه إلى حد ما، ومن ثم لا يصبح أمرًا مغريًا بالتعاطف معه على الإطلاق بالنسبة لها.

كان تار دائمًا ذا شخصية متقلبة، أقصد أن شخصيته قد أصبحت كذلك منذ إدمانه للإبر، وفقد هذه النظرة المتفتحة التى كانت لديه من قبل، كان ذلك بعد ستة أشهر من مغادرته للساحة، ومن الغريب أننى ظللت لا أحبه لعدة سنوات، ثم بدأت فى حبه عندما تغير لأول مرة، كان لديه ذلك الأسلوب الخاص فى محاولة إخفاء كل شيء، ولكن كل ذلك تغير الآن وأصبح أمره ينكشف بسرعة.

لقد غطى الهيروين على شخصيته الحقيقية بسرعة، ولكننى كنت ألمح بعض الدلائل والإشارات التى تطل من طرف عينه، أو فى ابتسامة بطيئة تنتشر على وجهه، برغم أنه كان يبدو خجولاً، وأخذت أفكر فى أن تار القديم لا يزال موجودًا هناك فى مكان ما داخله.

وفى بداية تلك الليلة، لم تكن الأمور سيئة إلى حد ما، وأخبرنى تار عن إفلاسه وفشله، وأعتقد أن تصرفه كان نبيلاً؛ لأنه ذهب وترك المكان عندما أصبح المكان يعج بالخنازير والتعاطى.

تحدث تار عن العلاج، وكنت أنا شخصيًا أعتقد أنه قد أفـــاد منـــه كثيـــرًا، ولكن ساندرا لم تكن موافقة على ذلك، وقالت: "من الواضح أنك لم تسأم من ذلـــك العلاج بعد".

لم يكن ذلك مريحًا أبدًا، وذهبت ساندرا إلى الفراش مبكرًا، ولكننى مكثـــت قليلاً مع تار نتناقش، كان لديه الكثير ليقوله عن الإدمان والتخلص منه، وقـــد بـــدا ذلك موقفًا حساسًا بالنسبة لى، لكننى كنت أعتقد أنه بخير.

ذهبت إلى الفراش متأخرًا حوالى ساعة عن ساندرا التـــى غـــضبت منـــى بسبب ذلك وقالت: "أول شىء أريده أن يحدث فى الصباح هو خروجه من المنزل".

لم أستطع أن أصدق ذلك وسألت: "لماذا؟".

- "إن رأسه يكاد ينفجر، ذلك هو كل شىء".

- "إنه يقول ذلك، لكن هل نظرت إلى عينيه؟".

- "إنه لم يكن... هل كان؟".

وحتى لو لم أقل ذلك فإنها كانت على حق، فقد أصبح أكثر توهانـــًا وأكثـــر بلادة، أخذت حدقتا عينيه تصغران، وكنت أدخن لذا لم ألاحظ ذلك فعـــلاً، ولكـــن عندما أعدت النظر إليه، رأيت أنه كان ثملاً وزائغ البصر، وإن لم يكن الهيـــروين فهو شىء شبيه به.

قالت ساندرا بقرف: "لقد كانت حدقتا عينيه مثل رأس الدبوس".

- "سأكلمه"، وعدتها بذلك أخيرًا: "ولكن لا تركليه خارجًا من فـــضلك، إنـــه صديقى، من فضلك".

اعترضت على ذلك، ولفت نفسها باللحاف، ولكنها لم تجعلنى أطرده.

كنا نخطط للقيام بجولة بجانب النهر فى اليوم التالى، لكن أنا وساندرا كان لدينا عدة مهام لأدائها، أولا، كنا قد نوينا قضاء صباح يوم السبت فى القيام ببعض الأعمال المنزلية مثل غسيل الملابس وكيها ومثل ذلك من الأشياء، وكانت ساندرا منهمكة فى أداء هذه المهام، لكننا توقفنا عن ذلك عندما أتى أصدقاؤها لزيارتنا.

ذهبت إلى السوبر ماركت، وذهب تار معى، لاحظت أنه كان عصبيًا قليلاً أثناء ركوبنا فى السيارة، بدا محطمًا، وقام بشراء بعض الباراسيتامول.

قلت: "هل تشعر بأنك لست على ما يرام؟".

قال تار: "بعض الأنفلونزا".

وكان عدد المرات التى سمعته هو وأصدقاؤه يتحدثون فيها عن إصابتهم بالأنفلونزا كثيرًا جدًا.

قلت: "أوه، نعم".

نظر إلى وجهى قائلاً: "حقًا، لقد أصبت ببعض الأنفلونزا".

أكد ذلك بجدية، وقام ببلع حفنة من أقراص الباراسيتامول.

لم أقل شيئًا، فقد كان مقنعًا، ولكن ساندرا فجرت القنبلة، وأخذت أفكر حسنًا إذا لم يرد الاعتراف فهذا شأنه، ولكن من الناحية الفعلية لم يكن الأمر كذلك، وكنت أفكر فى أن ذلك سوف يسبب الكثير من المشكلات، وفكرت يا للهول إنه سيسبب المزيد من المشاكل، لأنه لو اكتشفت ساندرا انحداره... أه.

كانت العلاقة بينى وبين ساندرا ليست على ما يرام منذ عدة أسابيع، وذلك منذ أن انتقلنا للعيش فى ريدنج، وانفصلنا بالفعل بعد ذلك بعدة شهور، ولم يكن ذلك بالطبع مناخًا جيدًا لتار العجوز لكى يقلع عن الهيروين.

كان لدىَّ أمل أن يشعر بأنه أفضل عندما خرجنا فى الهواء النقى بجانب الماء، ولكننا عدنا إلى المنزل، وكان لا يزال لدى ساندرا بعض الأعمال التى ينبغى عليها أن تنهيها، كنت منزعجًا من ذلك، وكان من الأشياء التى يمكن أخذها على ساندرا أنها كانت تكلم والدها على الهاتف طوال الصباح، لذا لم تقم بعمل أى شىء على الإطلاق ونحن بالخارج.

اقترح تار أن نخرج أنا وهو بمفردنا، لكن لا، إنها لم ترد ذلك أيضًا، لذا اضطررنا أن ننتظرها حتى تنتهى من كى الملابس، وقد رأيت أن ذلك سيستغرق منها وقتًا طويلاً، لذا قمت بتحميل غسالة الملابس فى المطبخ لمعاونتها فى الانتهاء من هذه الأشياء.

كنت أفكر فى أن أحدثها وأخبرها بأننى أظن أنه يتهاوى، لذا ينبغى علينا أن نساعده، لكننى وجدت تار واقفًا خلفى فجأة، وأخذ يجذب جاكتة ليرتديها.

سألته: "إلى أين ستنطلق".

قال: "سأعود"

- "لماذا؟".

لم يهتم للإجابة، وكانت عيناه تحدقان ناحية الأرض، وقال: "أحتاج إلى العودة من حيث أتيت، هل يمكنك إقراضى ثمن تذكرة الأتوبيس؟ لقد تركت نفسى بدون أى نقود".

أحسست أننى أخذله: "أوه... هل هي ساندرا؟".

- "لا، لا شيء بسببها، أنا لا ألومها على الإطلاق، يتوجب علىَّ العودة فقط...".

"لماذا؟".

نظر تار بعيدًا عنى، إلى الثلاجة ثم إلى الحائط المقابل وقال: "أنا أتهاوى، لقد كنت أحاول، ولكنى شعرت بأننى لا أستطيع الاستمرار فى ذلك، أريد العودة والحصول على بعض الهيروين" قال ذلك ونظر إلىَّ بدون اهتمام.

قالت: "لماذا لم تقل ذلك؟".

- "فكرت أنه من الأفضل أن أذهب، وسوف يحدث ذلك ولكننى لم أسع لحدوثه، لكن ينبغى علىَّ أن أعود".

- "ولكنك قلت إن جسمك كان نظيفًا من المخدر لمدة شهر".

- "لم أرد أن أخبرك أننى أتهاوى، لكن انظر".

قام بفتح ذراعيه وقال: "سأذهب فقط إلى المنزل".

- "أين كنت الليلة الماضية؟".

- "كنت عند بعض المحسنين، تناولت بعض جرعات صغيرة لمساعدتى خلال الليلة الماضية ولكن تأثيرها انتهى الآن، ولا أستطيع القيام بذلك مرة أخرى يا ريتشارد، أنا آسف، ليس هذه المرة".

بدأت فى محاولة تغيير الحديث بأن أخبره بالتفكير فى جيما، وكيف أنه كان يؤدى ما ينبغى عليه القيام به بنجاح، برغم أننا كنا نعرف أن ذلك مجرد أكاذيب،

وأنه لم يقم بعمل أى شيء فى أى يوم من الأيام، لكننى وفى الواقع كنت مرعوبًا من مدى سوء أحواله، وكنت مستمرًا فى الحديث معه عن ذلك عندما دخلت ساندرا، ووقفت ونظرت إلىّ، وإلى الجاكيت الذى كان يمسك به.

قالت: "ما الذى يحدث؟".

- "تار يريد أن يعود، لقد كان يحاول أن يتوقف عن التعاطى أثناء هذه الزيارة".

اعترضت ساندرا فقط، والتفتت وذهبت إلى الغسالة، وبدأت فى إخراج الملابس التى وضعتها فيها.

قال تار: "من الأفضل أن أذهب" واتجه نحو الباب.

"انتظر...".

كان يمكننى أن أقتلها فى تلك اللحظة، لقد أتى لرؤيتى لأنه اعتقد أننى قد أكون قادرًا على مساعدته، لقد كان صديقى، وهو لا يزال مجرد فتًى يافعًا، وإذا صممت أنها لا تريد مساعدته فيجب علىَّ أن أعطيه النقود الآن، وحدثت مناقشة حادة بسبب ذلك أيضًا.

عندما وصل إلى الباب عادت ساندرا وقالت: "كم المدة التى بقيتها بدون تعاطى المخدرات".

التفت تار من عند الباب ونظر إليها قائلاً: "يوم واحد فقط".

قالت: "ماذا عن الليلة الماضية؟".

قلت بسرعة: "كان ذلك عقار الباربيتيوراتر، لقد تناول بعضا منه لمساعدته على التخلص من آثار أول ليلة، ولكن ذلك كله قد انتهى الآن".

اعترضت ساندرا.

قال تار: "أنت على حق، أنا مجرد مدمن، أنا مجرد مدمن، وأريد العودة فقط، وأن أستمر في...".

وبينما هو يقول ذلك أخذت التجاعيد فى الظهور على وجهه، وبدأ في البكاء، ثم التفت وأسرع بالخروج وهو يبكى.

شعرت بالصدمة لأن تار قد بدا هادئ الأعصاب جدًا، وحملقت فى ساندرا، فنظرت إليَّ وأسرعت فجأة خارجة خلفه، كان تار عند الباب يفتح القفل، فألقت ساندرا بنفسها عليه وربتت على كتفه، وعانقته بالرغم من أنه كان أطول منها وجذبته بشدة إلى حضنها، ولفت ذراعيها بقوة حوله، لذا لم يستطع أن يتحرك، وظلت تحتضنه وتحتضنه، قمت واقفًا وأخذت أراقب وجهه من فوق كتفيها، كان رائعًا، وأخذ يبكى ويبكى ولم يستطع أن يتوقف، وقد خارت كل قواه، وعندما تركته ركع على ركبتيه، ثم رقد على جانبه، ووضع وجهه بين كفيه، وبكى وبكى وبكى.

قال: "أنا مدمن، أنا مدمن، أنا مدمن".

وأخذ يكرر ذلك المرة تلو الأخرى، رقدت ساندرا بجانبه ووضعت ذراعيها حوله، ورقدت أنا أيضًا ونصفى فوقه.

قال: "أنا مجرد مدمن، أنا مجرد مدمن". وهو يحاول أن ينهض ولكننا جعلناه يرقد ووضعت ذراعى حوله، وكنت أنا أيضًا أبكى، ورقد تار تحت أقدامنا وهو ينتحب.

كانت ساندرا عبقرية عندما أدركت ما كان يحدث، كانت متعاطفة معنا، وبعد قليل عندما بدأت دموعه تجف، قالت: "لدىَّ بعض المسكنات القوية بالطابق الأعلى هل يمكن أن تساعد؟".

أومأ تار برأسه، وذكرت الباراسيتامول، فقال إنه قد تناول قرصين، ونظرنا أنا وساندرا بعضنا بعض، كان فى حالة سيئة، وكنا خائفين من أن يفعل أى شىء مؤذيا بنفسه، لذا مددنا إليه أيادينا ووضعنا فى جيبه ما يكفيه.

صعدت ساندرا وأحضرت المسكن، الذى كان الطبيب قد أعطاها ذلك من أجل آلام الدورة الشهرية لأنها كانت تؤلمها بشدة فى الآونة الأخيرة، ثم تحدثنا فيما يجب علينا فعله– أنا وساندرا– بخصوص ذلك، تار جالس ينظر إلينا فقط، هل نذهب إلى طبيب ونحاول أن نحصل منه على روشتة ميثادون، أم نعطيه بعض النقود، ونرسله فى إجازة إلى مكان ما.

ينبغى أن أترك الأمر كله فى يد ساندرا؛ لأنها سوف تناضل العمر كله لكى تنقذه بعد أن وقفت إلى جانبه وأخذت فى مساعدته، وكانت المشكلة أن تار لم يكن لديه أى شىء، توقفت الدموع، ولكنه كان عنيدًا كالبغل، وكان يريد العودة لإحضار المزيد من الهيروين، ذلك هو كل شىء، إنه لم يتوقف عن أى شىء آخر، وعندما سألته إذا ما كان يرغب فى قضاء إجازة فى أسبانيا أو أى مكان على حسابنا، قال إننا إذا أعطيناه أى نقود فسوف يعود مباشرة إلى بريستول وينفقها على الهيروين، لذا فمن الأفضل لنا ألا نعطيه أى شىء على الإطلاق.

كان كل ما أراده هو أن نقرضه ثمن تذكرة الأتوبيس، وقررنا فى النهاية أن نتوقف عن اتخاذ أى قرارات، ونذهب فقط فى هذه الجولة، فقد يشعر بتحسن بجانب النهر على الأقل، ويمكننا الذهاب إلى أى حانة وإحضار بعض المشروبات، لكن الوقت مر بسرعة لذا صممنا على أنه من الأفضل تناول الغداء أولاً.

قمنا بإعداد الغداء، كنت فى حالة ضياع حقيقى، مرعوبًا مما حدث، فيما عدا شيئًا واحدًا فقط أنه قد عاد إلى نفسه ورجع تار القديم مرة أخرى، عاجزًا بلا حيلة، لكنى رأيت أنه قد كسب ساندرا إلى جانبه فى النهاية، كان ذلك محزنًا جدًا لأنه لم يكن قادرًا على التوافق مع نفسه، وكان يواجه الكثير من الصعوبات فى التعامل مع ذاته.

قطعنا بعض الخضراوات وتحدثنا عما سنفعله، وقد أرادت ساندرا، باركها الله، أن يمكث معنا الفترة التى يريدها، وعندما حدث ذلك انحنيت تقديرًا لذاتى من كثرة إعجابى بنفسى، وهى حركة لم أقم بفعلها منذ أسابيع، ولكن عندما انشغلنا فى الطهى، تركنا تار ومضى.

ركضنا نبحث عنه فى جميع أنحاء المنزل، ولكن حقيبته كانت قد ذهبت أيضًا من حجرته، فخرجت راكضًا فى الشارع أبحث عنه ولكن لم أستطع رؤيته، وذهبت إلى أحد الطرق وذهبت ساندرا إلى الطريق الآخر، ولكننا لم نجده، لذا أسرعنا إلى داخل المنزل لنأخذ مفاتيح سيارتنا وانطلقنا إلى السيارة.

قلت: "لا يمكنه أن يكون فى محطة الأتوبيسات؛ لأنه لا يوجد لديه أى نقود".

قالت ساندرا: "من الأفضل فحص كيس نقودى وحافظتك".

نظرت إليها ولكنها كانت محقة، فقد كان محبطًا بما فيه الكفاية، وعدنا سريعًا للداخل وقضت ساندرا عشر دقائق تبحث عن كيس نقودها ولكنها وجدته فى النهاية، كانت به كل النقود.

"لا بد أنه تحرك".

قفزنا فى سيارتها الرينو القديمة وتوجهنا إلى الطريق السريع.

ذهبنا إلى الميدان، لم نجد أحدًا هناك، فتوقفنا وهبطنا من السيارة لنرى ما إذا كان قد رآنا واختفى فى شارع جانبى، لكنه بالتأكيد لم يكن هناك.

ثم أدركت أنه يوجد اثنان من الميادين فى ريدنج: "الميدان الثاني...". - "ولكنه على بعد عدة أميال".

- "نعم، إنه الميدان الذى استقبلناه فيه عندما أتى لأول مرة، ربما لا يعرف طريقًا آخر غيره".

ابتعدنا مرة أخرى، وذهبنا إلى الطريق السريع، وقدنا السيارة إلى الدوران التالى، وسرنا حول الميدان، لكنه لم يكن هناك أيضًا، فخرجنا من الميدان وعدنا إلى المدينة.

كان سائرًا فى الطريق نحو محطة البنزين، لم يحاول أن يختبئ، توقفنا وقفزنا من السيارة وجرينا نحوه، فوضع تار حقيبته وانتظرنا.

ابتسمت: "لقد أمسكنا بك"

وابتسم بمكر، وأعتقد أنه كان مسرورًا لرؤيتنا.

حسناً، تناقشنا في كل الامور، لكن تار لم يكن مهتمًا، كل ما كان يرجوه هو الحديث لإخباره هل سنقرضه ثمن تذكرة الأتوبيس أم أنه سيسافر بالأوتوستوب.

استمر ذلك الوضع لمدة عشر دقائق أو أكثر، ولكنه بدأ فعلاً في الخـضوع لي، فلا شيء آخر يمكن أن نقوله أو أن نفعله، لقد استسلم بالفعل.

ظلت ساندرا تقول: "لكن يمكنك فعلها، لقد فعلها آخرون".

ذكرته: "ليس هناك أسوأ من جرعة الأنفلونزا".

قال تار: "لا أستطيع أن أتعامل- حتى- مع ذلك".

لقد فهمت الكيفية التي يشعر بها تار بعدم الجدوى، إنه سم، وأنـت تعـرف أنه سم.

ربما كان مثل الأنفلونزا، ربما كان من السهل إيقافه، ولكنـه لـم يـستطع حتى ذلك.

- "سأعود إلى بريستول للحصول على بعض الهيروين، لا يمكنك إيقـافي، كل ما تستطيع أن تساعدني به هو إقراضي النقود لركوب الأتوبيس".

قالت ساندرا: "لن نقرضك أي شيء".

لا بد أن تار رأى في وجهي ما كنت أفكر فيه.

فقال: "قل لها"

هززت كتفي باستهجان فقط، لأنه إذا رجع بالأوتوستوب فسيكون ذلك فـي منتهى السوء والتعاسة، إنه يوم سيئ؛ برد ووحل، وهو لم يرتد الملابـس الكافيـة للاستعداد له، لكنه مستعد أن يتجمد وأن يتبلل جسمه كلـه بالمـاء مـن أجـل

الحصول على الهيروين، ما الذى سيجنيه من ذلك، لقد شعر فقط بالمزيد من اللاجدوى وعدم الفائدة أكثر من استخدام الأوتوستوب؛ لأنه لن يعانى من ذلك على الأقل.

حاولت أن أشرح الأمر لساندرا، ولكنها لم تكن مقتنعة تمامًا، لكنه كان متأكدًا جدًا من نفسه.

قالت ساندرا: "لا أستطيع الاستسلام" وسوف أبحث فى جيوبى عن النقود، فبدا تار أفضل كثيرًا فجأة.

ثم أخذناه بالسيارة إلى محطة الأتوبيسات.

قال تار: "لقد فعلت الشىء الصواب يا ريتشارد".

ونظرنا بعضنا إلى بعض لأنه غلبنا وانتصر علينا، ربما كان مسرورًا وفخورًا بنفسه، أو ربما كان سعيدًا فقط لأنه لم يضطر إلى السفر بالأوتوستوب.

وذهبنا معه إلى المحطة لتوديعه، قالت ساندرا: "عد قريبًا فى أى وقت لتحاول مرة أخرى".

قلت مؤكدًا: " فى أى وقت تريده".

ووافقت ساندرا قائلة: "فى أى وقت تريده على الإطلاق".

أشار تار شاكرا واتجه نحو الأوتوبيس، ووقفنا لتوديعه بالأحضان، وانتظر حتى انتهينا من ذلك، ثم صعد إلى الأوتوبيس الذى انطلق به سريعًا.

(٢٦)

جيما

آه كيف استطعت دائمًا أن تخذلنى

الآن كيف استطعت أن تخذلنى

الآن كيف استطعت أن تخذلني.

هذه الوعود (ألا آ آ آ آ آ آ آ لا)

إلى أين أخذتنا

(أووو أو لا أووووووووو لا)

صياح الديوك

لدىَّ مشكلة، نعم قد يكون لدى مشكلة، كنت أنتظر أن أرى ما إذا كنت قد استطعت القيام بذلك بالفعل عندما أخذ أحدهم فى الخبط على الباب والصراخ، أسرعت بالقيام فانسكب الشاى على ملابسى، واندفعت نحو الباب.

اعتقدت أنها الشرطة، ولكنه كان صوت امرأة تصرخ، وقد كنت موجودة بالمنزل بمجرد الصدفة، لأنه كان ينبغى علىَّ أن أكون فى الصالة التى أعمل بها فى ذلك الوقت، ولكننى لم أستطع الذهاب فى هذا اليوم، وهذه المرة لم يكن بسبب المخدرات، ولكن لأن دورتى الشهرية قد تأخرت وأحسست بتورم فى ثديى و...

وكان ذلك هو آخر شيء أريده فعلاً على هذا الكوكب، والآن أخذ هذا الوحش في الدق على الباب بهذا العنف.

سرت بهدوء شديد إلى البهو كما لو كنت غير موجودة.

بانج بانج بانج...

أدركت أنها لم تكن الشرطة؛ لأن ذلك الشخص كان يبدو يائسًا جدًا، ثم سمعت تنفسه، كان تنفسًا غاضبًا، أقصد أنه كان تنفسًا متقطعًا، ثم مرة أخرى بانج بانج بانج.

وكان الصوت يقول: "من فضلك... من فضلك... من فضلك...".

فتحت الباب فسقطت للى عليّ، وكانت تعلق ابنها سونى على ذراعها، وأغلقت للى الباب خلفها وهى تتأوه وتنتحب.

- "ماذا حدث يا للى، هل أنت بخير؟".

لم تستطع أن تتكلم؛ وكانت تسير بصعوبة شديدة، وتضع إحدى يديها على عنقها، وعندما أبعدتها استطعت أن أرى رقبتها حمراء، لم تكن ترتدى إلا روبها المنزلى فقط.

- "يا إلهى..."

سحبتها للداخل وأرقدتها على الكنبة، فأخذت سونى إلى جانبها، كان يصرخ ورأسه مرفوعة، ومالت للى على جانب الكنبة وتقيأت، وأخذت تحكى قصتها ببطء، كان أحد الزبائن قد اعتلاها وجردها من ملابسها، وطلب منها... شيئًا لم ترد أن تفعله. وعندما قالت لا، جذبها وضربها، حاولت للى الصراخ لتنبيه روب

الذى كان ينتظر دائمًا أسفل السلم وبيده مضرب بيسبول فى حالة وجود أى مشكلات، ولكن الرجل وضع يده على فمها، وسحبها من السرير، وجذب زوجين من جواربها القديمة- فقد كانت أرضية الغرفة عندها مليئة بملابسها- وقام بلف الجوارب حول عنقها وجذبها بشدة، لقد جذبها بشدة حقًا، وأبقاها نصف مشنوقة، وتركها كذلك لكى تعرف فقط أنه كان قادرًا على أن يقتلها، أن يقتلها حقًا إذا لم تفعل ما أراده، ولم تستطع أن تصرخ، وترك لها فسحة قليلة كى تستطيع التنفس، ثم بدأ فى الضغط مرة أخرى.

كان يقوم بفعل هذه الأشياء معها أثناء خنقها، تطوحت وانقلبت على ظهرها ورفسته، لكنه قام بقلبها، وربط ذراعيها خلف ظهرها لدرجة أنها اعتقدت أنه سيحطمها، ثم أحضر الجوارب مرة أخرى، واستمر فيما كان يفعله، وطوال ذلك الوقت كان يلف الجوارب حول عنقها، وعندما انتهى تركها تذهب، فقامت بنزع الجوارب من حول عنقها ويديها، وحاولت الصراخ، كان عنقها منقبضًا، لكنها أحدثت بعض الجلبة نوعًا ما، وارتدى ذلك الشخص ملابسه وخرج من غرفة النوم، وهبط السلالم ومشى خارجًا.

سمعت للى روب وهو يصرخ، ولكن بعد دقيقة سمعت صفق الباب، ثم صعد روب إلى أعلى، وكانت تحاول أن تخبره ألا يستدعى الإسعاف؛ لأنهم سوف يأتون بالشرطة معهم، ولكنها لم تستطع الحديث، وحملق روب فيها فقط، وكانت رأسه تنزف، ثم هبط السلالم مرة أخرى.

نهضت للى وحاولت النزول إلى أسفل، كانت قد نزلت نصف السلالم عندما ظهر روب قال: "اصعدى إلى الأعلى، الشرطة قادمة".

حاولت للى أن تقول له: "أنت غبى وأحمق، لأنه اتصل بالإسعاف والشرطة والمنزل ملىء بالإبر والموازين والهيروين وكل شىء، لكنها كانت لا تزال عاجزة عن الكلام، واستمرت فى النزول.

كان سونى لا يزال يصرخ وهو على الأرض، نجحت للى فى التقاطه بإحدى ذراعيها، وحاول روب الوقوف أمامها ومنعها من مغادرة المنزل، لكنها دفعته وانطلقت.

كانت عارية تمامًا لذا جذبت روبها من فوق المقعد، وخرجت بسرعة متجهة مباشرة إلى هنا.

أثناء سردها لهذه القصة حدث شيئان كان أولهما أننا سمعنا صوت الشرطة قادمة وسمعنا سارينة الشرطة، ظللت أتوقع أن يعود روب ولكنه لم يفعل ذلك، لقد ذهب واختبأ عند ديف، أما الشىء الآخر فقد كان شريط اختبار الحمل الذى كان موجودًا على الطاولة، وهو أحد الأنواع الذى يظهر فيها دائرة صغيرة فى قاع الأنبوبة إذا كنت حاملاً، وذلك هو ما كنت أنتظره عند حضور للى لأنه يجب عليك أن تنتظر عدة ساعات لتعرف النتيجة، وكنت جالسة بجانب للى أحاول أن أهدئ من روعها، كان سونى يصرخ، لذا نهضت.وأعددت له زجاجة لبن، وكانت أنبوبة الاختبار هذه فى الطريق فلمحتها بسرعة، وقد بدا كل شىء على ما يرام، لم يكن هناك أى حلقة فى قاع الأنبوبة وكان كل شىء بخير، لم أكن حاملاً. كنت أعتقد أنه كان يوجد شىء ما على أية حال، وأمسكت بالأنبوبة وحركتها، وألقيت نظرة أخرى سريعة عليها، وفى هذه المرة كانت هناك تلك الحلقة الصغيرة فى القاع، حلقة صغيرة تمامًا تشير إلى أن الحمل قد حدث فعلاً.

لا أعرف لماذا رأيت شيئين مختلفين تمامًا فى ذلك الوقت، ربما أكــون قــد رأيت صورة ملاك أو ضوءًا ما، لا أدرى، ولكنى حركت يدى ولم أستطع وقفهــا، عندما جذبت الأنبوبة، فاختفى كل ما كان فيها بهزة ضئيلة، واختفت تلــك الحلقــة الصغيرة بمجرد أن رأيتها، لم يكن لدىَّ أى فكرة عن حقيقة الأمر، وهل كانت هذه الحلقة موجودة فعلاً أم أنها كانت مجرد خيال، أى النظرتين كانت حقيقية وأيهمــا تلك التى تخيلتها...؟

كانت أمى تقول إن المصائب لا تأتى فرادى بل تأتى مجمعة ثلاثة ثلاثة، فقد عاد روب متأخرا، وحدثت بينهما مشادة عنيفة، وكانت للى غاضبة منه لاستدعائه لأولئك الخنازير (الإسعاف والشرطة)، حتى ولو كانت فى حالة إغماء.

وكان من الواضح أنهما لن يستطيعا العودة إلى منزلهما لأن الشرطة كانــت تترقب وصولهما، كانا خائفين حتى من الخروج من المنزل، وضعناهما فى الطابق الأعلى فى غرفة نومنا، فظلا يصرخان ويتشاجران مع بعضهما طوال الليل، كانت للى محطمة بسبب ما حدث لرقبتها، وغرقت فى الدموع، وبــدأ أحــدهما يتقيــأ، وجلسنا أنا وتار فى المنزل نستمع إلى شجارهما، بدون أن نجرؤ علــى الــدخول لغرفة.

وكان الطفل مدهشًا وساكنًا كالفأر طوال الوقت، على الرغم من أننى سمعته يبكى فى الليل عدة مرات.

هدأت الأمور فيما بعد، ووضعنا أنا وتــار بعــض الوســائد فــى الغرفــة الاحتياطية ورقدنا هناك.

سألته: "ما الذى سنفعله؟".

كان راقدًا ينظر إليَّ فى الظلام، قال: "لا يمكنهما أن يمكثا هنا".

- "لماذ؟".

- "إن الشرطة تبحث عنهما، وسنضطر للخروج على أى حال، وسيرغب روب فى الاستمرار فى تجارة المخدرات، ولا يمكن أن يوجد تاجران للمخدرات فى منزل واحد".

أخذت أفكر، أيها اللعين، لقد فعلا كل شيء من أجلنا، والآن كل ما يهمه هو عمله وتجارته.

تحركت قليلاً ثم قلت: "ربما كان ينبغى علينا أن نرحل ونترك لهما المكان".

بدا مندهشًا وسأل: "لماذا"؟.

- "أنت تعلم حالة للى السيئة الآن".

حقًا كانت فى حالة سيئة جدًا، أسوأ من أى واحد منا، لقد تم اصطيادها فى مانشيستر، وهى الآن أصبحت مدمنة هنا.

قلت: "لن تستطيع للى التعامل مع مكان جديد، ويجب أن تبقى هنا، أما نحن فنستطيع الذهاب، ويمكننا الانتقال الآن، والخروج من هنا...".

هز تار رأسه: "أنا لن أترك مكانى لهما، لماذا ينبغى علىَّ ذلك؟".

- "أقصد، يمكننا الابتعاد، أنت تعرف؟".

سادت لحظة من الصمت، ثم قال: "ليس الآن، أنا لست على استعداد للقيام بذلك يا جيم".

لم أقل أي شيء، أخذت أفكر في تلك الحلقة الصغيرة في قاع أنبوبة الاختبار، وفكرت متى تحول تار إلى هذا الشيء القذر، ومتى وقعت أنا في حبه؟

مال نحوى وقبلني وقال: "يا هندباء، أنا أحبك".

قلت: "أنا أحبك أيضًا".

ابتسم وابتسمت، لكنها لم تكن ابتسامات حقيقية، ثم أدار ظهره لي واستغرق في النوم.

لم أخبره أنني حامل، أنا أعرف ما قد يقوله، سيريد أن أحتفظ بالطفل. وسوف يظل يقول يجب أن يكون لدينا طفل مثل روب وللي، وأنا أعتقد أن ذلك غباء، كلانا مدمن مخدرات، ولكن الشيء المخيف حقًا هو أنني أنا أيضًا كنت أريد ذلك الطفل، عرفت ذلك عندما ألقيت تلك النظرات الخاطفة على الحلقة الصغيرة في قاع الأنبوبة، لم أكن خائفة أو حزينة بذلك، انظروا، بل كنت سعيدة.

إنني أريد الاحتفاظ بطفل تار، لكن ذلك يعتبر غباء الآن، أليس كذلك؟

لا أعرف لماذا بدأت أحب تار كثيرًا، لقد كان الأمر دائمًا عكس ذلك، كان هو الذي يحبني أكثر، لم أعد أفهم نفسي لأنه قد أصبح فظيعًا حقًا الآن، إنه يكذب ويغش ويأخذ نقودي، ويعتمد على نفسه عندما يكون بعيدًا عني فقط، إنه يسرق مدخراتنا، ويتعاطى الإبر ويتركني ويذهب بعيدًا ولا يأتي إلا عندما يصبح مفلسًا، ثم يقول لي إنه يحبني.

إن الشك والريبة يبدو واضحين في عينيه، لا أدرى ما إذا كان ذلك حقيقيًا، لا أعتقد أنه قد أصبح يعرف ما هو الشيء الحقيقي الآن، واعتدت أن أعتقد ذلك

عندما أقع فى الحب، لقد سقطت من أجل شخص ملعـون ذى حلقـة فـى أذنـه، نعم أنا كذلك.

رقدت فى الفراش وأخذت فى التفكير طويلاً، فى تـار، فـى للـى وروب وسونى، كنت أنظر فى عيون هذا الطفل سـونى، إنهمـا مليئتـان بهـا، أقـصد بالمخدرات، ذلك ما أقصده، لا بد أنها تصل إليه عن طريق الرضاعة مـع اللـبن، إنه طفل مدمن، مدمن منذ بداية حياته القصيرة، لقد كان مدمنًا حتى قبل أن يولـد، وكل ما كان يرعبنى هو تلك الكتلة الهلامية الصغيرة التى بداخلى، والتى يبدو أنها أغلى ما امتلكته فى هذا العالم.

بعد فترة طويلة سمعت للى تتحرك فى غرفة الجلوس، فاستيقظت ونهـضت أنا أيضًا، كانت فى الحجرة حاملة الطفل على ذراعيها تبحث عن شيء مـا فـى المكتب.

- "هاى".

نظرت إلىّ، بدت فظيعة، نعم، كان سونى يرشح وهو علـى ذراعيهـا وقالت بنصف تأوه: "إنه لا يريد أن ينام، وأنا أبحث عن لعبته".

قالت ذلك وهى تنظر بعين يملؤها النعاس.

- "دعينى أحمله قليلاً".

جعلتنى آخذ الطفل منها، لم تكن تسمح لى بأن أحمل سـونى فـى أغلـب الأحيان، وظلت ترنو إليه، ولمست الرداء المصنوع من القماش الأبيض الذى كان حول وجهه والذى بدا جميلاً جدًا، كان حمل الأطفال يجعلنى دائمًا سعيدة وهادئة.

قلت: "أريد أن أحصل على طفل".

- "نعم، سوف يحدث ذلك يومًا ما، يا جيم، فأنت تستحقينه".

وضعت الطفل على الكنبة بجانبها، وأعددت كوبًا من الشاى، كانت الأضواء خافتة، وللى هادئة، وكان إبريق الشاى لا يزال على النار، فأعددت الشاى وجلسنا نشربه.

- "كيف حال عنقك؟".

ابتسمت للى: "إنه لم يزل يؤلمنى".

ابتسمت لها بالمقابل، لقد بدت بحق أمًا دافئة فى ردائهـا المنزلـي، وكـان سونى يصدر أصواته العذبة، وانتهزت فرصة أن للى تعافت وأصبحت بخيـر، وحملته مرة أخرى، فأخذ يلوح بيده فى الهواء.

قلت: "أعتقد أنه ملأ حافظته ويحتاج لتغييرها".

أجابت للى: "سأشرب الشاى أولاً"، ثم مالت برأسها إلى الخلف وهى تتثاءب قائلة: "ربما يكون قد عمل بعض ال... مرة أخرى".

حاولت تقديم المساعدة قائلة: "سأغير له الحافظة".

- "لا. سأفعل أنا ذلك".

احتست للى كوبها وبدأت فى النعاس، كانت متعبة جدًا، وفكرت فـى أنـه يجب أن أغير لسونى حفاضته من أجلها.

وضعت المرتبة بجانب المدفأة، وخلعت حافظته، كانت قذرة، لقد فعلها هـذا الطفل، وثنى رجليه كما يفعل الأطفال عادة، وحاول أن يضعها فى فمه.

قمت بتنظيفه، ثم جعلته يحاول أن يلمس أنفى، سمعت صوتًا من خلفى يقول: "لا ينبغى عليك أن تفعلى ذلك يا جيما".

صرخت: "آه!".

زحفت للى خلفى لترى ما كنت أفعله، لقد أخافتنى لدرجة الموت، كان هناك فى صوتها، التفت، كانت تحملق فى يدى التى تحمل الطفل.

قلت لها: "لقد كنت مستغرقة فى النوم".

تقدمت نحوى والتقطت سونى من يدى، ونظرت إلىَّ كما لو أنها لا تعرفنى أو لا تعرف ما الذى فعلته من أجلها، ثم قالت: "لن يستطيع أحد أخذ طفلى منى".

أصبت بصدمة، وقلت: "أنا لم أقصد ذلك أبدًا، لم أقصد ذلك أبدًا".

لم يحدث لى ذلك أبدًا من قبل، كانت تنظر إلىَّ كما لو أننى أحد الوحوش البرية جاءت لتسرق منها طفلها، وشعرت بالذنب كالجحيم لما قالته الآن، وكان من الواضح أنها تشعر أن الطفل لا بد أن يؤخذ منها يومًا مَا.

قالت: "لن يستطيع أحد فعل ذلك أبدًا".

ثم التفتت مبتعدة بالطفل، وبدا أنها ستأخذ فى البكاء.

شعرت بأن الغرفة كلها تطن فى أذنى، لا أدرى لماذا هى بهذه القوة، أعتقد أن ذلك سببه زوال القناع، فكرت، يا إلهى، بدت وكأنها فقدت عقلها تمامًا، وكان كلانا يعرف ذلك، لقد عرفنا نحن الاثنين أنها أظهرت شيئًا لم تظهره أبدًا لأى شخص من قبل، لأنها رمقتنى فجأة بتلك النظرة القصيرة من فوق كتفها، كان

وجهها شديد الفزع، وبدت هى نفسها كطفل خائف جدًا، ثم دفنت رأسها فى حضن سونى، وحكت خديها فى خديه، وقبلته مظهرة له كل الحب.

قالت: "إنه طفل جميل يا جيما".

حاولت أن تبدو طبيعية ولكنها لم تكن كذلك، ووقفت هنـاك تحملـق فـىَّ وتحاول الاحتفاظ بوجهها صارما، كانت عيناها مليئتين بالدموع، وفمها مفتوحًـا، وكنت أعرف ما الذى كانت ستقوله، كانت ستقول: "ساعدينى".

لا تسألونى لماذا ولكننى عرفت ذلك فقط، استطعت رؤيـة الكلمـات علـى طرفى شفتيها ولكنها لم تكن تستطيع قولها، مددت يدى لكى أسندها لكنهـا هـزت رأسها هزة صغيرة جافة.

مرت ثوان قليلة مرعبة، ظننت فيها أنها ستتحطم وستبكى، لكن للى التفتـت مبتعدة وعادت إلى المطبخ، دارت حول الغرفة عدة مرات، ثم جلست على الكنبة، لم أستطع التحرك ولم أدر ما الذى كان ينبغى علىَّ فعله، وكنت أعتقد أنها قد تقفـز فجأة و... تضربنى أو شىء من هذا القبيل، كنت متأكدة من أنها ستكون غاضـبة فى اللحظة التالية.

ثم قامت للى بإرجاع رأسها إلى الوراء وأخذت تتثاءب بشدة، لم أصدق هذا التثاؤب، لأنه لم يكن حقيقيًا، والتفتت، وابتسمت ابتسامتها الكبيرة، وعـادت إلـى طبيعتها مرة أخرى.

- "لقد أخذته يا جيم، سأذهب إلى السرير".

- "حسنًا يا للى".

استيقظت للى وكان لا بد أن تمر بى وتسير أمامى وهى فى طريقهــا إلـــى الباب، وكان يتحتم علىَّ أن أجبر نفسى على ألا أتحرك إلى الخلف بعيدًا عنها.

نظرت إلى وقالت: "سأكون على ما يرام يا جيم".

- "أنا أعرف ذلك يا للى".

- "فى الليل".

- "فى الليل".

راقبتها وهى تغادر الحجرة، والتفتت إلى الباب وابتسمت لى ابتسامة دافئــة جميلة فظهرت تلك النظرة الخائفة مرة أخرى، ثم خرجت، فجلست وشربت الشاى وسمعتها تدخل الفراش، وانتظرت وقتًا طويلاً.

كان ذلك الطفل هو كل ما تملك، وكان دائمًا طفلاً جميلاً وهادئًا جدًا.

فكرت فى نفسى، أنا اتبعتك إلى كل مكان ذهبت إليه، اتبعتك إلى كل مكان، ولكننى لم أتبعك إلى هنا...

نزلت بعد برهة إلى الصالة، وأحضرت معطفى الكبير، وذهبت بهدوء شديد إلى الطرقة، وخرجت من الباب الأمامى، كان الوقت متأخرًا، حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا، وكان الجو باردًا ولكننى كنت خائفة وأنا أرتدى ملابسى مــن أن تأتى للى أو أن يستيقظ تار، وأسرعت بالخروج لأننى لم أصــدق أن للـــى كانــت نائمة، وذهبت إلى كابينة الهاتف، اتصلت ب ٩٩٩ وطلبــت الــشرطة، وعنــدما انتهيت قلت للسيدة: "هل سيذهبون مباشرة؟".

- "ينبغى الحصول على تصريح أولاً وسيأخذ ذلك عدة ساعات".

- "إلى اللقاء".

- "دقيقة فقط يا آنسة..."

لكنها كانت قد أغلقت الهاتف.

لا بد أنها ستكون قوة كبيرة تلك التى تتطلب تصريحًا يستغرق وقتًا طـويلاً، وكنت أخطط للعودة إلى المنزل وانتظارهم، ولكنى شعرت أننى غير قادرة علـى الانتظار هناك لعدة ساعات، ولم يكن لدىَّ مكان آخر كى أذهب إليه.

أخذت فى السير على الطريق، سارت سيارة بجانبى، وأخـذ شـخص مـا يزعق، فهززت رأسى وسرت، كنت مرتدية ملابس نومى ومعطفى وحذائى فقـط، واستمررت فى السير لفترة ثم أخذت فى البكاء محاولة التفكير فى ما الذى سـأفعله بعد ذلك...

(٢٧)

فونـــى

كنا نلعب راكيت فى أيام الأربعاء.

وكنت قد انتقلت للعيش فى كليفتون عندما حصلت على مكان فى الكلية، وأنا الآن أدفع الإيجار وكل شىء، إن ذلك ممل حقًا، ولكنك تكونى فى حاجة إلى قاعدة جيدة عندما تقومين بعمل شىء كهذا، ولا يمكنك أبدًا القول متى ستنتهى من ذلك.

أخذت دراستى فى الكلية مأخذ الجد، ولم أرغب أن أزعج نفسى بالتنقل مــن مكان إلى آخر كل بضعة أشهر، وكان صديق جون طالبًا بكلية الفنون، وقد تعودنا على الذهاب لتناول الشراب بعد لعب الراكيت، وكان قد أنفق منحته كلها منــذ أول شهر، لذا كان لا بد أن أدفع ثمن مشروبه أيضًا، وقد أغضبنى ذلك الأمــر، فهــو يحصل على مثل ما أحصل عليه من نقود، فلماذا أدفع حسابه، وهو يقول إن شهيته مفتوحة بشكل كبير، كما أنه كان يشرب أكثر منى، ربما كان ينبغى عليه أن يطلب مشروبات مجانية كبيرة الحجم.

وكان من المعتاد أن نمكث فى بيتى لأنه مريح جدًا، وكنا نذهب إلى بيته فى أيام الأربعاء فقط؛ لأن بيتى كان بعيدًا يحتاج لركوب الأتــوبيس للوصــول إلــى المركز الرياضى، بينما كان بيته على ناصية هذا المركز، فكنت أظل هناك عــادة

وأذهب مباشرة إلى الكلية فى اليوم التالى، ولم أكن أعود إلى منزلى إلا ظهر يوم الخميس.

كان لمنزلى حديقة كبيرة تشاركنى فيها فتاة أخرى تسمى ماندي، ولكنها لم تكن موجودة هذا الأسبوع، وكانت ويلى تسكن فوقى، وكنا نطلق عليها ويلى لأن لديها طفلين، وقد اعتادت أن تصيح من خارج الباب الأمامى: "هل كل الأطفال فى الفراش؟"، وذلك عندما كانت تريدهما أن يدخلا إلى المنزل، ويذهبا إلى الفراش.

جاءت ويلى لزيارتى بعد ساعة أو أكثر من عودتى، وقالت: "كان هناك فتاة جالسة على عتبة مدخلك صباح الأمس، من نوع البانكى الجربان، وظلت منتظرة هناك عدة ساعات".

أنا أيضًا نوع ما من البانكى، كما تسميهم ويلى، وهم ليسوا جربانين بالطبع.

لم أستطع الإجابة عليها لأننى لا أعرف الآن أى شخص بمثل هذه الأوصاف! منذ أن تركت سان بول.

– "ظلت منتظرة هنا منذ وقت طويل، وأعتقد أنها كانت ترتدى مجرد بيجامة تحت معطفها، لا بد أنها تجمدت من البرد، كانت جالسة هنا منذ الصباح الباكر، الله وحده يعلم كم المدة التى انتظرتك فيها، وقد خرجت حوالى العاشرة لأرى ماذا هناك، وأخبرتها بأنك لن تعودى هذه الليلة، لقد بدت فظيعة".

– "ألم تخبرك باسمها؟".

– "لا، لكنها تعرفك جيدًا".

نظرت ويلى إلىَّ بارتياب وسألت: "من تكون هذه الفتاة إذن؟".

هرشت أذنى قائلة: "لا أستطيع التفكير... ما شكلها؟".

أخذت ويلى فى وصفها، ولكن ذلك أيضًا لم يساعد فى شىء، لقـد أدركـت فقط... جيما!.

لم أرها منذ فترة طويلة، وكانت الأحوال تزداد سوءًا فى ذلك المكان، وهـو الآن ملىء بالموتى الأحياء من الزنوج، كنت قد اعتدت على الذهاب إلـى هنـاك ومضايقتها بانتظام، وكانت تنفجر غيظًا منى طوال الوقت لأنها كانت قـد دخلـت اللعبة، وأصبحت مدمنة باستخدام الإبر، وكانت تعتقـد أن ذلـك متعـة كبيـرة، واستمررت فى الذهاب إلى هناك لفترة بعد رحيل ريتشارد عن بريستول، ولكننى توقفت الآن، وفكرت فى أنها لا بد أن تكون واقعة فى مشكلة، أقـصد أنهـا فـى مشكلة منذ سنوات، ولكنها قد تكون قد أدركت ذلك الآن.

أخذت سيارتى إلى منزلها مباشرة ولكنى لم أتلق أى رد عند طرقـى علـى الباب، فنظرت من خلال النوافذ، ولم يكن هناك أحد، فعدت إلـى منزلـى، كنـت منزعجة من أجلها، وكنت خائفة فعلاً، فقد كانت فى هذه المشكلة السيئة منـذ مـدة طويلة، ولكنها لم تكن تعرف– أبدًا– ذلك، أنا أحب جيما، ويمكن أن يكـون فيهـا الكثير من الخير فى المستقبل، ولكنها كانت فاشلة فى الحكم على الأشخاص.

أصبحت الساعة السادسة مساءً قبل أن أفكر فى أنها يمكـن أن تكـون قـد تركت لى رسالة فى صندوق خطاباتى، وكان هناك قطعة صغيرة من السجاد كنت أستخدمها كمشاية، وكان يمكن رفعها أحيانًا لوضع الخطابات تحتها، وهناك وجدت رسالتها التالية: "لا أستطيع المزيد من الانتظار، سأذهب إلى المستـشفى لمحاولـة جعلهم يسمحون لى بالدخول".

قلت لها– عدة مرات– إننى دائمًا موجودة إذا احتاجتنى، كانت تسخر منـــى، لكنها تذكرت ذلك فى النهاية، أسرعت وقفــزت إلـــى الــسيارة وقــدتها مباشـــرة إلى هناك.

كانت تبدو مثل الموتى، جلست على الفراش، واستمعت إلى قصتها، وظللت أفكر، إنها فى الثامنة عشرة وأنا فى الرابعة والعشرين، ولكنها بــدت أكبـــر منـــى بكثير، إنها مدمنة وواقعة فى الحب، ونامت مع الكثير من الرجال، وهـــى حامـــل الآن، وبرغم أنها فى الثامنة عشرة من عمرها فقط، لكنى أحسست أننـــى جالـــسة أستمع إلى سيدة عجوز تحكى لى ما قد حدث لها عندما كانت صغيرة.

كانت الشرطة تسعى جاهدة للقبض عليها لكن تار، باركه الله، قــد تحمـــل العبء مرة أخرى، بالرغم من أنه قد عرف بالتأكيد أنها هى التى أبلغت الــشرطة، وأن إيقافه والحكم عليه هذه المرة سيكون إيقافًا لشاب راشد، لأنه لم يعد طفلاً كمـــا كان فى السابق.

كانت المستشفى ترغب فى التخلص منها، برغم أنهم أعطوها سريرًا، وذلك أقصى ما كان يمكن أن يقدموه لها، وكانت جيما قد دخلت المستشفى لأنها أحـــست بتقلصات معوية حادة، وقالت إن ذلك كان يحدث لها دائمًا عندما تتهـــاوى، ولكـــن للأمانة، أعتقد أنها كانت تبالغ فى ذلك ليعطوها سريرًا، وكانت راقدة هناك تنتظـــر أن يطردوها فى أى لحظة، بدون أن يوجد أمامها أى مكان آخـــر تـــذهب إليـــه، المسكينة جيما! بالطبع كان يمكننى اصطحابها إلى منزلى، وقد فعلت لكن...

قلت لها: "أعطنى رقم هاتف والديك يا جيما. دعينا نجرب ذلك أولاً".

– "لا أستطيع".

وكان عدد مرات سؤالى لها عن رقم التليفون هو نفسه عدد المـــرات التـــى أجابت فيها بالرفض، لا أدرى إذا كان ما أفعله صائبًا أم لا.

- "إن ذلك الأمر خارج عن إرادتك يا جيما... أخبرينى بالرقم فقط".

غطت وجهها بكفيها: "٢٣٢....و"

بدت كأنها قد تذكرت ذلك فجأة بعد كل هذه السنوات.

رن الهاتف ثلاث مرات وردت امرأة قائلة: " ألو".

قلت: "السيدة بروجان؟".

"نعم"

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: "إنه عن ابنتك جيما".

(٢٨)

إميلى بروجان

مضت ثلاث سنوات.

أردت أن نذهب بالقطار لأنه أسرع، ولكن جريل صمم على القيادة والذهاب بالسيارة، أعتقد أنه مجنون قيادة، وأن القيادة قد أخذت عقله أكثر مـــن أى شـــىء آخر، وكنت أرى أن ذلك أمر خطير، وغير آمن، ولكن فى هذه المرة كان الأمـــر جيدًا مثل الذهب.

جلست أفكر فى كل الأشياء التى افتقدتها– الأشياء التى افتقدتها جيما– النمو والنضج، الذهاب إلى المدرسة، الاختبارات، استقبال الأصدقاء فى غرفة المعيـــشة، الحفلات...

كنت أتشوق إلى كل هذه الأشياء الآن، وعندما يكون لديك ابنة فـــإن ذلـــك معناه استعادة طفولتك مرة أخرى، تلك الطفولة التى افتقدت فيها أشياء كثيرة، كلنـــا كنا كذلك، وكنت غاضبة منها بسبب ذلك، وبسبب... انظـــروا، بعـــد كـــل هـــذه السنوات، تحاول أن تقول لنفسك أنك من المحتمل ألا تراها مرة أخـــرى إلا بعـــد سنوات طويلة عندما أصبح سيدة عجوز، ولكنه حدث الآن، وها هي كل الجـــروح تنفتح، كما حدث أول مرة عندما تركتنا وذهبت، إنها لا تزال فى الثامنـــة عـــشرة،

ولديها مشكلة، ولكنها لم تزل طفلة بالنسبة لى، كيف اسـتطاعت أن تفعـل ذلـك كله بنا؟

ما زلت أتذكر ما قالته تلك الفتاة لي: "إنها فى المستـشفى،... لا إنهـا لـم تصب بأى مكروه".

ظللت أتساءل: "لكن لماذا؟ لماذا هى فى المستشفى؟".

اعتقدت أنها تلد، وفى النهاية عرفت أنها مدمنة هيروين، وأن بها أعـراض معاناة ظاهرة لسحب الهيروين من جسمها.

ثلاث سنوات ونصف، كان يمكن أن تموت، نعم كان يمكن ذلك.

ذهبنا إلى المستشفى وسألنا عن جيما بروجان، وجعلونا ننتظـر، وقـد أراد أحد الأطباء أن يناقش حالتها معنا قبل أن نراها، وأخبرنا بأنها حامل بعد كـل ذلـك، وأوضح لنا أنهم لا يتعاطفون مع مشكلتها.

قال: "إن أماكن المستشفى من أجل المرضى فقط، وبمعنى آخر إنـه سـيتم طردها من المستشفى، وكان يتوقع أن نتولى نحن أسرتها العناية بها.

اتجهنا نحو العنبر، قال جريل: "طفل، لقد كانت تتعاطى تلك الأشـياء مـع وجود طفل" وبدا غاضبًا، واستمررنا فى السير، قال: "لا بد أن نتوقع أننا يجـب أن ندفع لها تكاليف العلاج".

لم أستطع أن أصدق أذنيّ، وقفت أحملق فيه، إنها طفلتنا، كنت غاضبة منـه جدًا، وكنت مستعدة لمواجهة طابور من الناس فى هذه المستشفى العـام، وظللـت واقفة فى منتصف الطرقة، ولكن عندما التفت إليه، رأيت أنه لم يكن غاضبًا على

الإطلاق، لقد نظر إلىّ بعينين كبيرتين مبللتين، وهذه هى طريقته فى البكاء، كانت عيناه تبتلان فقط، وتظل يداه معلقتين فى جانبيه، وكان وجهه رماديًا كأمطار الشتاء، بدا كما لو كان عالمه كله قد انفجر.

كنت أرى أننا خذلنا جيما كثيرًا، وبطرق متعددة، ولكنها هى أيضًا خذلتنا، ودمرت حياتنا، وتلك الطريقة التى عشنا بها أنا وجريل معا بعد رحيلها، كنا نوجه اللوم بعضنا لبعض، تلك المرارة التى شعرنا بها، والمناقشات المريرة الحامية التى دخلنا فيها، عما قلناه، وما فعلناه، وما قالته، وما فعلته، لقد حطم ذلك زواجنا تقريبًا، ربما لم تكن هى التى حطمته، ربما كنا قد وصلنا إلى هذه الحالة معًا لعدم وجود شىء أفضل نستطيع فعله.

لكننا على الأقل كنا لا نزال معًا...

أخذت ذراعه وقبضت عليها بشدة، الله يعلم، لا أحد منا كامل، وهو، فليباركه الله، علق رأسه وأغلق عيونه للحظة، وسقطت دمعة من عينه على خده، ثم أسرعنا، كنت أستطيع تحمل أى شىء ما عدا بكاء جريل، كان ذلك يجعلنى أنتحب، لكنى كنت أريد أن أوفر الدموع التى لدىَّ من أجل جيما.

وفى عنبر المستشفى قمت بعمل فى غاية الأنانية، لقد قلت لجريل: "أريد أن أراها بمفردى"، كان لديه الحق فى رؤيتها مثلى، لكنى كنت أعتقد أننى أردت أن تكون كل هذه اللحظات الثمينة لى وحدى.

هز رأسه فقط، وتقريبًا قلت: "أنا أم"، ولكننى بلعت الكلام فى الحال ثم دخلنا...

كان أول ما فكرت فيه، يا ألله، كانت تشبه أمى، بالرغم من كل شىء، كنت لا أزال أفكر فيها كما رأيتها فى آخر مرة عندما غادرت المنزل كفتاة فى الرابعة عشرة من عمرها، ولكنها بدت مثل أمى، أمى الحقيقية، تلك المرأة العجوز.

جلست بجانبها ووضعت يدى فى يدها، أردت أن أجعل ذلك يبدو طبيعيًا بقدر الإمكان لمصلحتها، وأخذت فى التحدث عن المنزل وسؤالها عما فعلته، على الرغم من أن التحدث عما فعلته فى هذه الأثناء لن يفيد فى شىء.

لم أكن أريد أن أبكى، كنت أدرك تمامًا أنه لا ينبغى علىَّ أن أبكى، ولكننى فكرت فى كل الأشياء التى افتقدتها، ولم أستطع أن أنطق بكلمة مما قد كنت قد جهزته من كلام.

أخذت فى البكاء فقط، وقد حاولت، ولكن لم أستطع النطق بأى كلمة على الإطلاق لذا ألقيت برأسى على صدرها وبكيت وبكيت وبكيت...

كانت هى أيضًا تبكى، وعرفت أن كل شىء على ما يرام عندما بدأت فى البكاء، فقد حكت لنا الدموع كل شىء، ثم قالت: "أريد الذهاب إلى البيت يا أمى، هل يمكننى الذهاب إلى البيت يا أمى من فضلك...؟".

أومأت برأسى، وحاولت أن أقول نعم... نعم، ولكننا حضنا بعضنا فقط، وأخذنا فى البكاء معًا.

(٢٩)

تـــــار

اخفض رأسك، انحن وسوف تستطيع الاستمرار، هذه هى الطريقـــة التـــى يمكن أن تقضى بها وقتك وتعيش فى أمان، أما إذا تطاولت ورفعت رأســـك إلـــى الأعلى فستتسبب في حدوث مشكلات مع الفتية الآخرين، وإذا تطاولت على الفتيـــة الآخرين فإن هؤلاء الذين أعلى منك سيعتقدون أنـــك شـــخص صـــعب، وســـوف يسخرون منك ويصرخون فى وجهك.

أعتقد أننى سوف أجتاز هذه المحنة، وأرى أننى مستعد، ولكنى لم أفكر بهذه الطريقة سوى الأسبوع الماضى، ربما تكون هذه فرصة بالنسبة لـــى، فقـــد كنـــت مريضًا، وكنت محبطًا جدًا قبل ذلك.

أول شيء كان يقلل من أعراض علاج الإدمان وتأثير ســـحب المخـــدرات هو الميثادون، وكان ذلك هو علاجى لمدة أطول من سنة، لقد وضعونى ضـــمن فئة مقدار الخمسة والعشرين مليجرام من الميثادون، وكانوا يخفضون هـــذه الكمية عدة مليجرام كل أسبوع، ولكنى بالطبع كنت أتعاطى الهيروين طـــوال الوقت أيضًا، حسنًا، ليس كل الوقت، وفى كثير من الأحيان كنت أبيع الميثادون لأشترى الهيروين.

يوجد الكثيرون ممن يستخدمون الميثادون أيضًا، كنت أتناول بنجًا وأطلب من الطبيب أن يعيدنى إلى مرحلة الخمسة والعشرين أو الثلاثين مليجرام، ولكن فى الأسابيع الأخيرة قبل أن تتصاعد الأمور كنت فى حالة جيدة، وهو ما يجب أن يتم التأكيد عليه.

كنت أفكر فى أننى يجب ألا أستخدم الإبر وأن أكتفى بالجرعات إذا لزم الأمر، ويجب أن أحاول بقدر المستطاع ألا آخذ المزيد، وقد فعلت ذلك بكفاءة باعتبار أنى كنت فى حالة ضياع تام طوال الشهور التى أدت بى إلى هذه الحالة، نجحت الأسبوع الماضى فى الاستمرار بدون تعاطى أى مخدرات على الإطلاق، ولم يكن ذلك سيئًا بالطبع، لأنه يمكنك أن تتخيل كم كان الأمر مغريًا، إن القذيفة الأخيرة التى ينبغى علىَّ أن أطلقها هى قدرتى على أن أجعل نفسى فى حالة أفضل، أنت تعرف طبعًا.

كان تخفيض الجرعة هو أول شيء ينبغى على المدمن عمله، كان ذلك فظيعًا، لأن التخلص من الميثادون أسوأ من التخلص من الإدمان نفسه، ويجعلك تشعر بأنك فى حالة سيئة بالفعل، لا بد أنهم مجانين عندما يعطونك ذلك الميثادون للتخلص من الهيروين، لأنه يجعلك أكثر إدمانًا وأسوأ حالاً أثناء التخلص منه، والسبب الوحيد الذى يجعلهم يعطونك إياه هو أنك لا تحصل على نفس المقدار، وذلك ليس ممتعًا بالطبع، لأن الدواء لا يمكن أن يكون لطيفًا، إنه جنون حقًا.

قضيت ساعات قلائل وأنا أتألم وأتوجع فى زنزانتى، لذا جعلونى أذهب إلى الصيدلية، لأننى كنت أشعر بضياع تام وبأننى فى حالة مرعبة، وذلك العرق

الأصفر البغيض الذى يقطر من جسمى كله فيلتصق بى ويلسعنى ويحرق جلــدى، وذلك الألم الفظيع فى أسنانى والذى أخذ ينتقل من سنة إلى أخرى.

شرحت للممرضة ما كنت أحتاجه فضحكت قائلة: "ليس لدينا ميثادون هنا يا دافيد"، كم كنت شخصا غبيا، كان قلبى يكاد يقفز من بين جنبى، وكنت أفكر، نعــم سوف يعطوننى ديامورفين، وذلك هو المخدر الحقيقى ولا يمكن الحصول علــى صنف أنقى من الصنف الذى تحصل عليه فى المستشفى.

- "لكنى أريد أى شىء..."

قالت: "إنك ستعيش".

انتظرت عدة ثوان قليلة، وقد أخذ يتراءى لى أن هذه العاهرة السيئة عديمــة القلب لن تعطينى أى شىء، وبدأت أسنانى تصطك ببعضها فى رعب.

- "أنت لا تفهمين".

- "ليس من المفترض أن أفهمك، ولكننى أعرف جيدًا أننا لا نعطى ميثادون لمستخدمى الهيروين فى هذه المؤسسة".

قلت: "بعض الفاليوم".

- "آسفة".

قلت فى صوت أجش "أعطنى أى شىء".

عبست بوجهها وذهبت إلى كابينة الدواء وأخرجت منها قرصين وقدمتهما لى.

قلت: "قرصين باراسيتامول"، لم أستطع أن أصدق ذلك، وقلت يبدو أنهــا لا تعرف أى شىء.

حاولت أن أكون صبورا، ورحت أشرح لها: "قرصان باراسيتامول لن يفعلا أى شيء معى، أنا مدمن كبير، أريد شيئًا أقوى قليلاً...".

وابتسمت لها ابتسامة مشجعة، وهو أمر لم يكن سهلاً على الإطلاق، لأنه عندما تشعر بأن عظامك تتحطم فى جسمك فإنه لن يمكنك الابتسام بسهولة، وقد اكتفت بذلك فقط وقالت: "إن لدىَّ الكثير من الحالات التى ينبغى على متابعتها"، وتركتنى ومضت، فوقفت أحملق فى القرصين البانسين المسكنين للصداع إلى أن قام الحارس ودفعنى.

كنت مرعوبًا، قرصان باراسيتامول، كان ذلك بشعًا حقًا، لقد كان ضد معاهدة جنيف وكل معاهدات حقوق الإنسان، أقصد الحبس، ربما أكون قد استطعت فهم ذلك، ولكن إعطائى قرصين باراسيتامول فقط للتخلص من آثار الميثادون كان أمرًا لا إنسانيًا بالطبع.

قلت للحارس وهو يقفل الباب بعنف فى وجهى: "إنك لا تفهم".

أثرت تلك الصفعة الشديدة للباب على عمودى الفقرى، وظننت أنه سوف يتكسر إلى قطع صغيرة تتناثر عشرين قطعة.

وقال لى الحارس: "تمتع بوقت طيب"، وتركونى هناك ومضوا.

قد أهرب، وقد أرتكب جريمة. قسمت قرص الباراستيامول إلى أربعة أجزاء ثم تناولت نصف قرص واحتفظت بالباقى لما بعد، عندما يكون هذا هو كل ما استطعت الحصول عليه فإنك سوف تشعر أنه مجرد علاج وهمى، وتناولت أحد القرصين وشممته، ولكن ذلك أيضًا لم يجد ولم يفد بأى شيء، لم يكن أمامى إلا تناول هذه القاذورات أو الذهاب إلى حلقة الملاكمة لمنازلة (مايك تايسون) ذلك

الملاكم الجبار فى عشر جولات، فالمدمن يكون على اســتعداد لفعــل أى شــيء للحصول على ثمن الجرعة التالية.

عندما أخذت أفكر في الأشياء التى كنا نقوم بعملها والناس الذين كنا نعرفهم، كان روب مختبئًا كما تعرفون، وأصبح الآن يحصل علــى النقــود عــن طريــق ممارسة الجنس مع الشواذ فى المراحيض العامة، وقد أصيبت للى بالجنون عنــدما عرفت بذلك، وفقدت عقلها تمامًا، فقد كانت ترى أن ممارسة الجنس تعتبــر أمــرًا جيدًا عندما كان يقوم بذلك معها فى البيت، أما أن يمارس الجنس مع الرجال، فقــد جعلها ذلك تفقد عقلها وتجرى مثل القرد هنا وهناك تصيح وتصرخ، أما أنــا فقــد أصبحت أعيش على السرقة ليس من المتاجر، لأننى فقدت تلك المهارة منذ زمــن، لكننى كنت أسرق جيما، روب، للى، أو أى شخص أستطيع سرقته، كنت أذهب إلى منزل أى صديق فى الليل، وأبقى معه، وأسأله إذا كنت أستطيع قضاء تلــك الليلــة في منزله، ثم أستيقظ فى الليل وأحوم كالثعبان، أفــتح الأدراج وأفــتش الــدواليب والجيوب.

كانت جيما هى الشخص الوحيد الذى أخذ فى التحسن، فقد توقفت تمامًا عن الذهاب إلى صالة البغاء، وبعد أن كانت متعاطية كبيرة، تتعاطى نفس المقدار الذى كنت أتعاطاه، وقد كنت أتعاطى الكثير، استطاعت أن تتوقف تمامًا وأصــبح مــن الممكن الوثوق فيها.

ثم كان الجحيم كله فى تلك الليلة عندما أتى أولئك الخنازير (أقــصد رجــال الشرطة)، وقد عرف الجميع بما فعلته جيما بشكل ما، وكانت للــى تــصرخ فــى وجهى: "عاهرة، عاهرة، عاهرة"، كأن جيما كانت جزءًا منى بطريقة أو بــأخرى، كان لدىَّ تصور تام لما سيحدث بالفعل، ولم أعرف أى شيء عن الطفــل إلا بعــد

فترة طويلة، لكن جيما كانت تسير سيرًا حثيثًا على طريق للى للحصول على طفل، وأعتقد أن عدم علمى بأمر الطفل قد صدمها، وقد سمعتها تخرج من الباب الأمامى فى تلك الليلة، كنت أعرف أن ملابسها كلها كانت فى غرفة النوم، فخمنت أن الأمر كان مصيريا وغير عادى، لأنها ذهبت ولم تعد بعد ذلك أبدا.

رقدت هناك وأخذت أفكر، هل كل الأمر كذلك فعلاً؟ كنت راقدًا على السرير فقط، أفكر فى أننى سوف أكتشف ذلك الأمر قريبًا جدًا.

جاءت الشرطة وقبضت علينا، تلقينا أنا وروب هذه الصفعة القوية، أو حاولنا تلقيها، أما للى فقد حاولت توريط جيما معنا، ولكنها لم تفلح فى ذلك.

- "إنها تلك العاهرة التى اتصلت بكم، لقد اتصلت بكم فعلاً، أليس كذلك؟ إن كل شىء هنا هو ملك لها هى، نحن نعيش هنا فقط...".

قالت ذلك وهى واقفة فى منتصف المكان فى رداء نومها القصير، وكانت ساقاها الجميلتان مغطاتين بآثار حقن الإبر... نعم.

إنهما الآن يتلقيان العلاج، وأنا الوحيد الذى حصل على حكم إيقاف، أما للى وروب فلم يشاهدا حتى نور الصباح بعد ذلك، ولم يتيسر لهما الخروج حتى بكفالة لأن السلطات اعتبرتهما معرضين لخطر شديد، وقد ذهبا مباشرة إلى مركزى تأهيل منفصلين، منذ ثمانية أشهر مضت ولا يزالان هناك حتى الآن، تقول جيما إنهما سينتقلان للعيش فى منازل التأهيل خلال أشهر قلائل، ولا أعتقد أننا سنراهما مرة أخرى بعد ذلك أبدًا، وأعتقد أن ما سيأتى بالنسبة لهما سوف يكون أسوأ.

قالت الممرضة: إنه لن يمكننى التعاطى فى أى مكان سأذهب إليه، لكن ذلك لم يكن حقيقيًا تمامًا؛ لأنه يمكنك الحصول على أى نوع من أنواع المخدرات داخل

السجن، فالسجن حقًا هو جنة المدمنين، ولكننى لم أكن أعرف ذلك بالطبع حينئذ، وحقيقة الأمر أنه لم يكن لدىَّ ذلك الشعور الفظيع، وكان كل ما ينبغى علىَّ فعله هو...

ثم أصبت بالإحباط، ولم أشعر بمثل هذا الإحباط من قبل، ولم يكن لدىَّ الكثير لكى أقوله عن ذلك إلا بعد أن دخلت فيه، ويوجد شيء واحد بالنسبة لدخولك إلى هناك، هو أنك عندما تدخل إلى ذلك المكان سوف تستطيع أن تجتاز أى شىء ممكن أن تتعرض له بصرف النظر عن ماهيته لأنك مضطر لذلك، وليس أمامك أى خيار آخر، وقد أتت جيما لزيارتى هناك، ولم أخبرها بما كنت أشعر به، وقلت لها فقط إننى انحنيت وخفضت رأسى لكى أتماشى مع الأمور، وأستطيع أن أفعل مثلما يفعلون.

ثم فكرت وقلت لنفسى إن الأمور ربما لم تكن سيئة إلى ذلك الحد، وأحسست بأننى تمكنت من رفع رأسى مرة أخرى بطريقة ما، وأننى استطعت أن أجتاز تلك الأمور، وعلاوة على ذلك فإن جسمى نظيف من المخدرات، منذ أكثر من ثلاثة أشهر لأول مرة منذ سنوات، ربما لم أفعل ذلك بنفسى أو بناء على اختيارى الشخصى، ولكننى الآن نظيف من المخدرات، وذلك هو أهم شىء، إنه شىء أساسى ويمكننى الارتكاز عليه، وقد حصلت على حكم قضائى معقول، وكان هذا الحكم هو ثانى سابقة بالنسبة لى، كان يمكن أن يحكموا علىَّ بثمانية عشر شهرًا، لكن إذا حالفنى بعض الحظ فإنه يمكننى أن أخرج بعد تسعة أشهر، وسوف تكون هذه هى المرة الثالثة، وفى اليوم التالى قال لى أحد الحرس أثناء مرورى أمامه: "أنت تسير سيرًا حسنًا يا دافيد... حافظ على ذلك الأداء العالى..." وأومأ لى وهو يبتسم.

فكرت... أننى كذلك فعلاً، وأنا أسير سيرًا حسنًا، وأصبحت مسرورًا جدًا من نفسى، كنت مريضًا وكنت محبطًا، لكننى الآن على ما يرام، وكان بعض الحرس طيبين، ولكن يمكنك مقابلة بعض الحرس الملاعين والمرعبين بالطبع، ولكن لم يزل البعض بخير، كنت أتصرف بشكل جيد، وأخبر جيما بذلك، ولا يمكنكم إدراك مدى خجلى، لأنها ضحكت وسخرت منى قائلة: "يبدو أنها أعراض الحجز فى السجن".

- "ما معنى ذلك؟".

قالت لى: "أعنى أنها أعراض حبك لسجانك"، فابتسمت فقط، ويبدو أنها كانت على حق، فقد كنت فخورًا لأننى جعلت حارسى راضيًا عنى ومسرورًا من تصرفاتى، إنه نوع من الهوس حقًا أن تكون شاكرًا لهم لمجرد أنهم قد تصرفوا معك بطريقة إنسانية، لكن ذلك قد ساعدنى كثيرًا، وأى شىء يمكن أن يساعد بأى طريقة فإنه يكون شيئًا مهمًا بلا شك.

أصبحت جيما ضخمة جدًا، كانت تزداد ضخامة فى كل مرة تأتى لتزورنى فيها، وقد أصبحت الآن على وشك الانفجار، وفى المرة القادمة التى ستزورنى فيها ستحمل معها الطفل الذى سيولد بعد أسبوع، وفى المرة السابقة كانت جالسة على مقعدها تميل وتربت على بطنها الضخمة، جلسنا عند هذه الطاولات الصغيرة، ووضعت أذنى على بطنها فأحسست بالطفل يرفس فى بطنها.

- "أعتقد أنه سيكون أحد مشجعى كرة القدم".

ومالت جيما فى مقعدها إلى الخلف، وربتت على بطنها المنتفخة، ورفعــت ثدييها الضخمتين وقالت: "إن كل ذلك ملكك يا طفلى، إنه كله ملك لك، ستخرج إلى الدنيا نظيفًا من المخدرات، وسيكون كل ذلك فى انتظارك".

وكما أقول، احتفظت برأسى منخفضًا إلى أسفل وأنفى نظيفًا من الهيــروين، وكنت أفكر فقط... إن كل شيء موجود فعلاً، وكل ما ينبغى علىَّ فعله هو مجرد الانتظار.

(٣٠)

جيما

إذن ما ذلك الشيء المثير جدًا فيك؟

أين الحطام؟ أين المرح؟.

فكر عن حل لكل الأشياء التى فعلناها.

ولكننا لن نفعلها مرة أخرى أبدًا.

آه لن نفعل ذلك مرة أخرى أبدًا.

لوركى

كنت جالسة فى غرفة المعيشة أكتب هذه الكلمات.

إنه يوم عاصف، وكانت تيارات الهواء تهب بشدة خارج المنــزل، أشــعلت موقد الغاز عن آخره، وكنت أرى شعلات النار تتحرك عندما تهزها الريح، نظرت إلى الخارج، لم يكن هناك أى شىء يتحرك بالرغم من شدة الرياح.

فى بريستول كنت أستطيع عادة رؤية الأشجار تتمايل مع الريـــاح، وكنـــت أستطيع رؤية البحر من هنا، أقصد أنه كان يمكننى ذلك إذا لم تكن الدنيا مظلمـــة، وكانت الأمواج تهدر وهى مليئة بالزبد، لم أكن أستطع رؤيتها ولكنى كنت أستطيع استنشاقها حتى وأنا فى المنزل.

ها هى منيلى المتوحشة مرة أخرى، كنت أحب أن أكون بقرب البحر.

كانت الطفلة راقدة على الكنبة، لكنها لم تكن نائمة، كنت أطعمها، وكان لديها تلك اللعبة التى أعطتها أمى لها، وعندما ترفع هذه اللعبة إلى الأعلى وتهزها، كانت تصدر عنها نغمات موسيقية، وأضواء مبهجة تظهر على السقف، وكانت الغرفة معتمة، لذا تعبت عيناى وأنا أكتب تلك الكلمات، وكان يمكننى سماع الطفلة وهى تناغى مع تلك الأضواء الجميلة، كان اسم الطفلة "أونا"، وكنت أحبها كثيرًا، لقد أنقذت حياتى حقًا.

كان تار نائمًا فى السرير.

لقد أتى ظهر اليوم، وكانوا قد أطلقوا سراحه فى الساعة السابعة صباحًا، ذهبت لإحضاره بالسيارة، وسرت أميالاً وأميالاً إلى ميدوفيلد، ولكنه لم يستطع الركوب معى؛ لأن الحرس كانوا يوصلونه بالأتوبيس إلى محطة القطار، لذا قابلته فى المحطة، محطة جرافنهام بدلاً من أخذه من السجن.

كان ذلك عظيمًا حقًا، وكان تار شاحبًا ورمادى اللون لأنه ظل محبوسًا لفترة طويلة، لكنه كان هو نفسه تار القديم – تار كما عرفته، تار حبيبى.

كان خجولاً، نزل من القطار، ووقف هناك يبتسم حاملاً حقيبته الصغيرة، كان يبتسم لى وأنا سائرة فى المحطة نحوه، ثم رأى "أونا" فاتسعت ابتسامته، وكان يمكن سماع صوت جلده وهو يطقطق متمددًا على جانبى وجهه من فرط اتساع ابتسامته.

كدت أصرخ واو! أنت الأعظم، واووا وواو، وذلك لإنعاشه كما فعلت معه من قبل عندما ذهبت إلى بريستول فى ذلك الوقت، لكن كانت لدىَّ فكرة أفضل، فقد

كنت أتحدث مع سالى فى الهاتف، كانت قد امتنعت عن تعاطى المخدرات، وهـى تتعالج الآن بالميثادون، ولكن لا أدرى ما إذا كانت ستستمر فى ذلك أم لا، وقالـت لى: "لا تُقبلى عليه بقوة كبيرة، تذكرى أنه كان فى السجن".

قالت لى أمى نفس الشيء، لذا لم يصبنى الجنون، وأخـذت أحـاول ضـبط مشاعرى الجياشة نحوه، فجريت نحوه فقط واحتضنته بقوة، حضن كبير وطويـل ومتأن، اعتصرته بقوة، ودفنت وجهى فى صدره، ثم قلت: "هوووو".

لم أستطع أن أمنع نفسى من ذلك، وشعرت بسعادة غامرة، ثم ناولته الطفلة، وكان ينحنى مثل... مثلما يفعل تار فى أيامه السعيدة، وهو يحمل ابنته الطفلة.

آه، تار، كان جسمه نظيفًا وخاليًا من المخدرات، فقد امتنـع عـن تعـاطى المخدرات لأكثر من شهر قبل أن يدخل فى العلاج بالميثادون، وتخلص من ذلـك فى ميدوفيلد، وأصبح جسمه نظيفًا تمامًا، كنت مسرورة جدًا لرؤيته.

أعددت حفلة صغيرة فى المنزل من أجله، لم يكن بها الكثير مـن معارفنـا القدامى، على الرغم من أننى لم أكن أريد أن أرى أى شخص منهم فإننى دعـوت ريتشارد وفونى، والقليل من زملاء الدراسة والقليل ممن قابلتهم حديثًا، وذلك كلـه من أجل تار.

كان الطعام ظريفًا، والمشروبات كثيرة، والقليل من الحشيش، مـع بعـض الموسيقى، وقضينا ساعة أو ساعتين فى المنزل لكى يتأقلم تار على الوضع الجديد، ثم بدأ المدعوون فى الوصول، وأخذ كل فرد يتحدث عنه، كان مثل- مثلما قالـت عنه سالى- أتعرفون لقد قضيت كل ذلك الوقت بدون أن افـتح أى بـاب، وكنـت محبوسًا طوال ذلك الوقت، وكان الحراس يراقبوننى، كل هذه المواقـف الـصعبة،

وفجأة تجد نفسك هنا حرًا طليقًا يمكنك الذهاب أينما تشاء، وفعل كل ما تريد، وقد سبب ذلك لتار صدمة صغيرة.

كان ريتشارد ظريفًا حقًا، يرتدى تى شيرت مرسومًا عليه نبتة هندباء قام بنسخها وطبعها من إحدى الصور التى رسمها تار، كما كان يرتدى ذلك الحذاء الأخضر الطويل، كان كل ما قام تار برسمه من زهور فى كل تلك الأوقات قد تحطم واختفى الآن.

سأل ريتشارد: "كيف كان معسكر الإجازة؟ "وانحنى عند الباب فوق كتف تار.

كان ذلك جيدًا، كان هناك بعض الأصدقاء القدامى أيضًا، لذا كانت عيونى مفتوحة جيدًا لكى أحافظ على تار من الناس، وكان هناك "بارى" الذى عشنا فى جراج والده بعض الوقت، وعدد آخر قليل من الضيوف، بعضهم من أصدقاء الشاطئ وبعضهم من المدرسة، ثم ذهبنا بعد ذلك للسير على الشاطئ مع أونا، وقام ريتشارد بدعوتنا إلى العشاء فى الخارج، كنت أشعر بقليل من العصبية وقتها، لكننى تغاضيت عن ذلك بسبب تلك المتعة والإثارة والسعادة التى أحسست بها عند رؤيتى لتار بعد هذا الفراق الطويل.

فكرت فى أن هذه العصبية قد تكون بسبب قلقى وخوفى من عودته للتعاطى مرة أخرى، وكنت قد قلت لنفسى من قبل: إنه يجب عليه أن يكف تمامًا عن تعاطى المخدرات إذا أراد أن يجىء ليعيش هنا معنا، كان قد كف عن تعاطى المخدرات بالفعل، بسبب بقائه محبوسًا فى السجن، ولكن... إذا حانت له أى فرصة، فهو يعرف جيدًا أنه مع أول جرعة يتناولها من المخدرات سوف يُطرد إلى الخارج فى الحال.

خرجنا فى المساء لتناول الشراب مع ريتشارد وفونى، بينما تولت إحدى الصديقات من الجيران البقاء مع أونا كجليسة أطفال، وكانت ليلة الأربعاء، لذا كانت ليلة هادئة، وبدا تار مرهقًا، مرهقًا جدًا.

قالت فونى: "هل تريد العودة؟".

- "لا، أنا بخير".

وقال ريتشارد: "أنا أيضًا أشعر ببعض التعب"، ونهض، كانت تلك طريقته الخاصة لإتاحة الفرصة أمام تار للنهوض.

أدخلت ريتشارد وفونى إلى غرفة الطفلة، لأنها لم تكن تنام فى حجرتها بعد، كانت حتى ذلك الوقت تنام إلى جوارى فى مهدها، ثم ذهبنا للنوم، أحسست بالرهبة من ذلك، أقصد أننى لم أنم بجوار تار منذ فترة طويلة، وذهب كلانا إلى الفراش، كان ذلك كله مثيرًا حقًا، ثم قبلنى وربت علىّ ولمسنى وذهبت فى ال آ آ آ آ آ آ لا لا لا لا لا لا.

كان ذلك فظيعًا، أنا فقط- لم أكن أريد أن أكون هناك معه، لم أكن أريد أن يلمسنى أو أن ينام فوقى أو بجانبى، لم أرغب في أن أكون فى أى مكان قريب منه، كان ذلك فظيعًا، لم أستطع تصديق ذلك، بعد أن كنت أنتظره وأتطلع إلى لقائه بشوق ولهفة، وكنت أفتقده وأحبه، لكنه عندما لمسنى أحسست بأننى لا أستطيع تحمل لمسته، فتخشبت وأصبحت مشدودة كالوتر.

سأل تار: "هل أنت بخير؟".

قلت: "نعم، أنا بخير، أنا بخير، أنا بخير"، وحاولت أن أهدأ وأستجيب له، كان ذلك فظيعًا أيضًا لأننى كان يجب أن أستجيب له فعلاً.

أقصد لقد فعلت ذلك معه من قبل... لكنه كان تار.

لم أدر ماذا أفعل، أقصد، لقد كنت أنتظره هنا في المنزل، أنا وأونا، كلانا كنا منتظرتين، كنا نجلس ونحن نشعر بالأمان في انتظاره، لا مزيد من المخدرات، أسرة ظريفة، مكان مناسب، وكل شيء كان يبدو عظيمًا.

هو حبيبي تار، وقد ضحى بنفسه من أجلي مرتين، تحمل كل هذا العناء من أجلي، عالج نفسه من الإدمان، دخل السجن، فعل ذلك كله من أجلي، وربما لم يكن ليصبح مدمنًا إن لم يكن من أجلي والآن... بانج، لقد انتهى كل ذلك.

تمكنا من فعلها في النهاية، لم يكن الأمر سهلاً، وقد شعرت بالصدمة، وكنت جافة جدًا معه، ولكنني نجحت في التركيز، والوصول إليه، وأصبح كل شيء بيننا على ما يرام في النهاية، وأخبرته أني كنت عصبية فقط، ولا أدري ما إذا كان قد صدقني.

انتظرت حتى بدا نائمًا ثم التقطت أونا وتسللت خارجة من الغرفة. فقد كان يجب عليَّ أن أخلو إلى نفسي قليلاً، وأن أحاول أن أفكر، ماذا يعني ذلك؟ ما الذي كان يعنيه ذلك بحق؟.

ظللت جالسة بالخارج لفترة طويلة، وتناولت كمية كبيرة جدًا من الشاي، ومما جعل الأمور أكثر سوءا أنه خرج ليرى ما إذا كنت بخير، لم يستطع النوم هو أيضًا، حاولت التظاهر بأنني كنت متوترة وعصبية فقط، وبدا ذلك معقولاً جدًا، وجلس بجواري وتعانقنا بحنان، حاولت أن أفكر فيه كحبيبي تار، ولدى الصغير الذي مر فعلاً بأوقات صعبة وعصيبة ويحتاج إلى الراحة، وقد جعله ذلك يشعر بأنه أفضل.

أخبرت أمى بذلك وكانت طيبة معى، وقد صدمنى ذلك بحق، لم أستطع أن أصدق نفسى وأننى استطعت أن أتحدث مع أمى عن ذلك الأمر.

أبى... حسنًا، لا أعتقد أن أى شخص يستطيع التحدث معه فى مثل هذه الأمور، وحتى أمى كان من الصعب التحدث معها فى مثل هذه المواضيع أيضًا، لكنها لم تكن سيئة، وقالت لى: "أعطيه مهلة لمدة ستة أشهر".

لم تكن تعرف أننا كنا مشتركين معًا فى الإدمان، وأتوقع أنها كانت تحب أن ننفصل، ولكنها جعلتنى أنفذ ما فى رأسى، ونظرًا لأنه والد طفلتى، فقد كنت أعتقد أن ذلك الأمر سوف يغير موقفها من تار.

ستة أشهر، حسنًا، أنا حقًا أرجو أن يتحسن، لكن ذلك لم يكن عدلاً، هل هو كذلك؟ لقد توصلت أنا إلى الحياة في النهاية، أما هو فقد انتهى إلى لا شيء، ويجب عليه أن ينجح، ألا يجب عليه ذلك؟ بلى يجب عليه أن ينجح فعلاً.

إنه يبلى بلاءً حسنًا، ويريد الالتحاق بكلية الفنون، ولكنه فى حاجة إلى اجتياز المستوى الأول ثم المستوى المتقدم في امتحان الكفاءة الدراسية قبل أن يستطيع ذلك، وسيبدأ الالتحاق بكلية التكنولوجيا، ولكن لا يمكنه البدء فى ذلك حتى الخريف القادم، ونحن الآن فى مايو، لذا فهو يذهب إلى مدرسة ليلية الآن، ويعمل لمدة يومين وأنا أعمل لمدة يومين، وقد أصبح تار صديقًا عظيمًا لكن...، لكن كل ذلك قد انتهى الآن، إلى أين ذهب، لا أدري، إنه شيء غريب، كنت سأدير له ظهرى قبل أن أقابل للى ووروب، والشيء الغريب هو أننى كنت أشعر بالأسف لذلك.

كنت أتحدث على الهاتف مع سالى فى اليوم التالى، لا تزال تريد أن تـــأتى لزيارتنا، ولكننى لم أسمح لها لأن الوقت لا يزال مبكرًا جدًا على ذلك، فهى لم تكن قد تخلصت من الإدمان، إنها لا تزال تتعالج بالميثادون، ولكنها تنزلق وتعود لتناول المخدرات من وقت لآخر، وكانت قد ارتبطت بـــذلك الـــصديق الجديـــد "مايـــك"، وسيذهبان معًا إلى أمستردام وسيعيشان هناك لفترة، نعم لقد ارتبطت به وســـتذهب إلى أمستردام لكى تكون نظيفة من المخدرات، هناك فى عاصمة أوروبا للمخدرات كما كان يحلو لأبى أن يطلق عليها، ولكى أكون عادلة بالنسبة لسالي، فإنها لا تفعل الكثير للتظاهر بأنها مستقيمة، ولكنها ستكون بخير، وإذا كان أى شخص يـــستطيع أن يفعل ذلك فإن سالى من هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون الاستمرار إلى الأبد.

إننى أحسدها، وكنت أحب أن أذهب وأعرف ما الذى يحدث، لكنى لا أجرؤ على العودة إلى بريستول حتى فى زيارة، وسأظل أعيش فى مروج مينلـــى بقيـــة الوقت، حسنًا أو لبعض الوقت على الأقل، لكن سالى قالت الكثيـــر مـــن الأشـــياء الظريفة، لقد قالت، ربما أنه نوع من العودة لأدخل فى اللعبة بطريقـــة مـــا، أنـــت تعرف، ربما كانت تريد أن تبعدنى عن ممارسة الجنس، كان ذلك شـــيئًا مـــشوقًا، وكنت أحاول أن أفكر أنه كذلك، سألتها: "ماذا عنك؟".

قالت: "أوه لا... أوه لا، أنت تعرفيننى...".

لا أستطيع ادعاء أننى لم أنم مع أى شخص مطلقًا أثناء غياب تار، ولكننـــى لا أعتقد أن ذلك هو السبب، أقصد أنها ليست تلك الفكرة هى التى غيرتنى، لكننى لم أعد أستطيع ممارسة ذلك مع تار بعد ذلك أبدًا".

استمرت سالى تقول: "يجب أن تمنحيه فرصة أخرى يا جيم".

كان الجميع يقولون ذلك، كما أضافت سالى أيضًا: " ينبغى عليك أن تفعل ما تشعرين به فى النهاية"، وهذا ما قالته لى أمى أيضًا.

ذلك هو ما كان يقوله الجميع، ولكننى لا أريد أن أفعل ما أشعر به، أريد أن أبلى بلاءً حسنًا مع تار، ولكنى أشعر بالغثيان من ذلك، لكن ذلك ليس عدلاً، ويمكننا فعله بعد برهة، تار وأنا يمكننا أن نأخذ إجازة لفترة ما، ثم أخذت أفكر فيما فعلته بتار، إنه لم يكن ليقع فى تعاطى المخدرات مع للى وروب إذا لم يكن ذلك من أجلى، فقد كان مرتبطًا بالبقاء فى تلك الساحة مع فونى وريتشارد.

كانت أمى غير موافقة على ذلك، وكانت تقول لى إنه استطاع أن يجد طريقه هناك بنفسه فى نهاية الأمر، ربما... كان مدمنًا أكثر مني، أنا لا أقصد أنه تعاطى أكثر منى، لقد كنت أنا أيضًا هناك، وكنت أتعاطى معهم، ولكنى عندما أتيت إلى هنا هدأت من تلقاء نفسى، وذلك ما كان، أنا لم أرغب فى معرفة ما الذى كان يجرى معهم، لم أرغب فى الاقتراب من المخدرات مرة أخرى، لكن تار... لقد قام بدوره فى البلدة للتسجيل فى الجامعة، وقد فعل ذلك فعلاً عدة مرات، لذا كانت أمى على حق، ولكن ذلك لا يزال غير عادل، هل هو كذلك؟.

إنه يحب أونا كثيرًا.

أعطيته فرصة لمدة ستة أشهر، أنا أتمنى فقط...

أنا أتمنى فقط ألا يكون قد أراد النوم معى.

(٣١)

والد تار

إنها ليست قصة حب

قد يبدو هذا شيئًا قاسيًا يصعب قوله، ولكن أحد الأشياء التي نتعلمها هـــي أن نرى الحقائق مباشرة فى العيون، ولكننا قد لا نستطيع فعل ذلك بجرأة وإقدام فأنـــا مثلا... رجل عجوز حزين، فى سن الخامسة والخمسين، ابنك الوحيـــد يكرهـــك؛ وزوجتك تكرهك؛ وزُملاؤك السابقون يمقتونك، كل ذلك له أسبابه الوجيهـــة، كـــل شيء سعيت من أجله ذهب، وها أنت هنا، كما لو كنت واقفا على عتبة فجر جديد، يمكننى أن أخبركم، أنا أشعر بالأسف فى داخل نفسى... حسنا، ترى ذلـــك لـــيس حقيقيا، بالطبع أنا أشعر بالأسف اللعين من أجل نفسى، أقصد أن أقول، أنا أعـــرف أنه خطئى.

أنا وجين، كانت قصة حب، أحببنا بعضنا بعمق منذ الصغر، ووقعنـــا فـــى الحب بعمق، ثم بدأت الأمور تسوء بعد ذلك، يوجد أسباب كثيرة جعلتها لم تكن تلك المرأة التى تصورتها، ولا أدعى أننى أنا أيضا كنت ذلك الرجل الذى تصورته.

وفى النهاية لم يكن هناك سوى حل واحد وهو الجعة المعتقة، الجعة المعتقة، الجعة المعتقة، أنا أحب الشرب، وذلك هو ما تعودت أن أقوله، لكنى لم أعد أفضل ذلك الآن، ربما أشرب قليلا فى آخر النهار، والشيء الغريب هو أننا نحن الاثنـــين

انتهى بنا الأمر إلى إدمان الشرب والتعلق بالزجاجة، أليس ذلك غريبا؟؛ لم يكن أى واحد منا يفعل ذلك قبل الزواج، ولكن يبدو أن ذلك هو ما حدث، وهو ما يمكن أن يدعوك للتعجب.

عندما عاد دافيد إلى مينلي، كنت غبيا ومرعوبا، لكن كان لدىَّ أمل، فهو ابنى الوحيد على أية حال، وقد كان الأمر صعبا لأنه استطاع أن يرانى على حقيقتى قبل أن أستطيع أنا أن أرى نفسى على حقيقتها.

ابنك، ابنك الصغير الذي يعتقد أنك العالم كله، والذى ينبغى عليك أن تقف أمامه وتقول: "ها أنا ذا، قد فعلت كل شيء من أجلك، فهل ستكون علاقتك بى جيدة؟ لا ألومك إن لم تفعل...".

قال لى دافيد : "لم يكن ينبغى عليك أن تتركها".

- "دافيد، إننى لم أستطع حتى العناية بنفسى، دع أمك اللعينة فى حالها".

تحطم كل شيء بسرعة كبيرة بعد رحيله، كنت أعتقد أننى ممسك بناصية جميع الأمور، لكن من الواضح أنه هو الذى كان يعتقد ذلك، فعندما يقف الناس فى موقف ما فإنهم يعتقدون أنهم هم الموقف نفسه، ثم عندما تسقط كل هذه الأشياء اللعينة متحطمة... فإنك تكون لا تزال موجودًا هناك.

ولكن لم يكن هناك أى سبب كى نظل معًا بعد أن تركنا دافيد، وبصرف النظر عن صعوبة ذلك، فقد كان ينبغى علىَّ انتظار الصبى هنا، وكان يجب أن أستمر موجودًا من أجله، لا يمكننى أن أترك دافيد هنا تحت رحمة أمه، برغم أنه لم يجعل ذلك سهلا، فقد كان دائم التدخل لصالحها طوال الوقت، محاولاً العناية بها، وكان يقوم بكل الأعمال المنزلية من أجلها، وبذا كان يجعلها تفقد احترامها

لذاتها، وكان يحرمها من كل الأشياء التى يمكن أن تجعلها تستمر فى الحياة وفـــى احترامها لذاتها، وذلك أسوأ شيء يمكن أن تقوم به من أجل شـــخص ســـكير، وإذا انخفض احترامك لنفسك، فكيف تتخلص إذن من الإدمان، كيف كـــان يمكنهـــا أن تحترم نفسها وهى تجعل ابنها يقوم بكل الأعمال نيابة عنها! حاولـــت أن أخبـــره بأنه: "توجد لدى أمك مشكلة يا دافيد، ويجب علينا أن نتغلب عليها لكى نـــساعدها فى أن تتغلب عليها...".

لكنه استمر فى محاولة إدارة حياتها من أجلها.

كنت أعتقد أن ما كان ينبغى علىَّ أن أقوم به هو أن أقول له: "إن أباك لديه مشكلة، ويحتاج إلى المساعدة".

ولكن الحاجة إلى خداع الذات فى موقف إدمان الخمور والاعتمـــاد عليهـــا مثلى يعتبر أمرًا صعبا حقا، لم أدرك أبدا أننى كنت أنا أيضا ســـكيرا إلا بعـــد أن ذهب كل شيء بالفعل، فقد عدت مرة وكان المنزل كله مليئًا برائحة مشروب الجين الكحولى والبرفان، صرخت فيها: "إنك مليئة بالكحول".

فردت بحدة: "أنت كذلك مليء بالكحول".

لكنها كانت تكذب بالطبع، شيء غريب، أليس كذلك؟ لأنه لم يكن هنـــاك أى طريقة يمكنها بها أن تشمنى لأننى كنت ماهرا جدًا معها... هاهاها! لقد احتـــسيت الفوديكا، ووضعت كولونيا بعد الحلاقة.

قالت ذلك فقط للتخلص والهروب من حقيقة أنهـــا كانـــت تـــشرب الجـــين طوال اليوم.

لا بد أن رائحتى كانت كريهة جدًا مثل رائحة الظربان الأمريكى.

تعودت أن أضرب دافيد وأمه كما تعرفون، ولم يكن لديهما مكان للاختباء فيه... آه، أتمنى أن يسامحنى دافيد، ولكن ذلك طلب كبير فعلا، لا لن أطلب الغفران من ابنى، ولكنه لو عرض علىَّ ذلك فإن الأمر سيكون مختلفا وسأقبل ذلك بكل تواضع.

كانت جين تسكن فى مكانها القديم، ولم أكن أراها كثيرا، ولكن عندما كنت أفعل ذلك كان هناك دائما هذه الرائحة التى تنبعث من السكارى، رائحة البول الدافئ الممتزج بقليل من المشروبات الروحية، وهم لا يدرون بذلك بالطبع، إنك ترش الكولونيا أو البرفان بعد الحلاقة وتعتقد أنك قد أزلت تلك الرائحة، ألست ماهرا؟، هاهاها.

فقدت عملى بعد رحيل دافيد بسنة، كنت أتعجب كيف استطعت الاستمرار فى ذلك العمل هذه الفترة الطويلة، واحتمال تلك الرائحة المنبعثة منى بصرف النظر عن أى شيء، وهذا هو ما يجعلنى خاشعا هذا اليوم، الاعتقاد بأن تلك الرائحة كانت تنبعث منى طوال الوقت، إن كبريائى قد انتهى وأثناء مقابلتى للمدير، كنت أحس بالنعاس وأغفو قليلا وأنا جالس في مقعدى، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة، وقد استيقظت ذات مرة على شخص يهز ذراعى، كانت "تامالا ويليامز" زميلتى في العمل.

- "استيقظ يا سيد لوسان... أعتقد أن شيئًا ما قد حدث لك...".

استغرقت لحظة لكى أنتبه لتلك الرائحة الدافئة المنبعثة من حجرى والتى تتحول بعد ذلك إلى برودة.

قلت: "عذرا".

واستيقظت وخرجت، تناولت نسخة من مجلة المدرسة من علـــى الطاولـــة ووضعتها أمامي، وسرت بأقصى سرعة استطعها إلى السيارة قائلا لنفسى: "لا بـــد أن ذلك مجرد حلم، ذلك حلم".

الملاعين، لقد استطاعوا أن يخرجوا على أطراف أصابعهم مـــن الغرفـــة، ويتركوننى لكى أستيقظ بمفردى، وأنظف نفسى، وأنسحب بعيدا، وحينئذ قد أكـــون قادرا على غش نفسى لأن ذلك لم يحدث، ذلك على مرأى من الجميـــع، وأخـــذت أتساءل كم عدد المرات التى فعلوا فيها ذلك؟ كانوا هنـــاك هـــذه المـــرة... لا.لا.لا أجرؤ على التفكير فى ذلك، ولا أستطيع أن أتجاهله أيضًا.

حاولت ألا أتحدث عن ذلك، ولكنك لا تـــستطيع أن تتخيلـــه كلـــه... إنهـــم جالسون يفكرون في أن هذا العجوز الباكى التعس قد غلبه النعاس، مـــرة أخـــرى، حزين، أليس كذلك؟ ثم الرائحة هذه وتلك حولـــك وإدراك أن شخـــصا مـــا يـــرى قطرات البول تتساقط من حافة المقعد على السجادة، وذلك الارتبـــاك والإحـــراج والاندفاع حول الطاولة، ثم مشاهدتى وأنا أقف، لمجرد أن يرى الجميع تلك البقعـــة الكبيرة التى تبلل بنطلونى، ولا أتمكن حتى من تذكر ماذا كانت هـــذه القطـــرات، ولكننى كنت أصلى وأرجو ألا تكون هذه القطرات بولاً، من فضلك يا إلهى.

سأظل أذكر ذلك حتى وأنا داخل النعش فى طريقى إلى القبر، أعرف أننـــى سأفعل ذلك، ربما ستكون آخر شيء أفكر فيه على هذه الأرض.

انتشرت الأخبار بسرعة فى حجرة العاملين، بلل السيد لوسون بنطلونه أثنـــاء اجتماع العمل، وكان دافيد هولينز، رئيسى فى العمل لطيفا جدا تجاه ذلك، وقـــال لـــي: "لقد ظللت تعمل فى المدرسة لمدة عشرين عاما، ويمكنك الاستمرار هكذا، يا تـــشارلز" وأضاف عبارات مثل ذلك. "أنت فى إجازة مفتوحة، وليس من اللائق للأطفال أن... ".

زوجة، ابن، وظيفة، بانج، لقد انتهى كل ذلك، ومـــاذا تبقـــى، آه... إجابـــة ضعيفة ولكنها الحقيقة، الله وحده هو الباقى.

آسف، أنا لست من الملحدين، كنت مؤمنا دائما، ولا أريد لأحد أن يفكر أننى قد استبدلت بالإيمان بالله زجاجة خمر، لقد كنت أصلى دائما، وأنا أصلى أكثر هذه الأيام، وأذهب إلى الكنيسة.

فكرت فى نفسى، إننى الآن مؤمن بالله على الأقل، لكن دافيد، ليس لديه أى شىء، فليس لديه وظيفة ليفقدها، ولكنه فقد زوجته أو من هى فى مقام زوجته، كما فقد ابنته أيضا وهو لا يزال فى التاسعة عشرة من عمره، لكن لا يزال لديه ابنتـــه لكى يكسبها، وربما لدىَّ أنا أيضا ابنى لكى أكسبه، لقد حاولـــت تغييـــره بالفعـــل، وقلت: "من هناك غير الله القادر القوى الذى يمكن أن يساعدك فعلا على التخلص من الإدمان؟".

قال: "الإيمان، الأمل، العطاء"، لكننى أعتقد أنه كان يسخر منى، كان الشىء الحقيقى الموجود بينى وبين دافيد هو أننا لدينا الكثير من الأشياء المـــشتركة، لقـــد كان هناك الكثير مما يمكننا التحدث عنه، ولكن ذلك لم يكن مثيرا حقا، أعتقد أنـــه سيتجاهل أى وجهة نظر أو نصيحة يمكن توجيهها إليه، كل ما كان يريده حقيقة هو أن يتحدث عن مدى كونى حقيرا... أضربه وأضربها، أعتقد أنه كان غاضبا منـــى بسبب أننى كان يجب أن أحاول، إن الموضوع كله هو أننى كان لى وجهـــة نظـــر معينة، فالمجرمون والمرضى النفسيون، وحتى الملائكة أيضا يكون لكل واحد منهم وجهة نظر، ولا يتحتم عليك أن تتفق معهم فى وجهات نظرهم، لكـــن إذا أصـــبح لديك نوع ما من العلاقة الحميمة معهم فيجب أن تتفهم ذلك الاختلاف، وأن تـــتفهم وجهات نظرهم، ولكن ربما كان دافيد لا يريد الدخول فى أى علاقة معى.

أصبحنا نرى بعضنا قليلا منذ عودته، وكنت أسكن فى مكان صغير على الطريق، وقد قمت بمحاولة إصلاح نفسى، لذا كان يجب أن يعطينى فرصة أخرى.

اعتاد أن يأتى إلىّ ويجعلنى أحمل حفيدتى، وكنت شاكرا له ذلك جدا، ولا أزال أراها حتى الآن... كانت جيما تأتى من وقت لآخر، فأصطحبها مع الطفلة فى جولة فى الحديقة، لنطعم البط وأدفع الصغيرة فى الأرجوحة...

كنت أصيح: "مرحبا يا سحاب".

فتصيح الطفلة قائلة بلغة الأطفال: "ياسح"

فأقول: "مرحبا يا سماء!"

فترد قائلة: "سواء...".

- "مرحبا يا طيور!"

- "طيور... "

فأقول: "مرحبا يا رب"

وكنت أتساءل هل سيوافق والدها؟

إنه لم يتحدث إلىّ كثيرًا عن حياته الشخصية، كان يتحدث عنى فقط، وكان ينبغى علينا أن نحاول أن نمحو الماضى معًا، لكننا لم ننجح فى ذلك أبدًا، لقد خرج دافيد من السجن ولم ترغب أمه حتى فى أن تعرف ذلك، لهذا أقول إنها لم تكن قصة حب، لقد تقابلنا أنا وجين ووقعنا فى الحب بدون أى تصنع أو افتعال، وظللنا واقعين فى الحب، أعتقد أننا لا نزال كذلك بالرغم من كل هذا الغضب والفشل والعنف والجعة المعتقة.

ليس من المستحيل أن نحيا سويًا معًا– بالطبع– وتلك هى المأساة، ولكننا أحببنا بعضنا بعضًا... ولا نزال نحب، أنا أفعل ذلك على أية حال، ولكن دافيد وجيما كانا يتعاطيان المخدرات فى اليوم الذى تقابلا فيه، وأستطيع أقول إنها ثلة الشاطئ، وليس الهيروين، لكن المخدرات هى المخدرات، أليس كذلك؟.

اتهمته بتعاطى المخدرات، فأدار عينيه وقال: "إنه فقط قليل من الدخان، وذلك هو كل شىء".

– "هل هو كذلك؟".

قال "إنها أفضل من السجائر".

قلنا ذلك معًا، كنت أقول دائمًا نستطيع عمل أى شىء، وضحكنا على ذلك كثيرًا، على أى حال، إذا لم ينجح فى الاستمرار مع جيما، وتلك كانت هى النقطة، فلقد أراد دافيد ذلك، ولكنها لم تكن تريده، أنا لا أحب جيما كثيرًا، وألومها، وألوم نفسى، لكننى ألومها هى أيضًا، ومن الواضح أن ذلك سوف يستمر لعدة أشهر، وقد طلبت منه جيما أن يذهب، لكنه لم يكن يريد الذهاب... إنها طفلته هو أيضًا، فلماذا ينبغى عليه أن يذهب، وما إلى ذلك من الأمور.

رجعت جيما إلى منزل والديها فى النهاية، وأخبرت تار أنها لن تعود، وظل باقيًا فى انتظارها لمدة أسبوع، ثم استسلم للأمر وانتقل من الشقة لكى تستطيع جيما أن تعود إليها، وكان من الواضح أنه لن يستطيع أن يظل موجودًا فى الشقة، ويتركها هى والطفلة يحيون مع مثل هذين الوالدين الفظعيين.

عرضت عليه أن أستضيفه عندى، كما كان يمكنه البقاء مع والدته أيضًا، فهناك متسع لذلك، ولكنه رفض وذهب وأقام عند بعض أصدقائه، كان من الواضح

أننى لم أسمع عنه بعد ذلك لفترة طويلة، لقد أغضبته جدًا، كان أمرًا مريرًا بالنسبة له، أخذ يتجول حول منزلها فى وقت متأخر، ويظل يصيح خارج الباب لكى تسمح له بالدخول، صراخ، شراب، إزعاج للطفلة، وتكدير لنفسه ومضايقتها، قد أصبح ذلك الشيء مألوفًا جدًا بالنسبة له.

وفى أحد الأيام، لاختصار القصة الطويلة، قام بالذهاب إلى هناك وتبول وتبرز.

أوه، نعم، لقد قام بضربها وركلها فى الغرفة، ومسح بها الأرض، لم يكن الأمر بالنسبة لها هو هذا الألم، ولا الهالات السوداء والتورم حول عينيها أو الشفاه المتورمة، لم يكن ذلك هو الموضوع، إن الموضوع هو أنه ضربها وركلها، وهو لم يخبرنى عن ذلك الأمر بالطبع، لكن عندما أتت جيما بعدما تركت مينلى عرفت هذه المعلومات منها، لم أكن قد رأيته منذ فترة طويلة، ولم أكن أعرف حتى أن تار قد ذهب وترك جيما.

انتظرت أن يتصل بى لفترة طويلة، وأردت أن أتحدث معه عن ذلك الأمر، أقصد أننى أردته أن يتحدث معي، واعتقدت- أوه- ما الذى لديك لتقوله لنفسك الآن يا سيد؟.

كنت أتمنى أن يعود إلىّ فى النهاية، ليس من أجل أن أقدم له النصح، لكننى كنت أعتقد أن ذلك التشابه الموجود بيننا سوف يكون أقوى من أن يستطيع تجاهله، وكان من اللطيف أن نتشارك معًا فى كثير من نقاط الضعف العام بيننا، كنت سيئًا، أتشفى وأتلذذ بعذاب الآخرين حقًا، وقد قضى دافيد وقتًا طويلاً يخبرنى فيه كم كنت دنيئًا وحقيرًا، والآن... حسنًا، أنا أعرف أننى لم أكن عادلاً، لكن الأمر كان مختلفًا، لم يحدث ذلك إلا مرة واحدة فقط، فقد ذهب، ولكنه عاد

واعتذر فى اليوم التالى، ربما أكون قد هولت الأمر، لكن أى إنسان يمكن أن يفقد أعصابه، خاصة بعد كل ما مر به، أراهن أن ذلك جعله مذعورًا، وأراهن أيضًا أنه كان يعتقد أنه كان يتحول إلى الرجل البدائى، الرجل الغول.

لكن كلانا فقد علاقته بالآخرين، كلانا فقد طفله، كلانا أصبحنا مدمنين لشيء أو آخر، أنا أعرف أن شكل حياتنا كان مختلفًا، فقد كنت مدرسًا محترمًا، لدىَّ أملاك وحياة أسرية أعيشها بشكل صحيح وقانونى، أما هو فكان مدمنًا يعيش فى ساحة خارجًا على القانون، لكن لا يزال لدى أمل فى أن يكون بيننا رباط ما، وأن يكون قد اكتسب منى بعض الأشياء التى يمكن أن ينتمى إليها ويرتبط بها.

لكنه رحل بعيدًا، ولم يتصل بى، استلمت بطاقة بريد من هيرفور بعد مدة طويلة، يبدو أن لديه أصدقاء هناك، وسيؤدى اختبار المستوى الأول للقبول فى الكلية، ولديه صديقة، ويبدو أنه سعيد بما فيه الكفاية، إن جيما تقول ذلك عنه، إنهما صديقان هذه الأيام، أكثر مما كنت أنا وجين فيما مضى.

إنها تقول: "إنه حقيقة شخص جيد ولديه صديقة جميلة، إنه عظيم، إنه نظيف وخال من المخدرات، نحن نسير إلى الأفضل".

وهو يأتى ليراها هي وطفلته أونا من وقت لآخر، وقد اصطحب أونا معه فى إجازة طويلة، لذا أصبح لدى جيما وقت فراغ بعد أن أخذ الطفلة معه، ويبدو أن كل ذلك قد نجح، بالرغم من أنه كان يأتى إلى مينلى من وقت لآخر، فإنه لم يحضر ليرانى أبدًا، لكنى صبور، وأتعشم أن يتصل بى هاتفيًا أو يطرق بابى يومًا ما، إنه ولد طيب وشخص جيد، إن مساعدة الآخرين طبيعة غريزية فيه، وأعتقد أنه قادر على العطاء والحب الكبير وتبادل المشاعر مع الآخرين.

أنا أعرف جيدًا أننى لن أحصل على مثل هذه المشاعر الطيبة منه أبدًا، لكنى أحب أن أعتقد أننى كنت عديم الإحساس والمشاعر معه، وكنت أعامله بطريقة جامدة مثل الرجل الآلى عندما كان صغيرًا فى فترة حضانتى له وتربيته قبل أن تسوء الأمور بيننا.

يومًا ما يا ولدى كل ذلك سيكون ملكك، كما يقولون، كل ممتلكاتى ونقودى مهما تكون، ليس هناك أحد آخر غيرك، إن الشىء الآخر الذى تتركه لأطفالك هو حياتك، ومثال حياتك التى عشتها يومًا ما، يا ولدى....

وهكذا يا دافيد أنا أرفع كأسى لك فى غيابك، مجرد كوب من الشاى وليس خمرًا أو جعة، وأقول هذا لك، حظًا سعيدًا، افعل أفضل ما فى وسعك لكى لا ينتهى بك الأمر إلى مثل ما انتهيت أنا إليه.

(٣٢)

تـــار

دائمًا أقع فى حب شخص ما.

دائمًا أقع فى حب.

حب شخص ما.

أقع فى حب شخص ما.

لا ينبغى عليك أن تقع فى حب مسخ.

الديوك الصياحة

كانت قصة حب، أنا وجيما والمخدرات، وكنت أعتقد أن هذه القصة سـوف تظل إلى الأبد، لقد كانت أكبر مغامرة قمت بها فى حياتى، أنتم تعرفون، إن جيمـا شىء خاص جدًا، أليس كذلك، وكذلك المخدرات.

أحب أن أكون فى حالة حب، إنه مثل أن تلقى بقطعة من جسمك بعيدًا عنك، الحب للأبد، نعم، حسنًا أنا لم أعد أثق فى ذلك الآن، إنه شىء ما يحدث لك مثل أى شىء آخر، إنه يبدأ ثم يتوقف، أما كونك مدمنًا... فإن هذا يبدأ ثـم يـستمر إلـى الأبد، وكما قالوا لنا فى مركز التأهيل إن الإدمان يظل دائمًا إدمان، إنك لن تجـرؤ على تعاطى المخدرات مرة أخرى بعد العلاج مهما كـان الـسبب ومهمـا كـان

شعورك، وهذا الأمر رحمة حقًا، لأن الهيروين هو حب لحظى فقط، ولكن أن تحب شخصًا ما فلا بد من أن تشعر بالأمان معه، ويجب أن تكون مستعدًا لذلك، إنه ليس أمرًا سهلاً، ولكن مع الهيروين كل ما ينبغى عليك فعله هو أن تضغط على زناد القداحة، ومرحبا يا بائعة الهوى، وهذا كله حقيقى جدًا.

ولكننى لا أريد أن أتحدث عن ذلك الشىء القديم، يجب أن تظل إيجابيًا، إن المستقبل يبدو جميلاً أمامى، أنا أتحرك للأمام، ولدىَّ الآن صديقة جديدة، اسمها "كارول"، وهى أفضل من جيما بالنسبة لى، إن قدميها ثابتتان على الأرض، لقد كانت جيما تملأ المكان كله، ألم تكن كذلك؟ أعتقد أنها عرفت الأمر كله، عندما تكون فى مثل الحالة التى كنت أنا فيها، فإن أى شخص حتى مثل جيما سيبدو متميزًا.

قابلت كارول فى مكان إقامة الرفاق، واستمررنا فى الإقامة معهم، ثم انتقلنا إلى مسكنها الخاص بعد عدة أشهر، إنه بيت كبير كنا نتشارك فيه مع أشخاص آخرين، والأمر الجيد الآن هو أن جسمى نظيف من المخدرات، لقد حصلت على صديقة عظيمة، وأنا أعمل الآن...

نعم أنا أعمل! أعمل فى مخزن، علمونى ترتيب الأرفف ورصها وما شابه ذلك من أعمال، لن أدخل الكلية هذا العام، لقد اجتزت المستوى العادى فى مينلى، وحصلت على درجات مرتفعة، وسجلت فى التكنولوجيا هنا فى "هيرفورد"، ولكننى سأترك المستوى الأول هذا العام، ودخول الكلية ينتظرنى، أنا أعرف أننى سأذهب هناك يومًا ما عندما أكون مستعدًا لذلك، أنا وكارول نحيا حياة جميلة فعلاً، وذلك هو كل ما أحتاج إليه الآن.

إني أرى جيما كل عدة أشهر... من أجل ابنتي "أونا"، أنا وجيما، أتوقع أن أظل على اتصال بها بطريقة ما، على الرغم من أنني لا أراها إلا قليلاً، وليس مثلما كنت أراها عندما كانت تعيش في الساحة، أنت تعرف، يوجد ذكريات سيئة، الافتراق، أنا لا أريد التحدث عن ذلك حقًا، لقد انتهى ذلك الأمر الآن، إن "أونا" هي المستقبل، إنها السبب في بعدي عن تعاطي المخدرات، كذلك وكارول بالطبع، أونا جميلة، وأنا أحضرها هنا لتعيش معي في الإجازات لكي أعطي لجيما فترة استراحة من رعاية أونا، إنها تجعلني أنا وكارول في غاية السعادة عندما تكون هنا، قلت لكارول: "ألا تجعلك تريدين أن تحظى بطفلة مثلها".

قالت: "لا".

هكذا هي كارول! إنها تعرفني جيدًا، لقد أدخلت رأسها في رأسي، إنها تعرف أشياءً مهمة أكثر من مجرد إنجابها الأطفال مني، إنها تجعلني سعيدًا أضحك، كارول.

أنا لا أقضي وقتًا طويلاً مع جيما عندما أذهب إلى مينلي، لا بأس من التحدث إليها في الهاتف، أو رؤيتها في الحانة، ولكن عندما أراها مع أونا، فإن ذلك كان يؤلمني؛ لأنه كان يمثل بالنسبة لي مكانًا كنت أنا أريد أن أكون فيه، ولكن جيما لن تجعلني أفعل ذلك، لماذا؟

لقد انتهى الأمر بيننا عند تلك النقطة، أنا وجيما، وكل ما أتناوله هو تلك الأقراص الصغيرة قليلة العدد، خمسة مللي ميثادون، وكانت كارول تعرف كل شيء عن الماضي، حكيت لها عن كل شيء، انها تعرف أنني الآن تحت العلاج، خمسة مللي لا تعد شيئًا يُذكر، أنا لا أكاد أشعر بها، ولست في حاجة إليها، إنني لم

أعد مدمنًا، من الجميل أن تعرف، أنه هناك، وذلك هو كل شيء، وأنه سوف ينتهي وينقضي قليلاً قليلاً كل أسبوع.

أصبحت أعرف نفسي بصورة أفضل كثيرًا الآن، أنا أعرف أنني لن أستطيع القيام بالتخلص النهائي من الإدمان بمفردي، وأحتاج إلى المساعدة، ويوجد الكثير من المخدرات في هيرفورد، حسنًا، إنها في كل مكان، ولكن هناك بعض الوجوه المألوفة هنا أيضًا، بعض الأشخاص القلائل من مدينة بريستول انتهى بهم الأمر إلى بالمجيء إلى هنا لسبب ما، ويمكنني الذهاب والتسجيل بالكلية الآن إذا أردت، لا يمكنك تجنب ذلك بالطبع.

من المدهش أن الأشياء والمخدرات تبحث عنك، فبعد حوالي ثلاثة أشهر من المجيء إلى هنا، وبعد أن قضيت مع كارول عدة أسابيع، كنت أتحدث مع أحد الأشخاص في حفلة، قال لي: "هل تريد بعض المخدرات؟"، كان ذلك شيئًا غريبًا، أنا لا أعرفه وهو لا يعرفني، ولكن يبدو أنه كان على علم بكل شيء.

هززت رأسي وقلت "لا"، فتركني وصعد إلى الطابق الأعلى في صحبة شخص آخر، هذا ما كان بالنسبة لي، لكنني كنت أفكر في أنهما كانا هناك في الطابق الأعلى مع المخدرات وأنا بالطابق الأسفل بدونها...، ذهبت وأتيت بكارول وقلت لها: "يجب أن نذهب الآن".

- "لماذا؟".

- "يجب أن نذهب فقط".

استطاعت أن تدرك أنني كنت في حالة ضياع تام، فتناولت معطفها، ورحلنا على الرغم من أن الحفلة كانت جميلة، قمنا باللف حول المبنى، وقالت: "حسنا،

ماذا هناك؟" فأخبرتها بما حدث، كانت تعرف كل شيء عن الإبر، وعن جيما، وعن كل شيء، قالت: "إن جسمك ليس خاليًا تمامًا من المخدرات هل أنت كذلك؟".

كنت محاصرًا وواقعًا فى شرك المخدرات، وكانت كارول مستقيمة وطيبة حقًا، لم أكن أعرف كيف كنت سأتكيف مع الحياة مرة أخرى إن لم يكن ذلك من أجلها، وكان يمكن أن أعود إلى تعاطى المخدرات بالتأكيد، لكن بعد العرض الذى قدمه ذلك الشخص فى الحفلة بدأت أشعر بتلك الآلام كما لو أننى لم أتعاط مخدرات منذ أكثر من سنة، كنت أعرف أن المخدرات موجودة فى ذلك المكان، وكانت هذه أول مرة أتعرض فيها لذلك منذ دخلت للعلاج وعرفت فيها أننى أستطيع أن أهبط السلم لأخرج من الباب وأشترى ما أريد من المخدرات التى لم أستطع فيها التوقف عن التفكير فى ذلك، ذهبت لرؤية الطبيب وأخبرته بالأمر، ولكنه لم يعطنى الميثادون لأننى لم أعد أتعاطى أى مخدرات، لذا ابتعدت فقط وأخذت أفكر فى ذلك، وعرفت أننى لن أنجح بدون مساعدة.

عدت فى اليوم التالى إلى الطبيب وأخبرته أننى كذبت عليه، وأننى تعاطيت، لقد حدث ذلك بالفعل من قبل، ولكنه كان فى وقت آخر، أثناء زيارتى لبريستول، لم يكن ذلك الأمر مهمًا لأنه كان مثل إجازة رومانسية، وهو نفس الأمر الذى يحدث عندما تعود إلى المنزل، لم أهتم لذلك لأننى كنت خاضعًا للعلاج وتحت المراقبة، لذا فقد كنت قد تعودت على قول بعض الأكاذيب الصغيرة، وأخبرته بأن ذلك قد حدث فى الأسبوع الماضى، ولكن فى الحقيقة إنه حدث منذ ما يزيد عن شهرين، لكن تلك الحيلة نجحت وحصلت على الروشتة بسبب أننى عدت للابتعاد عن التعاطى مرة أخرى، كنت أتخلص من إدمان المخدرات ببطء، قليلاً قليلاً، لكننى أردت أن أتخلص منه بسرعة، كنت متعجلاً للاستمرار فى التحسن السريع، ولكن

الطبيب قال إن ذلك ليس أسلوبًا جيدًا للتخلص من تعاطى المخدرات، وينبغـــى أن يتم ذلك ببطء، لذا يجب علىَّ أن ألاحظ نفسى، وما يطرأ على من تحسن.

سيكون الأمر كله على ما يرام، أنا أقوم بفعل كل الأشياء الـصحيحة الآن، كان ذلك جميلاً حقًا أن أفاجئ شخصنا ما بتاريخى، وكان الشىء الذى ينبغى علـــىَّ تجنبه هو تلك الكمائن التي يمكن أن ينصبها لى الآخرون، كنت أتناول أحيانًا حفنة من الميثادون كمخدر، لكنى لم أخبر كارول بذلك الأمر، واو، لم أكن أجرؤ علـــى ذلك، يجب أن تكون حذرًا جدًا مع كارول، إنها عظيمـــة، فهـــى لـــم تتنـــاول أى مخدرات فى حياتها ولم تتعاطها أبدًا، لذا لا يمكنها أبدًا تفهم مثل هذه الأمـــور، ولا يمكننى حتى التحدث عنها معها.

أنا أفعل كل ما فى وسعى، وذلك هو المهم، كما أننى أحاول أن أكون إيجابيًا فى ذلك على قدر الإمكان، وأنا أقوم بفعل كل الأشياء الـصحيحة، لا أحـــاول أن أغلق عينى كى أتغاضى عن أى شيء، أنا أعترف بأن الأمور لا تسير علـــى مـــا يرام تمامًا أو بسهولة دائمًا، وأننى انزلقت إلى العودة للإدمان عدة مرات، لكننى لا أجرؤ على قول ذلك لكارول أيضًا، وأنا بالتأكيد لم أخبر جيما بذلك؛ لأنهـــا ربمـــا ترفض السماح لى برؤية طفلتى أونا إذا علمت أننى لم أزل أتعاطى، برغم أنه ليس لديها الحق فى ذلك، فأنا أبوها، ومن حقى أن أراهـــا، وهـــى كـــذلك مـــن حقهـــا أن ترانى.

إن الذين لهم تاريخ مثل تاريخى لا يمكنهم تعجل الأمور أبدًا، ويكـــون مـــن السهل عليك أن تفكر، أوه يا إلهى، ها أنا ذا أتعاطى الميثادون، لقد انزلقـــت مـــرة أخرى، أنا مجرد مدمن، وعندما تصبح فكرتك عن ذاتـــك متدنيـــة ســـتعجز عـــن تقديرها، وسوف تلجأ إلى التعاطي، ولكن يجب عليـــك أن تفكـــر فـــى أن تـــأثير

الميثادون ينتهى، وأنا أراجع الطبيب أسبوعيًا، وقد توقفت الآن عن التعاطى وتخلصت من الإدمان نهائيًا، أنا أفعل الصواب والأشياء الصحيحة فقط، وذلك كله بسبب تشجيع كارول والآخرين لى، لكننى أعتقد أننى حتى إذا استطعت التخلص من الإدمان نهائيًا فإننى كنت سأعود لتعاطيه مرة أخرى لو استمرت علاقتى مع جيما.

أنا أعرف، أنا أعرف، لم تتركنى جيما لأننى كنت أتعاطى... فقد كان جسمى نظيفًا وخاليًا من المخدرات فى ذلك الوقت على أية حال، ولكن يجب أن يكون لديك أمل دائمًا، وكما قال الطبيب يجب أن تكون إيجابيًا قبل أن تغادر مكان العلاج وتذهب إلى أى مكان آخر.

المؤلف فى سطور:

ملفن برجس

يعد ملفن برجس واحدا من أفضل الكتـــاب والمـــؤلفين فـــى أدب الأطفـــال المعاصر، وقد ولد هذا المؤلف عام (١٩٥٤) ونشأ فى مدينتى سوسكس وبركشير، بدأ التدرب على العمل صحفيًا بعد تركه للدراسة فى عامه الثامن عشر، واشـــتغل فى عدة وظائف مؤقتة، خاصة فى مجال البناء والتشييد، وفى العشرين من عمـــره بدأ ملفن فى القيام بعدة محاولات لكتابة القصص، ولكنه لم يكتب بصورة مـــستمرة فكان يتوقف أحيانًا عن الكتابة، واستمر على هذه الحال- بين الاستمرار فى الكتابة والتوقف عنها- لمدة خمسة عشر عامًا، وذلك قبل إنهائه لكتابـــه الأول "صـــرخة الذئب" المنشـــور عـــام (١٩٩٠)، وفى عـــام ١٩٩٧ حقق كتابه المثيـــر للجـــدل "المخدرات" أفضل المبيعـــات، وفـــاز بجـــائزة جارديـــان Guardian Children's Fiction award، وكذلك ميدالية كارنيجى Carnegie nedal، وتم تـــسجيل كتبـــه التالية فى قائمة كتب العام وميدالية كارنيجى وهى: صرخة الذئب- مـــلاك مـــايو- الطفل وذبابة الفطير- وشبح خلف الحائط.

وقد أصبح ملفن برجس اليوم كاتبًا محترفًا طوال الوقت، ويعيش الآن فـــى مانشيستر مع زوجته وطفليه.

المترجمة فى سطور:

سميرة أبو الحسن عبد السلام النجار

- بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية – قسم سياسة– جامعة القاهرة
- دكتوراه فى التربية– تخصص إرشاد نفسى – جامعة القاهرة (٢٠٠١).

من أهم أعمالها:

- الإرشاد النفسى للأطفال – المجلس الأعلى للثقافة بوزارة الثقافة – ٢٠٠٤.
- سيكولوجية الإعاقة ومبادئ التربية الخاصة– دار حورس للنشر – ٢٠٠٣.
- مجموعة من البحوث والدراسات فى مجال الإرشاد النفسى وإعداد البرامج الإرشادية والتدريبية للأطفال والمراهقين العاديين وذوى الاحتياجات الخاصة.

1- Psychology of handicap and principles of special education, Cairo: Jours House for publishing, 2008.

التصحيح اللغوى: صفاء الدين محمد

الإشراف الفنى: حســــن كامــــل